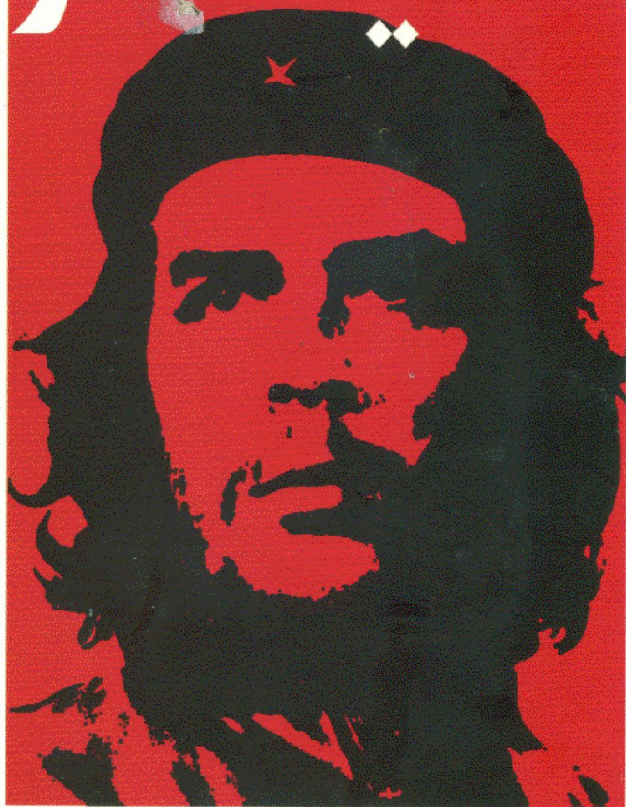


فلسفة



يوميات بوليفيا



غيفارا

يوميات بوليفيا الكاملة

قدم للطبعة الجديدة الكاملة
فرنسوا ماسبيرو

ترجمة: مصطفى الفقير



B.HAMDAN
20/8/2008

غيفارا يوميات بوليفيا

الكتاب

مصطفى الفقير

ترجمة

فارس غصوب

تصميم الغلاف

دار الفارابي - بيروت - لبنان

الناشر

ص.ب. ٣١٨١ / ١١ - ت: ٣٠١٤٦١ - فاكس: ٣٠٧٧٧٥

شركة المطبوعات اللبنانية ش.م.ل.

التنضيد

الأولى ١٩٩٨

الطبعة

جميع الحقوق محفوظة

محتويات الكتاب

٧	مقدمة الطبعة الجديدة
---	----------------------------

يوميات بوليفيا

٥١	مقدمة لا بد منها
٧١	١ - تشرين الثاني ١٩٩٦
٧٩	٢ - كانون الاول ١٩٦٦
٩٣	٣ - كانون الثاني ١٩٦٧
١٠٩	٤ - شباط ١٩٦٧
١٢٣	٥ - آذار ١٩٦٧
١٤٣	٦ - نيسان ١٩٦٧
١٦٥	٧ - أيار ١٩٦٧
١٨١	٨ - حزيران ١٩٦٧
١٩٧	٩ - تموز ١٩٦٧
٢١٥	١٠ - آب ١٩٦٧
٢٣١	١١ - أيلول ١٩٦٧

١٢ - تشرين الاول ١٩٦٧ ٢٥٣

ملاحق

١ - بلاغات ورسائل من الغوارة البوليفية ٢٥٩

٢ - البرقيات التي تلقاها القائد شي غيفارا ٢٦٩

مقدمة للطبعة الجديدة

عام ١٩٩٥

في الرابع من آذار (مارس) عام ١٩٦٠، أي بعد أكثر من عام بقليل على انتصار الثورة الكوبية، انفجرت في ميناء هافانا سفينة الشحن «لاكوبر» الناقلة للثورة أسلحة كانت بأمس الحاجة إليها. وقد سقط، بفعل الانفجار، عدد كبير من الضحايا. يومئذ قام المصور البيروتو كوردا من صحيفة «غرانما» بالتقاط رسم انتشر، منذ ذلك الحين، بين مئات الملايين من الناس، في أرجاء العالم كلها. كان الرسم لوجه أرنستو تشي غيفارا المكلف بمهمات عديدة ومنها تنظيم الميليشيا، أي الشعب المسلح للدفاع عن الثورة، وقد ظهر فيه بشكل تحول معه إلى أسطورة، وقد هب لتنظيم الاسعافات الأولى في مواجهة نتائج الانفجار.

وبعد حوالي ثلاثين سنة على استشهد تشي في التاسع من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٧ في ادغال بوليفيا، ما تزال صورته تجوب العالم. إلا أنها تبدو، كما هي في رسم البيروتو كوردا، ثابتة أبداً بالأسود والأبيض وفي مستويين، مطهرة، مبسطة ومستخدمة من هؤلاء وأولئك لأنبل الغايات، مثلما هي مستخدمة، في بعض الأحيان، لغايات تجارية. وهي لا تظهر بشكل رسم وحسب، بل أيضاً، بشكل ملصق أو رمز وفي أسوأ

الأحوال، بشكل شارة أو دبوس للعروة أو رسم تقريبي لظل من الظلال التي تتكون منها الاشارات التي يتطوق بها الأحياء في محاولة بائسة لإعطاء معنى ما لحياتهم.

صارت هذه الصورة تعكس خيالا لا رجلاً وأسطورة، لا تاريخاً وموتاً لا حياة. فالتشي ميتاً هو دائم الشباب والبطولة يتيح لكل الذين يذكرونه أن يحلموا بطهارة في بشرية تفتقد لها لأنها تنتسب إلى البشر.

فالمناضل السياسي والقائد العسكري الذي كان لديه، مثل أي انسان، حالات يسطع فيها ويضيء، وحالات أخرى تعوزه فيها الرؤية، القائد الذي كان لديه يقينه الثابت وريبته الشديدة، قوته وضعفه، والذي كان بهذه المواصفات كلها يثير الرهبة، قد تحول إلى أسطورة مسيح علماني، ومزيج من دون كيشوت ودارتانيان (كي لا نقول زورو)؛ إنه قديس وبطل ومغامر في آن. إنه نوع من المسيح المنتظر متجلياً في الموت «أخطأ بكبرياء». فإذا بكلمة «كبرياء» قد تغلبت على ما عداها، وكان كل شيء تحول، مع مرور الزمن، إلى مسألة جمالية. وماذا يمكن أن يكون أكثر جمالاً من صورة التشي هذه التي تجعله خالداً.

تكلم تشي غيفارا وكتب كثيراً أثناء حياته السياسية التي لا نتذكر أبداً أنها كانت قصيرة: نحو عشر سنوات بالكاد، من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٧ - هذا إذا أدخلنا في عداها سنوات حرب العصابات في كوبا، والسنتين اللتين أمضاهما في السرية عندما ذهب ليستأنف القتال، وإذا ما أخذنا في الاعتبار حياته العامة، بالمعنى الدقيق للكلمة، تلك التي مارس خلالها المسؤولية في رأس الثورة الكوبية، فانها لا تتعدى السنوات الخمس، قضاهما في العمل والنضال على كل جبهات الثورة الخافرة والمهددة، لم يتوقف خلالها، عن الرغبة في شرح عمله ونهجه، ومطالبه، وأهدافه. لقد كان ميدانياً دائماً في البحث، وفي الاختبارات والتجارب. إلا أنه مع مضي الوقت لم يعد كلامه عن تجربته كقائد حرب عصابات، ولا مقالاته كمسؤول سياسي - المثيرة في الغالب للجدل - عن مسيرة الثورة ومغزاها، ولا آخر نصوصه البرنامجية - الاشتراكية والانسان في كوبا، خطاب الجزائر - لم يعد كل ذلك ماثلاً في الذاكرة الجماعية ويعاد نشره.

بل، ويا لسخرية التاريخ تبقى في الذاكرة فقط يوميات بوليفيا هذه، وهي مجرد مفكرة لم يكن لينشرها قط كما هي. وهكذا فإن ما أراده رسالة للحياة في اتجاه المستقبل قد اختفى، وبقيت هذه الملاحظات التي يرى فيها قارئ اليوم، الذي يعرف النهاية دون أن يدري شيئاً، تقريباً، عن البداية، مسيرة طويلة إلى الموت. في حين أنه إذا ما أخطأ التشي - بكبرياء أو بدون كبرياء - فإنه أخطأ هنا أولاً. وعن هذا بالتحديد ينبغي أن يجري الكلام.

كل الذين اقتربوا منه في أيامه، وشعروا بالتضامن مع عمله، ومع رغبته في تغيير الحياة والناس والعالم اعتبروا، طويلاً، أن واجب الأمانة يفرض أن تبقى حية ذكرى الرجل الذي واجه هجوماً مزدوجاً، وأن يجري الدفاع عن هذه الذكرى. فهو قد ظلّ - لنقل ذلك تبسيطاً، بالنسبة للقادة السياسيين، ولقسم كبير من الرأي العام في الولايات المتحدة وفي العالم «الغربي»، أي أولئك الذين قاتلهم التشي - تلك النفس اللعينة للشيوعية الدولية، وقوة الشر التي أرادت اشعال العالم واغراقه بالدماء لتقيم سلطة شمولية، والمعتوه الذي وضع نفسه بنفسه خارج القانون فانقذ مصرعه العالم من كارثة. أما في الجانب الآخر - جانب اليسار الذي كان مرتاحاً إلى الجمود السوفياتي وإلى التشويشات الاشتراكية المتمثلة في انظمة «الاشتراكية القائمة فعلاً» - فإنه كان يمثل الخطر المعبر عنه في الكلمات المنتهية بالياء والتاء المربوطة، تلك الكلمات التي تثير السخط في موسكو كما في بكين، كالييسارية، والانحرافية، والتروتسكية، والاشراقية، والمغامراتية، إلخ... الخطر المعيت الذي يتهدد بيروقراطيي الأجهزة والنيمونكلاتورا. ان هؤلاء وأولئك مجموعين يمثلون في الواقع، عدداً كبيراً.

تبدو هذه الاحقاد اليوم، إن لم تضمحل بفعل مرور الزمن ومسار التاريخ، نوعاً من الكلام التافه المكرر والقديم. أما واجب الأمانة لذكرى التشي، اليوم، فينبغي التعبير عنه، بالدرجة الأولى، في النضال ضد تحويله إلى نموذج مثالي واسطورة أكثر مما في مجابهة الاحقاد القديمة، ورغم أنه أثار عند الناس كماً من الاحلام بدونها لا يتكوّن التاريخ ولا ينوجد أصلاً، فإنه لم يكن رجلاً حالماً. فمسيرة التشي في بوليفيا لا يجمعها جامع مع البحث عن ريمبو في الحبشة ولا مع رومنسية الهيببين (بيتنيكس) التي

كانت رائجة في الستينات ولا مع تنسك مرسل فرنسيسكاني، ولا مع كل المقارنات التي ازدهرت واثارت الاعجاب^(١).

فهو الذي كان يؤكد انه ماركسي ويصف نفسه كمادي بصورة راسخة، كان يؤمن بقوة التجربة والمعرفة. وكان في مقدوره أن يستشرف المستقبل، وأن يكون في الوقت نفسه، عملياً متشبثاً بالمعيوش. كان، بالتأكيد، انساناً خلقاً، غير أن الاخلاق لم يكن لها عنده أي معنى إلا إذا كانت سياسية، والسياسة ليس لها أي معنى إلا إذا كانت أخلاقية. كان انساناً يرغب في أن يكون سياسياً بكل خلاته ومشاعره، بالمعنى المتميز والنبيل للكلمة، المعنى الذي يلزم بحق وواجب الاهتمام بشؤون هذه «المدينة» العظيمة التي ينبغي أن تكونها البشرية. فمئذ عام ١٩٥٥ عندما كان لا يزال طبيباً أرجنتينياً صغيراً ومغموراً يستعد للانخراط في حملة فيديل كاسترو لتحرير كوبا من الدكتاتورية، وضع الامور في نصابها من خلال رسالة إلى والدته يقول فيها: «لست مسيحياً ولا فاعل خير. إنني نقيض المسيح تماماً وعمل الخير يبدو لي عديم القيمة بالمقارنة مع الامور التي أؤمن بها»^(٢).

لذلك بالذات حان الوقت تماماً للعودة إلى الوقائع، وقائع عصر قريب، لكنه يبدو بعيداً بصورة استثنائية، إلى درجة أصبحت مرجحة معها اليوم صعوبة فهم الاوضاع والرهانات والطموحات التي كانت تتغالب فيما بينها، والنقاشات والنزاعات التي كانت تقوم بين اناس يناضلون، بالتأكيد، في سبيل تحقيق الاهداف نفسها. وبالتالي فإن العودة سنة أو سنتين إلى الوراء في مسلسل الاحداث لا تكفي إذا ما أردنا وضع يوميات بوليفيا في سياقها التاريخي. لأن أسباب حضور التشي إلى بوليفيا مثلها مثل أسباب فشله لا يمكن اختزالها لا في نقاشات عن صحة استراتيجية سياسية - عسكرية في مرحلة معينة، ولا في البحث عن عدد من العوامل التي لم يتم

(١) المقارنة مع ارثور رانبر واضحة في فيلم ريشارد دندو «التشي في بوليفيا» (١٩٩٤). (الفيلم السابق له كان مخصصاً بالتعميد لرانبر في الحيشة). والمقارنة مع الهيبين ظهرت بقلم رامون شاور في مقدمته ليوميات رحلة تشي في أميركا اللاتينية (منشورات أوسترال، باريس ١٩٩٤) وايضاً في المقدمة الايطالية لمقتطفات يوميات تشي في افريقيا (١٩٩٤).

(٢) ذكر هاجان كورمي - التشي غيفارا - منشورات روشي باريس ١٩٩٥.

تقديرها بصورة صحيحة، وفي تحليل هذه العوامل.

من المؤكد ان كل ذلك ضروري، وبهذا المعنى فإن عنوان النص الذي كتبه فيديل كاسترو عام ١٩٦٨ تكريماً لرفيقه الشهيد «تحذير ضروري» يحتفظ بكامل قيمته. أجل إن تحذير القائد الاعلى للثورة الكوبية والقائدة الاعلى للدولة الكوبية كان ضرورياً بصورة مزدوجة عندما كتبه. فاولاً لأن هدفه الواضح كان تأكيد تضامن أخوي، تصدع قليلاً في نظر العالم، والرد بصوت عال وقوي على الشكوك التي برزت في كل مكان: ألم يرسل فيديل كاسترو، عن قصد، صديقه إلى الموت؟ ومن ثم لأنه اعطى توضيحات وقائية امكن جمعها في حينه. ولنقل فوراً وبصورة عامة، إن الوقت لم يفقدها شيئاً من صدقها.

واليوم فإن الاسئلة التي ما تزال مفتوحة والتي تشكل المفتاح الاول لهذه اليوميات، ليست في: لماذا اختار التشي بوليفيا ليقوم بالثورة؟ ولا: لماذا فشل التشي في القيام بهذه الثورة؟ هذه اسئلة هامة وحصلت على اجوبة ملائمة ولنا عودة إليها. إلا ان السؤال الحقيقي، الوحيد الذي يبرر من جديد هذه الطبعة الجديدة ويمكنه ان يلقي على التاريخ المعروض هنا ضوءه الحقيقي هو: أي نوع من الثورات كان التشي يريد في القيام به؟

إن واحدة من المعضلات التي تواجهنا تتمثل في ان الكلمات المستخدمة، الكلمات التي كانت تشكل جزءاً من لغة التشي، هي، بعد ثلاثين سنة، قد أصبحت مشبوهة، وتكاد تكون ساقطة: ثورة، اشتراكية، مناضل، شيوعية. فهي قد سئرت على الكثير جداً من الاكاذيب وحجبت الكثير جداً من الحقائق التي طالما شكلت نفياً لمدلولها الاصلي. وحتى كلمة سياسة أضحت تثير الحذر. بيد انه يستحيل فهم أي شيء عن التشي، عن حياته وعن موته على حد سواء، إذا لم نسع للتعرف على المعنى الذي كانت تحمله هذه الكلمات على شفاه أناس من أمثاله.



لما كان عصرنا هو العصر الذي فرض فيه تعبيران للاجابة عن كل سؤال: نهاية التاريخ والرأي الواحد، نرى انه من المناسب العودة إلى الزمن الذي كان يعيش فيه الناس في تاريخ يتحرك في مواجهة دائمة بين آراء متنازعة.

ففي الوقت الذي قام فيه التشي بطلعاته العامة العلنية الاولى في نهاية الخمسينات وبداية الستينات كان العالم يعيش عصر آمال لا يمكن تشبيهها في الماضي، إلا بالآمال التي اثارها ربيع الشعوب في القارة الاوروبية عام ١٨٤٨. فقد تزعزع النظام العالمي الجديد الذي تم انشاؤه في يالطا وبوتسدام: القمع الاستعماري يواجه هزيمة إثر هزيمة والاضطهاد الشمولي (التوتاليتاري) في الشرق، الذي عاد فتعتل عام ١٩٥٦ في بودابست بعد الامل الخائب بتصفية الستالينية، بدا وكأنه يمكن تجاوزه بما أخذ يظهر، هنا وهناك، مما كان يتمنى الكثيرون أن يكون شكلاً جديداً للاشتراكية: هذا الذي تمت تسميته بعد ذلك بفترة طويلة بـ«العالم الثالث». وفي كل العالم كان يقال إن الشعوب تأخذ مصائرها بيدها وتخلق مجتمعاتها جديداً: نهاية الحرب في الهند الصينية، أول مؤتمر لشعوب أفريقيا وآسيا في باندونغ، حرب الاستقلال في الجزائر، تصفية الاستعمار في افريقيا، نضال السود في اميركا من أجل المساواة في الحقوق... وكانت تظهر في كل سنة، وفي كل شهر، أشكال جديدة للنضال التحرري، بعيدة عن العقائد الجامدة، والاصولية النصية، والقدريات. وعندما كان الشبان والشابات يحلمون بالالتزام النضالي فلم يكن ذلك في حقل المساعدات الانسانية بل في المعارك السياسية، وليس من أجل معالجة البشرية المتألمة بل من أجل الاسهام في تحريرها.

وقد لعبت كوبا دوراً أساساً في هذه الحركة. فاستيلاء فريق من الشبان الملتحين من ذوي الافكار الجديدة، في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩، على السلطة في جزيرة تشكل جبراً أساساً في الامبراطورية الاميركية، هو ثورة لا تدين بشيء لمخططات الاتحاد السوفياتي الذي أعلن نفسه «جنة البروليتاريا»، أي صاحب النموذج الوحيد: «في حال أصبحت هذه الثورة ماركسية، ستصبح ذلك لأنها اكتشفت، هي أيضاً، بطرقها الخاصة، السبل التي دل عليها ماركس» هذا ما قاله التشي عام ١٩٦٠^(٣)، مشيراً إلى أنه يمكن أن توجد شيوعية أخرى. وقد حررت هذه الثورة البلاد من وصاية النظام الاقتصادي للولايات المتحدة: فهي

(٣) أول مؤتمر لاتيني اميركي للشبيبة تموز (يوليو) ١٩٦٠ المؤلفات، المجلد الثالث - نصوص سياسية - الناشر ماسبيرو باريس ١٩٦٨.

مزدوجة التحرر اذن. أدى ظهور حبة الرمل هذه إلى ادانة لانقسام العالم إلى كتلتين. وحلم كثيرون حينذاك بـ «طريق ثالث». وقد دفعوا غالباً ثمن حلمهم.

في القرن التاسع عشر، كان ربيع الشعوب قصيراً: فبعد انفجار عام ١٨٤٨ في بلدان أوروبا تمت الضربة الهائلة التي أعادت التوازن من خلال القمع الذي أعاد النظام المهتز. وفي سياق آخر حصل الشيء نفسه في السنوات التي أعقبت دخول الثوار إلى هافانا. وكما أعلن فيديل كاسترو: «لا ينبغي أن تفترس الثورة ابناًها»، إلا أن السنوات التي جاءت بعد ذلك كانت سنوات ضبط النظام. ومعروف كيف تكرر السبحة: فعلى التدابير التي اتخذها القادة الجدد - الإصلاح الزراعي، وتأميم النفط والمؤسسات الأميركية الكبيرة - ردت الولايات المتحدة بفرض الحظر ثم الحصار - القائم ابداً - وتبعتها محاولات التصفية بالقوة. فكان على الكاسترويين، الذين ليس عندهم إلا قواهم الخاصة، أن يبتدعوا كل شيء في اشتراكية تجريبية، اشتراكية حرب. وقد وجدوا، ميدانياً، حليفاً في الحزب الشيوعي الذي لم يكن عاطفاً عليهم كثيراً أثناء نضالهم الذي كان يعتبره «مغامراً». أما في الخارج فكان الاتحاد السوفياتي جاهزاً لم يد العون لهم. ين انزلاق كوبا إلى الكتلة السوفياتية الذي بدأ منذ عام ١٩٦١ باتفاقات اقتصادية ثم عام ١٩٦٢ بالتصريح الصارخ لفيدل كاسترو: «أنتي ماركسي لينيني» قد استقر نهائياً في آخر عام ١٩٦٧. في إطار هذه المرحلة تتحدد مسيرة تشي غيفارا كفائد سياسي، وكانت مسيرة قصيرة وصاخبة.

*

إن حياة التشي لم تعد فيها بقع غامضة بفضل عدد كبير من المنشورات، وبعضها من شهود مباشرين^(٤). عائلة من البرجوازية

(٤) هي بالدرجة الأولى الذكريات التي كتبها تشي بنفسه على امتداد حياته. فبالنسبة لرحلته الأولى الشبابية عبر أميركا اللاتينية، هناك كتاب لاتينو أميركا، وهو مؤلف تم ذكره وقد اكمل رواية الرحلة رفيقه في السفر البرتو غرانادو. (بالعلاقة مع الرحلة الثانية ثمة مؤلف بقلم ريكاردو روcho - رحلتي مع التشي في أميركا اللاتينية - لوسوي - باريس ١٩٦٨). أما بالنسبة لحرب العصابات في كوبا، فثمة مؤلف «ذكريات عن الحرب الثورية - ماسبيرو باريس ١٩٦٧. وفيما يتعلق بذهاب التشي إلى إفريقيا «السنة التي نكن فيها في أي مكان» =

الارجنتينية العريقة: الأب غير جدي بقدر ما هو غير مستقر (انهى ايامه في كوبا على هامش ذكرى ابنه)، لكن صورة الام هي التي تطفئ، فهي نشيطة ومتقفة، وهي التي اعطت ابنها اضافة إلى المفهوم القوي للـ«ارجنتينية» التي تختلط مع الشغف بتاريخ أميركا اللاتينية كلها، الاعجاب بالمحررين العظام وبـ«آباء الوطن» وتذوق الشعر الاسباني وأدب القارة العظيمة - لو مارتان فييرو هي ملحمة غالية على قلب كل أرجنتيني؟ - وأدب الكتاب الفرنسيين. لقد انطبعت طفولته بنشاط العائلة لمصلحة الجمهوريين الاسبان. عانى من الربو الذي لازمه دائماً، كافح لتجاوز هذه الاعاقة بممارسة مثابرة للرياضة: كان نحيلاً، متوسط القامة (متر وثلاث وسبعين سنتيمتراً، فاكتمسب بنية صلبة باتباعه قواعد تصليب الرجولة (الماشية). واننا نرى من خلال هذا الكفاح ضد المرض بوجه عام، جذور هذه الارادة الثابتة في تحمل المسؤولية وفي التجاوزات التي سوف تميز سلوكه، مضافاً إليها روح لاذعة فيها من السخرية أكثر مما فيها من الظرف: لا

= منشورات ميتاليتي، باريس ١٩٩٥. هذا الكتاب هو تركيب قام به الروائي المكسيكي باكو اينياسيو تايبو II، وهو يخطط يوميات التشي، والرواية المكتوبة بعد ذلك، ثم نصوص أخرى، وهو لا يقدم للأسف إلا مقتطفات مبتورة. أما الشهادة الأساسية عن حرب العصابات البوليفية فهي تبقى كتاب ريجيس دويري عنها. وهو الصادر عن السوي - باريس ١٩٧٤، مكتملة بالمقطع المكس لها في «الماسك»، غاليمار باريس ١٩٨٧. وينبغي أن يضم إليها التحليل، التبارز لتوماس فيرلان، «صوت التشي غيفارا. مشكلات اختيار مسرح للعملات في بوليفيا، مهمة هيرودوت عدد ٥، باريس ١٩٧٧. الروايات الأولى للناجين الكوبيين بـ«بومبو»، «أوبرانو»، «بينغونو» - وهي قد نشرت للمرة الأولى في مجلة القارات الثلاث - الطبعة الفرنسية، ٤، ١٩٧٠. وشهادة «بينغونو» (العقيد داريل الاركون راميريز) التي صدرت حديثاً (ذكريات عن التشي منشورات روشي مونكو، ١٩٩٥) وهي تعرض كفاح الناجين من حرب العصابات: يعطي صورة مدهشة عن الاوساط التي تحركوا فيها، الصورة التي تبدو غامضة في يوميات التشي. إن السيرة الوحيدة للتشي الصادرة حتى الآن هي التي سبق وذكرنا، وهي بقلم جان كورمبي الذي جمع شهادات القريبين منه. وهي نسيج من الكليشيهات وافكار معروفة وتقديرية، ولا تقدم أية عناصر جديدة. ولا بد من انتظار اصدار الكتاب الذي يجري اعداده من قبل بيروكالفون للمصوّل على السيرة الجديدة التي نفتقدها. أما الكتاب المرجع عن الافكار السياسية للتشي يبقى رغم قدمه، فكر تشي غيفارا لميشال لوي، منشورات ماسبيرو، باريس ١٩٧٠. ومعظم نصوص التشي موجودة في المجلدات الستة المجموعة باسم المؤلفات. منشورات ماسبيرو.

يرحم نفسه وقاس مع الآخرين، كان قارئاً مواظباً لغاندي منذ سن الثامنة عشرة، في خلال دراسته للطب، عهد البيرونية.

في الواحد العشرين من عمره، عند نهاية المرحلة الاولى لدراسته الطبية، قام بجولة طويلة، على الدراجة النارية، نحو شمال القارة مع صديق أكبر منه، طبيب أيضاً، وأكثر تسيساً، قريب من الشيوعيين الأرجنتينيين. وقد اكتشف من خلال صلاته مع هذا الأخير طوال جولتهما، الواقع الاجتماعي للقارة، وهناك بالذات بدأت، ميدانياً، عملية تكونه السياسي. فقد عمل في مستشفى برص، وحل في منجم، وتعرف على حياة الجماعات الهندية. وشرح ذلك فيما بعد فقال: «بسبب الظروف التي أحاطت بسفري كنت على صلة وثيقة مع الفقر، والجوع، والمرض. كنت أكتشف أنه يستحيل شفاء أطفال مرضى بسبب النقص الوسائل، وشاهدت الانحطاط بسبب النقص في الغذاء والقمع الدائم»^(٥). ويشير مخايل لروي عن حق بأن سلوكه يشابه سلوك «الأطباء الحمر» الأوروبيين في القرن التاسع عشر الذين انحازوا إلى المذاهب الاجتماعية الثورية بفعل تجربتهم الطبية.

في وقت استلامه في بوينس آيريس اجازته الطبية انطلق في رحلة أخرى، عام ١٩٥٣، قادته حتى غواتيمالا. هنا طرأ عنصران أساسيان في تكوينه: زوجته المقبلة، الاولى، هيلدا غاديا (طلقها بعد ان التقى الثانية، اليدا مارش في حرب العصابات الكوبية) وهي بيروفية مناضلة في الجناح اليساري في الحركة الديمقراطية (أبرا APRA)، وكانت في المنفى اثر الانقلاب الذي قام به الجنرال أودريا في ليما، ويبدو أنها هي التي جعلته يقرأ، للمرة الاولى، بعض الكلاسيكيات الماركسية، إضافة إلى لينين وتروتسكي وماو. اما العنصر الثاني فكان التدخل الاميركي في غواتيمالا - تحت ستار غزو جيش من «المرتزقة» المجهولين - الذي وضع حداً لنظام الجنرال أربنز الشديد الاعتدال في تقدميته وأحل محله الدكتاتورية. سجنّت هيلدا غاديا بعض الوقت، أما أرنستو غيفارا فقد شارك في المقاومة ليصبح بعدها معدياً في مكسيكو. وقد تم وصفه، بالتتابع، بالطبيب المتطوع والمصور الجوال، وصياد الفراش. وخطط لاعداد كتاب حول مهمة الطبيب في أميركا اللاتينية. في هذه اللحظة بالذات، في تموز ١٩٥٥،

(٥) محاضرة في معاونيه، تموز يوليو ١٩٦٠.

تم اللقاء الحاسم. فقد كان الفريق الثوري الكوبي الذي يعده فيديل كاسترو لمقاتلة دكتاتورية الجنرال باتيستا يفتش عن طبيب. فتم تجنيد ارنستو غيفارا وأصبح «التشي» وهو اللقب الذي يطلق على كل أرجنتينيين في اميركا الاسبانية.

لقد دخل التاريخ منذ ذلك الحين. فبعد النزول في السيرا مايسترا في كانون الاول ١٩٥٦ والانتفاضة الفاشلة، قام الفريق الصغير الناجي بشن حرب عصابات، طوال أكثر من سنتين، انتهت بالانتصار. وتحول التشي من طبيب إلى قائد ثوري - كان الآخرون إضافة إلى كاسترو، شقيقه راوول وكاميليو سانفويغوس. ان الصداقة التي انعقدت بين فيديل وبينه كانت وثيقة وأخوية، صداقة مارس من خلالها، كل منهما تأثيراً حقيقياً على الآخر - إنما بالاحترام الواضح، من قبل التشي، احترام الصغير لأخيه الأكبر: ونلمس ذلك في الاشعار التي نظمها على شرفه قبل مغادرته: «لنطلق، يا نبي الفجر المعتد حماساً، لتحرير الأرض الخضراء التي تعشق [...] فعندما يصدح صوتك في الأرجاء الأربعة: الإصلاح الزراعي، العدالة، الخبز، الحرية، نقف إلى جانبك مرددين نفس الكلمات...» ثمة حقيقة تفرض نفسها بكل جدية: بدون فيديل لم يكن بإمكان التشي ان يصل إلى ما وصل إليه، ومن الأرجح أن العكس صحيح أيضاً.

عهد إلى التشي، في نهاية عام ١٩٥٨، الذي وصل إلى أعلى رتبة، رتبة قائد، ان يقود طابور الهجوم باتجاه هافانا. وقد انتصر في المعركة الحاسمة التي أوقعت في أيدي الثوار إحدى أهم مدن الجزيرة سانتا كلارا، وكرسست هزيمة الدكتاتورية المشلولة باضراب شامل شارك فيه الحزب الشيوعي الكوبي متأخراً إنما بفعالية عالية. وقد أصبح، اثر ذلك عضواً في أول فريق قيادي للجيش الثائر الذي سيطر على السلطة الفعلية - فالصيغة الشكلية الخيالية لجمهورية ديمقراطية «بورجوازية» مع رئيس اصلاحي معتدل، الدكتور اورتيا، لم تعش سوى أشهر معدودة. وقد تقلد التشي على التوالي - وأحياناً في الوقت نفسه - مسؤوليات سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى ليسمع فيها صوت الثورة، ومنظم للميليشيا وبخاصة لمكافحة المجموعات المعادية للثورة التي ظلت تعمل حتى عام ١٩٦٤ في جبال الاسكمبري، وحاكم للبنك المركزي، ومسؤول عن

التخطيط (جوسبلان)، وأخيراً منصب وزير الصناعة.

في طلعاته العامة الأولى اتهمته الصحافة الأميركية بأنه العميل الشيوعي المهندس في صفوف المحيطين بفيديل كاسترو. ومنذ عام ١٩٥٩ أشارت مجلة يواس نيوز اند وولد ريبورت إلى أن «غيفارا هو، بالاستناد إلى مصادر علمية، أحد عملاء الشيوعية الدوليين الذين يعملون بسرية». في عام ١٩٦٢ كتبت مجلة التايم: «فيديل هو القلب والروح والصوت والوجه الملتحي لكوبا الحالية. وراول هو القبضة التي تمسك بخنجر الثورة. وغيفارا هو دماغها، انه عضو الثلاثي^(٦) الأكثر اثارة والأكثر خطورة».

والحال فاننا نرى بوضوح في هذا الموجز لهسيرته أن لا مكان فيها للتكوين الكلاسيكي للمناضل، ولا أيضاً، وبصورة خاصة، لمروره في مدارس الملاكات، وفي غيرها من وسائل التكوين النظري لتجعل منه عميلاً دولياً. لقد كانت للتشي علاقات أكيدة مع الحزب الشيوعي الغواتيمالي، إلا انها كانت علاقات سلبية: فقد انصرف عن الحزب بفعل السلوك البيروقراطي لملاكاته. وعلى الصعيد الفكري كان تكونه قبل كل شيء، تكوناً ذاتياً من خلال قراءاته. وكانت هذه القراءات تتجه إلى الماركسية لكنها لا تنحصر فيها بتاتاً. وعلى كل حال فانه تمسك بصورة «منفتحة» غريبة عن الماركسية بوصفها علماً، مؤكداً أنه لا يستبعد منظومات فكرية أخرى، يمكن اضافتها إليها. وكان يعتقد أن ماركس نفسه بارتباطه بلحظة معينة من التاريخ، ربما وقع في خطأ ويمكن تجاوزه، كان يقول: «يمكن للمرء أن يكون «ماركسياً» تماماً كما يمكن أن يكون «نيوطونيا» في الفيزياء و«باستورياً» في البيولوجيا، مع الأخذ في الاعتبار أنه في حال نتج عن المظاهر الجديدة مفاهيم جديدة، فان المفاهيم السابقة تحتفظ بقسطها من الحقيقة»^(٧). وعندما اضحى التشي في السلطة غمر مؤلفي «كتب تعليم الماركسية اللينينية بسخريته».

على كل حال فان التشي لم يقرأ الجزأين الأولين من كتاب رأس المال إلا في مكسيكو وقد أعارهما له صديق ساعده كثيراً هو ارنالدو وأورفيل رينال وكان آنذاك، مديراً لدار نشر هامة، (فوندو دو كولتورا ايكونوميكا).

(٦) في هذا الوقت، قتل كاميلو شينفويغوس بحادث طائرة.

(٧) حول ايديولوجية الثورة الكوبية. أركتوبر ١٩٦٠، المجلد الثالث.

في عام ١٩٦٤ فقط، عندما صار وزيراً، ولكي يوطد موقعه في النقاش الايديولوجي حول الخيارات الكبرى للثورة، عمد إلى قراءة كتابات ماركس في مرحلة الشباب، حيث اكتشف أسساً لماركسية «إنسانية».

وعلى الصعيد العملي فإنه ينسب تكونه، يوماً بعد يوم، من خلال حرب العصابات في وسط الفلاحين الكوبيين، وفي مواجهة الوقائع الاجتماعية التي يعيشها الشعب. وهو يعبر عن ذلك بقوله: «ثورتنا هي ظاهرة فريدة أراد البعض أن يرى فيها تناقضاً مع واحدة من أسس أورثوذكسية الحركة الثورية كما كان يعبر عنها لينين: «لا وجود لحركة ثورية بدون نظرية ثورية». من المفيد القول [...] إنه يمكن القيام بالثورة في حال تمت قراءة صحيحة للواقع التاريخي، وفي حال تم استخدام مناسب لقواها حتى ولو لم نكن نعرف النظرية»^(٨).

النظرية والممارسة: لقد ظل التشبي دوماً، حتى استشهاده، انساناً يتكون باستمرار وقارئاً نهماً وانتقائياً. ففي عام ١٩٦٥ في الأدغال الكونغولية، كتب يقول ان الإمتياز الوحيد الذي يسمح لنفسه به هو قليل من القهوة وكتب: وفي بوليفيا يشير ريجيس دوبري إلى أنه كان يراه ينعزل ليتمكن من القراءة: «كان يسجل ملاحظات ويخربش، أو يتوقف مفكراً، وقد انطبعت مداخلاته، طوال ممارسته للسلطة، بأفكار تبدو وكأنها أسئلة ومحاولة لاقتناع ذاتي، وكان يرى في النقاش والسجال الوسيلة الراسخة للتعمق».

إن مسألة معرفة إذا ما كانت المجموعة القيادية الكاستروية، على علاقة بالشيوعية، منذ البداية، هي مسألة قديمة قدم الثورة الكوبية ذاتها. هل أن التشرد الاميركي السريع هو الذي دفع الثوريين إلى الجبهة المواجهة؟ تشرد نتج عن المفاجأة برؤيتهم ينفذون فعلاً برنامجاً كانوا يظنون في واشنطن أنهم مثل الذين سبقوهم في أميركا اللاتينية، سينسونه ويهملونه منذ وصولهم إلى السلطة... أم على العكس من ذلك، وكما أوضح فيديل كاسترو نفسه، تمّ ذلك نتيجة لنضج وبلوغ حتمي للوعي؟ من غير المفيد الاستمرار بهذا النقاش، لكن لا بد من الإشارة إلى أن التشبي كان الوحيد، بين ثوريي حرب العصابات الكوبية، الذي كان عنده، إلى حد ما، ثقافة

(٨) ذكر ذلك ميشال لوي.

ماركسية. بالطبع قيل الكثير عن علاقات أقامها راوول كاسترو مع المنظمة الطلابية الشيوعية. لكن الأكيد، بالمقابل، هو أن تربية فيديل كاسترو لم تكن تؤهله لاتخاذ مواقف كهذه: فالمنظمة التي كان ينتسب إليها قبل تأسيسه لحركة ٢٦ تموز (يوليو) كانت حزب ادواردو شيباس الأورثوذكسي، وهو حزب مطبوع بشعبوية يمكن تقريبه، في العصر ذاته، من حركة العدالة البيرونية التي انخرطت بنشاط في حملة العداء للشيوعية زمن الحرب الباردة. وأقر فيما بعد بقوله: «في وقت تعرني إلى التشي كان على تطور ثوري متقدم عن تطوري من الناحية الأيديولوجية. فقد كان من الناحية النظرية أكثر مني ثقافة»^(٩). ماذا نقول: بين فيديل الذي كان يردد في آخر الخمسينات: «لم أكن أبداً ولن أكون أبداً شيوعياً»^(١٠). وبين الذي أكد عام ١٩٦٢: «أؤمن إيماناً مطلقاً بالماركسية اللينينية. أؤمن بها منذ ٢٦ تموز (يوليو) عام ١٩٥٣؟ أجل كنت أؤمن بها»، وأين هي الحقيقة؟ بالطبع فإن فيديل كاسترو هو أستاذ «التصحّحات» في كل اتجاه.

في الواقع، إذا ما وجد أساس مشترك بين التكون الفكري لفيدل وللتشي فهو ليس في «الماركسية اللينينية» «المكتشفة» من قبل الأول والانتقائية لدى الثاني، بل هو في المصادر الأساسية المرتبطة بحروب الاستقلال الأسبانية - الأميركية: وطنية ملتزمة ليست هي وطنية الشعب وحسب بل أيضاً وطنية البورجوازية الكبيرة والصغيرة التي لا مصلحة مباشرة لها بالاندماج في الاقتصاد الأميركي الشمالي ووطنية تطال القارة كلها، وتربي الناس على تمجيد المحررين العظام: بوليفيا، وسان مارتان الذي كان يرفض حصر الوطن داخل حدود ضيقة، وثم، فيما بعد، مكسيمو غوميز، مؤسس الجمهورية الكوبية الذي مثل التشي، جاء من بلد آخر، سان دومنغ. وطنية تجسدت في نظر فيديل في «رسول» الاستقلال جوزي مارتني، واتخذت طابع رفض «الامبريالية الأميركية» (اليانكي)، أي معارضة شاملة، ثقافة ضد ثقافة أخرى، رؤية للعالم ضد رؤية للعالم، أساطير تأسيسية ضد أساطير تأسيسية، أميركتنا ضد نمط الحياة الأميركية. وشأن الكثيرين من الأميركيين اللاتينيين، فإن تراث الماضي

(٩) نقلاً عن لي لوسكوود، كاسترو كوبا، كوبا فيديل، ماك ميلان، نيويورك، ١٩٦٧.

(١٠) ذكرها جان بيار كليرك في «فيديل كوبا» رمسي، باريس ١٩٨٩.

هو أقل تأثراً بماركس المكتشف حديثاً منه بروسو الذي طبع بطابعه كل مجرى القرن التاسع عشر في القارة: بالحلم في امكانية تغيير العالم بالبدء بتغيير الانسان. في هذا تلتقي بصورة عجيبة، أخلاقية التنشي العلمانية بتلك الدينية الاصل لدى فيديل، المكتسبة من اليسوعيين في المدرسة، والتي عبر عنها في واحد من شعاراته الاولى: «الذين ينتقدون الثورة يصلبون المسيح».

*

عند فيديل والتنشي ايضاً نفاد صبر تاريخي مشترك. ففي أقل من سنتين أخذت الثورة تحرق المراحل. اصلاح زراعي صفى الملكيات الكبيرة التي كان يعود قسم كبير منها لشركات أميركية، وحملة لمحو الأمية، مع برنامج واسع لنشر المدارس والتعليم، وتأميم للقطاعات الاقتصادية الكبرى الذي أضر كثيراً بمصالح الجار الكبير: فكوبا كانت جنة ضريبية، نوع من الولاية الواحدة والخمسين. ولاية أميركية ملحقه حيث النشاط المشروع وغير المشروع كان يجد التربة المؤاتية جداً: مصافي نفط، مطابع صحف (ريدرز ديجست بالاسبانية) أكبر مصنع للكوكاكولا، وأيضاً واحد من أكبر تجمعات الكازينوهات التي يحوم حولها كل أنواع التجارات الممنوعة والمشبوهة التي يشدها كسب المال السهل. بيد أن التصفية لكل ذلك قد تكون أقل خطورة من المثال الذي أعطاه النظام الجديد للبلدان الأميركية اللاتينية الأخرى ولكل المدى الأميركي.

لقد تصاعدت المواجهة مع الولايات المتحدة بسرعة. ففي عام ١٩٦١، سُنيت بفشل ذريع، في خليج الخنازير، حملة لـ «تحرير» الجزيرة على طريقة غزو غواتيمالا: كان واضحاً أن البيت الأبيض الأميركي أخطأ في فهم العصر، فكانت النتيجة الأكثر وضوحاً هي التقاف سكان كوبا الوثيق حول القادة الكاسترويين. وقد طلب هؤلاء مساعدة عسكرية من الاتحاد السوفياتي، وقامر خروتشوف مقامرة هائلة بوضعه في الجزيرة صواريخ نووية موجهة إلى الضفة الأميركية. ان «أزمة الكراييب» في أكتوبر ١٩٦٢، وضعت العالم على حافة حرب عالمية ثالثة. وتراجع السوفياتيون أمام التهديد الأميركي وسحبوا الصواريخ دون حتى التشاور مع محبيهم الجدد. فوجدت كوبا نفسها في عزلة مأساوية لا سابق لها. كان يجب إعادة

بناء اقتصاد يضع حداً للجنة التبعية وبنوع خاص، لوحداية زراعة السكر، وتلافي الهجرة الواسعة للطبقات الميسورة، أي للملاكات التي لا غنى عنها من مهندسين وأطباء، وتعبئة المجتمع لتأمين الدفاع والانتاج على حد سواء. ولأن شعاراً آخر لفيديل كاسترو يعلن أن «الحقيقة وحدها هي ثورية» لم يكن ثمة من هو أكثر من التشي الذي أصبح أستاذاً في فن «قول الحقيقة» ليقول ويمارس حقيقة الثورة في الداخل وفي الخارج؟ ولم يتأخر التشي عن قول الكلام الجيد على كل الجبهات قول أكثر من الحقيقة، الحقائق الأربع عن أولئك الذين كانوا يعيقون مسيرة الثورة.

إنه وضع فريد في التاريخ، على الأغلب، وضع قائد لبلد حافظ بهذا الداب، على لغة من هذا المستوى من الجذرية المتطابقة مع فعله وأفكاره. ولأن العمل السياسي هو فن التسويات، والتنازلات فقد انعقدت المأساة، هنا، لتنتهي في أحد الوديان البوليفية.

تحددت استراتيجية التشي عندما صار على رأس وزارة الصناعة عام ١٩٦٣. وهي تقوم على إعادة نظر شاملة ليس فقط في العلاقات الاقتصادية، كما هي موجودة في نظام رأسمالي، وهذا أقل الأشياء، بل أيضاً كما تجري ممارستها في البلدان الشيوعية. كان التشي يهدف، بكل وضوح وبساطة، إلى إلغاء قانون القيمة. فالاقتصاد يجب أن يكون ممرزاً: ووسائل الإدارة الحديثة ينبغي أن تتيح القيام بمحاسبة شاملة تتجاوز مبدأ الربعية على قاعدة كل فرع بمفرده والعلاقات التجارية بين الفروع ليحل محلها وضع آخر، وضع الملكية العامة الشاملة. وهو يريد استبدال استقلال المؤسسات الذاتي المالي بنظام الميزانية العامة في التمويل الذي يقرر سلفاً اتخاذ خيارات بموجب الخطة، تحرير حركة الاقتصاد من قانون السوق، وإحلال السياسة على رأس الاقتصاد.

يريد التشي بمعنى آخر استبدال «الحوافز المادية» - سلسلة الأجور، والمنح المرتبطة بمستوى الانتاجية والربعية - التي تميز مصلحة الفرد الخاصة، مع اعترافه بضرورة مرحلة، انتقالية، بـ «الحوافز المعنوية»: رفع قيمة الفرد في المجتمع الذي يميز المصلحة الجماعية ويشجع «العمل التطوعي»: «موقف جديد من العمل»، ذلك كان عنوان أحد خطب التشي التي ألقاها في تجمع للعمال عام ١٩٦٤.

تميز عام ١٩٦٣ وجزء من عام ١٩٦٤ بنقاش أظهر الحجم الكبير لما

يلاقي التشبي من مقاومة، ولم ينخرط فيديل كاسترو فيه مباشرة، وفي البداية، ساند عمل رفيقه الذي اختاره لهذا المنصب الأساس. وهو في مطلق الأحوال، لا ينزعج من مفهوم إدارة مركزية للجزيرة لأنه يوفر له سلاح حكم مطلق، حتى ولو أن التشبي اشترط رقابة وثيقة للشغيلة، وهو شكل للديمقراطية معروف. ما آل إليه في الاتحاد السوفياتي، وقد حذر الخبراء الدوليون الذين طولبوا بإبداء الرأي، منذ البداية، حتى الحلول الشمولية، الواسعة النطاق، والارادية: لا يقاد الاقتصاد كما تقاد حملة عسكرية، حتى ولو كانت في حَرَب عصابات، ويتأسف ريني دومون، مثلاً، لأنهم لم يأخذوا بنصائحه: تكييف الهياكل القائمة، وتحسين الأساليب التقليدية، عوضاً عن قلب الزراعة رأساً على عقب وبصورة جذرية.

وإذا ما ترك فيديل الأمور تسير طويلاً وبتأييد منه، فلم يكن الحال هكذا مع عدد من الملاكات القائدة، المكونة حديثاً، أو المارة في قالب الحزب الشيوعي الكوبي القديم، الذين يرون أن بناء الاشتراكية ينبغي في أن يأخذ في الاعتبار التجارب «القائمة فعلاً»: وكان ذلك في عصر الخروج من الجمود الستاليني، عندما كان الاتحاد السوفياتي والدائرون في فلكه يختبرون إصلاحات تهدف، بخاصة، إلى ادخال قسط من قانون السوق في الاقتصاد. هذا هو التناقض الذي وجد التشبي نفسه فيه: إنه وهو ينطلق من مفاهيم وقيم الشيوعية، يواجه مباشرة الذين يجسدون فعلاً الشيوعية في العالم ويجسدونها في كوبا أولاً.

لقد دار السجال علناً - كما كان الوضع عند البلاشفة في السنوات التي أعقبت ثورة أكتوبر - وبين مسؤولين سياسيين أولاً: فوزير التجارة الخارجية البيرتو مورا كان بين أوائل الذين تصدوا لمفاهيم التشبي. ثم تتالى الخبراء: اختصاصي التخطيط الاشتراكي شارل بيتلهيم، المدعو بوصفه مستشاراً، حذره مما دعاه بناء «اقتصاد في القمر»^(١١). وأجابه علناً أيضاً، خبير آخر استدعاه التشبي لنجدته هو أرنست مونديل، الرأس المفكر للاممية الرابعة التروتسكية (ذلك ليس أخف الاستفزازات) فقال: «إن السماح لقانون القيمة بتوجيه التوظيفات الحالية يعني المحافظة

(١١) شهادة شارل بيتلهيم في كتاب جان كورمبي المذكور سالفاً.

أساساً على البنى الاقتصادية غير المتوازنة الموروثة عن الرأسمالية^(١٢).

وتختلط في هذا السجال، مع الاعتبارات الاستراتيجية، اعتبارات أخرى غير شريفة. فمجتمع المساواة الذي يتكلم عنه التشي، الذي يعطي فيه المرء أفضل ما عنده، لا ينسجم وذوق الملاكات الجديدة المتمسكة بوضعها وبامتيازاتها (حتى ولو كانت هذه، في حينه، لا تقاس بما عند الصفاة (نيمكلاتورا) السوفياتية). فكيف لا يشعر هؤلاء بالخطر عندما يؤكد التشي ضرورة متابعة الثورة بصورة «غير متقطعة» وعندما يعود إلى مفهوم حزب الطليعة اللينيني، إلى نخبة بين النخب ويضع معايير انتقائها على أساس «أخلاقي»؟ وقد أوجز فيما بعد، في حرب العصابات الأفريقية، مفهومه لانتقاء الملاكات بهذه الصيغة المخيفة: «من ألف ينبغي تحويلهم إلى مئة، ومن مئة يستخرج عشرة، ومن عشرة اثنين»^(١٣).

وهنا من المناسب أيضاً، أن نعيد إعطاء صورة أكثر دقة لعلاقات التشي مع العاملين معه. فهي نقيضة لـ «عيد كوبي» بهيج، لتلك الصورة التي ما تزال موجودة حتى اليوم، وتجعل منه رجلاً مرحاً عطوفاً على الطريقة الفرنسية/سكانية. إن قدرته على إثارة روح قوية من التفاني يشهد عليها تاريخه كله في حياته وبعد مماته. إلا أن ذلك يقوم على احترام متبادل مكتسب من كثرة المعاناة المشتركة، والجهود المبذولة سوية. كدود في العمل انه هكذا فعلاً، ويتطلب ذلك من الآخرين أيضاً. فالذين عرفوه في وزارة الصناعة لا يبخلون برواية النوادر التي تظهر التشي شديد التطلب، مهلكاً جسدياً للقريبين منه، وراشقاً الكسالى بلاذع سخريته. تتفق ذكرياتهم، من كل النواحي، مع ذكريات ريجيس دوبري عندما يصفه في حرب العصابات البوليفية يقول: «إن لغيظه برودة مادة تتناقض مع الشعور بالتفوق الأخوي الذي يوحى به في الاوقات العادية. يصبح كانه يريد القضاء على حالة التواصل ليحل محل حالة عزلة وطيدة. [...] ويبدو التشي كانه يفرض الانضباط فرضاً صارماً، دون أي تحضير أو اعتبار للعلاقات الشخصية [...] لقد جعل من هذه القاعدة في المساواة، أو

(١٢) أرنست مونديل «الانماط التجارية في المرحلة الانتقالية». نيوسترا اندستريا، هافانا، حزيران (يونيو) ١٩٦٤.

(١٣) في السنة التي نكن فيها في أي مكان، مؤلف مذكور سابقاً.

التقشف والامانة، قانون إيمان وحجر زاوية»^(١٤). وأخيراً نضيف أن ليس لدى الجميع في كوبا نفس الرؤية «القارية» عن الوطنية، التي لدى فيديل، وأن الذين يتحملون بصعوبة أوامر من أرجنتين كانوا أكثرًا.

ومن الملفت أو له مغزى، كون مداخلاته الأخيرة في اجتماعات العمل في وزارته، حيث كان يكرر مجموع مفاهيمه ورؤاه، لم يجر نشرها في حياته. لم تنشر إلا بعد موته وفي مجلة أجنبية^(١٥). ويبدو التشي في هذه الخطب عميق الخيبة مما شاهد في البلدان الشيوعية من خلال جولة طويلة. وهو يفضح فيها «التزمت الاشتراكي»، وينتقد التوجهات الاقتصادية التي تمكن من مشاهدتها ميدانياً، ويؤكد ازاء نظام الريعية المعتمد في بعض المصانع السوفياتية، «أن هذا النظام كان واسع التطور في كوبا قبل الثورة، لأن الأمر كان يتعلق ببساطة برأسمالية صافية».

في الواقع، كشف التشي منذ بداية عام ١٩٦٤، عن ممارسة مهماته في وزارة الصناعة إلا في فترات قصيرة. فالرحلات التي قام بها في العالم والتي قادت إلى الاتحاد السوفياتي والصين وآسيا وأفريقيا كانت تحجب بصعوبة عزله عن القيام بدوره في شؤون البلاد الداخلية. بقيت الشؤون الخارجية، وقد خاضها طويلاً وفي مجابهة دائمة.

في البداية، هنا أيضاً، كان الاتفاق كاملاً بين فيديل والتشي. فروياهما ليست قارية وحسب بل كونية أيضاً، وهي تقوم على اعتقاد بأن الثورة المعزولة محكومة بالاختناق ولا تكتب لها الحياة إلى إذا اتبع مثالها في العالم. فعلى «إعلان فيديل الذي يؤكد عام ١٩٦٠ بأن «الديمقراطية لن توجد في أميركا اللاتينية إلا يوم تصبح الشعوب حرة فعلاً في الخيار، يوم لا يعود المستضعفون خاضعين لأبشع أنواع الطغيان»، تجيب نداءات التشي بـ «الأممية البروليتارية». لكنه حدد مفهومه لهذا التغيير بالصورة الأكثر وضوحاً في الخطاب الذي القاه، لدى ظهوره الرسمي الأخير في الجزائر شباط (فبراير) ١٩٦٥، بصفته وزيراً يمثل كوبا في الندوة الاقتصادية للتضامن الآسيوي - الأفريقي. فهو قد طور المواضيع التي كان قد تعرض لها أمام الأمم المتحدة في نيويورك قبل شهرين. والام

(١٤) ريجيس دوبري - الأئمة مؤلف سبق ذكره.

(١٥) «الخطة والناس» ١٩٦٤، نشرت للمرة الأولى في الجريدة الإيطالية المانيستو عام ١٩٦٩.

يتعلق بادانته، على الصعيد الدولي، هذه المرة، لقانون القيمة الذي حاول الغاءه على الصعيد الوطني. فهو قد أعلن متوجهاً على أعلى مستوى، باسم دولة وشعب إلى مجموع دول وشعوب العالم، ادانته مرة أخرى، وباستمرار الامبريالية، ودعا إلى وحدة جميع الشعوب المضطهدة أو المستقلة حديثاً إلى اقامة جبهة مشتركة. وحدد الموقعين الأساسيين اللذين يجري فيهما، حالياً، الكفاح: الفيتنام، حيث يخوض الاميركيون حرباً جديدة لسحق جبهة التحرير الوطني الجنوبية المدعومة من الفيتنام الشمالية، والكونغو - كينشاسا، حيث تم اغتيال باتريس لومومبا الرئيس الأول لعهد الاستقلال، ويحاول انصاره مقاومة وضع اليد النيوكولونيالية من جانب البلجيكيين (رجلهم تشومبي)، ومن جانب الاميركيين (رجلهم موبوتو). في هذا «الكفاح حتى الموت الذي لا حدود له»، الحلفاء الوحيدون المحتملون هم البلدان الاشتراكية. إلا أن ذلك لن يكون فعالاً إلا إذا كانت مساعدتهم غير مشروطة. بدون اصطفاة ايديولوجي مفروض، وهو يستعيد هنا مثال كوبا: «اننا لم نسلك طريق الشيوعية محددين كل مراحل التطور الايديولوجي الذي من شأنه انه يؤدي إلى هدف معين. فالحقائق الاشتراكية، مقرونة إلى الحقائق القاسية للامبريالية قد صهرت شعبنا ودلته على الطريق التي سلكتها فيما بعد...» ورفض، بنوع خاص، الشروط الاقتصادية: فقد أعلن رفضه لنمط العلاقات التي تقيمها البلدان الاشتراكية مع البلدان الضعيفة التطور، فهي «علاقات يزيها قانون القيمة والتبادل غير المتكافئ الناتج عنه [...] فإذا ما اقمنا هذا النمط من العلاقات علينا الاقرار بأن البلدان الاشتراكية هي، في هذه الدرجة أو تلك، متواطئة مع الاستغلال الامبريالي.

خطاب استفزازي، وذلك في وقت تضطر فيه كوبا أن تكافح على جبهتين، جبهة الحصار الاميركي، العدواني والشامل، وجبهة المساعدة السوفياتية، وهي نفخة الاوكسيجين الوحيدة «ضد الاختناق»، التي تأثرت سلباً، إن لم يتم التشكيل فيها، في اعقاب أزمة الصواريخ في تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٢، لرفض كوبا أن تكون بيدقاً بين بيادق أخرى في الكتلة الاشتراكية.

عاد بعد بضعة أيام إلى هافانا وقد جاء فيديل كاسترو ينتظره في المطار. كان ذلك آخر ظهور علني للثشي، فقد انعزل لمدة يومين بصحبة

رئيس الجمهورية دورتيكوس. والأرجح أننا لن نعرف ابداً المضمون الدقيق لمحادثاتهما. فالشاهد الوحيد، دورتيكوس انتحر بعد عدة سنوات وكان قد صار مهمشاً. وصوّر هذا الانتحار في كوبا بأنه نتيجة ارهاق، وهو التفسير المعتاد لكل انتحار سياسي، وهو لن يكون المسؤول الوحيد في الثورة الكوبية الذي ينتهي بهذه الصورة. لقد اختفى التشي!



كان قد ترك، سابقاً، نصاً يشكل وجهة سياسية حقيقية. وهو كناية عن رسالة طويلة موجهة إلى مدير مجلة مارشا الأوروغوايية جواباً عن طلب حديث معه. وقد تم نشرها، فيما بعد، في هافانا بكراس تحت عنوان الاشتراكية والانسان في كوبا. وهو يستعيد فيها المواضيع العزيزة عليه مواضيع ماركسية شخصية جداً، حيث لا يشكل النضال الطبقي بل الانسان محركاً للتاريخ. «انسانية» هي الكلمة المفتاح الشديدة الترداد، كه كانت دائماً، منذ سنوات خمس، على لسانه وعلى لسان فيديل، وهو يعيد التأكيد أنه: «بمتابعة الوهم عن تحقيق الاشتراكية بالاسلحة الفاسد، الموروثة عن الرأسمالية (البضاعة باعتبارها وحدة اقتصادية، والريعية، والمصلحة المادية الشخصية بوصفها حافزاً، إلخ)، يكمن خطر الوصول إلى المأزق». بيد انه ينطلق إلى الأبعد هذه المرة، لأن الانسان بالذات هو مركز كل شيء. وما ينبغي تغييره ليس علاقات الانتاج، بل الانسان نفسه. وما يجري في كوبا هو إذن. بناء انسان جديد. فكتب يقول: «حتى اليوم.. لم نفهم ضرورة خلق انسان جديد لا يكون انسان القرن التاسع عشر، ولا انسان قرننا المنحط والفساد، علينا أن نخلق انسان القرن الواحد والعشرين حتى ولو لم يكن ذلك، الى الآن، إلا مجرد طموح ذاتي وليس نمطاً ثابتاً. [...] فالثورات التي تنشده الانسان الجديد بصوت الشعب الحقيقي تحقق مبتغاها»^(١٦).

أنه نص مخيف حيث نقرأ عن ارادة لاقامة نوع من «مدينة الله»

(١٦) «خطاب الجزائر» و«الاشتراكية والانسان» في المجلد III.

أوغسطينية على الأرض، عوضاً عن مجرد مجتمع أكثر عدالة. نص نعيد فيه اكتشاف كل المراهنات الكامنة عند روسو. كيف يمكن أن نفرض على الناس باسم الانسانية مجتمع أخلاق مطلقة، دون اللجوء إلى الإكراه؟ إنه نص تصعب قراءته اليوم بعد رؤية الأحلام بالمجتمع الجديد تغرق في نزوات جنون العظمة التي طغت على تنظيم المدينة الفاضلة بوجهها الأوضح في بوخارست شاوشيسكو كإطار لحياة الانسان الجديد، وبفضاعة الغولاك للذين يعاندون رافضين هذه السعادة. كان التشي في السادسة والثلاثين عندما كتب هذا النص، وثمة ما يدعو إلى اعتباره استفزازاً أخيراً، نوعاً من الرغبة في المساجلة، في نهاية نقاش واجه فيه الانكسار عند كل خطوة ضد الجمود والرداءة. فهل كان يمكنه أن يتصور بأن الثورة الثقافية التي يدعو إليها، ستأخذ بعيد ذلك، في الصين، ذلك الوجه العظيم؟ إلا أنه من المسموح به، حكماً، اعتبار أن هذه الرسالة ليست مجرد طوبى باردة بل صرخة غضب وتعبيراً عن قلق شديد ضد كل مظاهر الاطمئنان، وفي الوقت نفسه، لا يمكن لأحد أن يجزم بأن هذا التفسير هو التفسير الصحيح. كما لا يمكن لأحد أن يتصور الطريقة التي كان يمكن للتشي أن يحاكم بها هذا النص الآن.

يبقى فقط هذا اليقين: عندما هب التشي من جديد ليصنع الثورة فإنه ذهب تحديداً لبناء هذا العالم، لخلق هذا الانسان. وقارئ يوميات بوليفيا يجب ألا ينساه أبداً: ففي خلفية كل شطر توجد هذه الرؤية الكونية للكفاح المطلوب خوضه والمجتمع المطلوب بناؤه.



أثار اختفاء التشي في العالم موجة من التعليقات بعضها مجرد نزوات غريبة والبعض الآخر تعبير عن الاهتمام. والتعليق الذي تردد كثيراً زعم بكل بساطة أن فيديل صفاه أثر مشاجرة بينهما. ورد أحد مسؤولي وكالة الاستخبارات الأميركية على متسائل قدر أنه لجأ إلى العمل السري ليمارس نشاطه تحت الأرض: «أجل، إنه تحت الأرض: ستة أقدام تحت الأرض»^(١٧). وقيل أيضاً، إنه في السجن، وحتى في مستشفى سوفياتي

(١٧) ذكر ذلك مارسيل نييدرغانغ في جريدة لوموند ١١ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٧.

للأمراض العقلية^(١٨).

أما اليوم، وعلى ضوء الأحداث التي تلت الاختفاء، واستناداً إلى معرفة أطباء المعنيتين والعلاقات التي جمعت بينهما، حتى ذلك الحين، فلم يعد ثمة ما يسمح بالشك بالرواية الرسمية التي تكررت كثيراً. أي قرار تقاسم المهام: لفيديل متابعة المهمة العامة، مهمة بناء الاشتراكية في كوبا آخذاً في الاعتبار كل التزامات السياسة الواقعية التي تترك له هامشاً محدوداً للمناورة. وللتشي استعادة طريق المناضل الأممي، ووضع مشروع يمكن أن يكون لانسان، أو لحركة، لكن ليس لحكومة: مشروع فتح أو دعم جبهات كفاح أخرى في العالم. وفي مواجهة واجبات الدولة التي يمثلها فيديل، يمثل التشي واجبات الناس - أو بالأحرى واجبات انسان واحد - فهو وحيد متفاهم مع ذاته، لكنه مستقو بالتضامن الذي أخذ يثيره اسمه في العالم منذ ذلك الحين. فمن جهة، ثمة عقبات ومن جهة أخرى حرية؛ وقد ساند فيديل التشي في مهماته الجديدة لأنه لم يكن بينهما اختلافات حول الهدف النهائي - كسر تطويق الثورة الكوبية، وتحرير الشعوب. فأمّن له المساعدة اللازمة في المواصلات (لوجستيك) والرجال الموثوقين، إلا أن المساندة كان ينبغي أن تبقى سرية. فالسرية من شأنها أن توفر، من جهة، ظروفاً مؤاتية لبدء عمل التشي، وهي من جهة أخرى، وبنوع خاص، لا تزيد من تعريض كوبا للمخاطر: فالأمر كان يتعلق بعدم اعطاء ذرائع لعدوان أميركي، وفي الوقت نفسه يحرم ازعاج الجانب السوفيياتي الذي كان يراهن على «التعايش السلمي» للتغلب على مصاعبه الخاصة.

ما سوف يبقى وسيظل، على الأرجح، غامضاً هو الحالة النفسية للرجلين عند افتراقهما: هل حصل توافق شامل، ليس فقط على الأساس بل على الوسائل أيضاً؟ هل وافق فيديل على مشروع التشي وشجعه كما اعتبره منطقياً وممكن التحقيق فعلاً؟ أم اعتبره، على العكس من ذلك وفوراً، نوعاً من الجنون؟ وفي هذه الحالة، هل حاول ثنيه؟ أم، أيضاً، تركه يذهب سائماً من المقاومة، واثقاً من أن التشي سيمضي بالفشل، مع بعض

(١٨) هذا ما يفهم من قول جاسوس الاستخبارات الأميركية «المرتد» فيليب أجي، مؤلف يوميات عميل سري، لي سوي، باريس، ١٩٧٦.

ارتياح في نهاية الامر؟ ان هذه الاسئلة تضغط بثقلها عندما نعرف ما تبع ذلك، أي الظروف التي جرت فيها محاولات التشبي، وعندما نرى إلى محصلة المساعدة الفعلية التي قدمتها كوبا له.

لقد تقرر منذ هذه اللحظة، إن هافانا ستدعو، في موعد قريب، إلى انشاء منظمة اتصال بين كل البلدان والشعوب التي ترغب في مواجهة «الامبريالية» وهكذا فقد تم أخذ إحدى الأفكار التي عبر عنها التشبي في خطاب الجزائر: كانت تلك منظمة القارات الثلاث التي عمل زعيم اليسار - المغربي المهدي بن بركة داعية لها متنقلاً وفعالاً.

لقد كرس الانفصال وترسخ برسالة إلى فيديل، تمت قراءتها بصورة احتفالية بعد ثمانية أشهر في ٣ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٥ أمام المؤتمرين المجتمعين من أجل تأسيس الحزب الواحد الجديد الذي سيتخذ إسم الحزب الشيوعي الكوبي». وهو رسالة طافحة بعاطفة عميقة ازاء الزعيم الكوبي وشعبه. يعلن التشبي في رسالته على الفور أنه يأخذ حريته الكاملة: «أتخلّى بصورة قاطعة عن مسؤولياتي في قيادة الحزب، وعن منصبى كوزير وعن رتبتي كقائد، وعن وضعى ككوبي. لم يعد أي رابط شرعي يربطني بكوبا، فقط تبقى روابط من طبيعة أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية». ويذكر بزمان السبييرا مايسترا وما أعقبها: «لقد عشت أياماً رائعة وتذوقت إلى جانبك فخر الانتماء إلى شعبنا في الايام الوضاءة والمحزنة لازمة الكرايبب. [...] من النادر أن يلمع رجل دولة بالمستوى الرفيع الذي لمعت به في تلك الايام، إنى فخور بالحقاق بك دون تردد، متمثلاً أسلوبك في التفكير، وفي الرؤية، وفي تقويم المخاطر والمبادئ». ويعلن، أخيراً، مشروعه: «ثمة أراض أخرى من العالم تطالب بمساهمة جهودى المتواضعة. يمكننى أن أقوم بما هو ممنوع عليك وأنت على رأس كوبا، وقد حانت ساعة افتراقنا. لكن الرسالة، تحتوي، أيضاً، على بعض من حنين عميق. حنين رجل على جبهات حياته السياسية كلها: «هنا، اترك الجزء الأصفى من أمالى كبان»...

*

أين التشبي؟ طوال عام ١٩٦٥ كان التساؤل عاماً. لقد ذكر وجوده في أكثر المناطق غير المتوقعة، ويمكن أن يكرر، على سبيل الاستعادة

والتقليد، الأسطر الأولى من بيان الحزب الشيوعي: «الشبح يخيم على العالم...».

لقد رأينا التشي يحدد، في خطاب الجزائر، موقعين في العالم يعتبر أن الكفاح فيهما حاسم: الفيتنام والكونغو. واعتقد العديد من الذين يعرفون عمله، لوقت ما، أنه ذهب ليضع قدراته كمحارب في خدمة القضية الفيتنامية.

كان، في الواقع، في إفريقيا، فالفعالية، بالنسبة له، لا تكمن في مد يد العون للفيتناميين ميدانياً، بل في فتح جبهات جديدة. فكان عنوان الكلمة التي أرسلها في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٥، إلى المؤتمر الأول والآخر لمنظمة القارات الثلاث الذي نجح فيديل في أن يفني بوعده ويجمعه رغم اغتيال منظمه - المهدي بن بركة: «لخلق فيتناميين أو ثلاث... العديد من الفيتنامات». ونص هذه الرسالة في الملحق لأنها تختزل استراتيجية التشي وتفسر عجلته لخلق بؤر كفاح جديدة في العالم. وإذا ما فضل في الحال، بين تلك البؤر إفريقيا، فذلك لأنه يعتقد أن منازلة عالمية تجري هناك، في قارة غنية بكل الطاقات. ففي انقسام العالم آنذاك، كما في رؤية التشي، حيث إفريقيا تلعب دور المورد لثروات عظيمة، وبنوع خاص للثروات المنجمية الضرورية لسير الصناعة الثقيلة، التي كانت ما تزال معتبرة أساساً للاقتصاد العالمي. فتخلفها ذاته مع اكتساب الجماهير فيها لوعي جديد جداً عن استغلالها، يجعلان هذه القارة «الحلقة الضعيفة» في جسم الامبريالية. إن من يسيطر على إفريقيا يرجح ميزان القوى في العالم لصالحه. وقد التقى في جولاته الإفريقية وفي المؤتمرات الدولية، بزملاء أفارقة، وكان على يقين بأن القوى التي يمثلونها تتطلب فقط أن تنظم للكفاح. لهذا أراد، قبل كل شيء، أن يقيم مدرسة الملاكات للحركات الثورية المسلحة في الادغال الكونغولية^(١٩).

إن هذه الرؤية لإفريقيا بوصفها حجر الزاوية لعالم ثالث مستعد للثورة تعززت بقراءة كتاب صادر بعد الوفاة لمارتينيني - لاتيني أميركي شبيهه بمعنى ما - كان قد انخرط في الثورة الجزائرية. وكان في عداد المشاريع التي لم يسمح الوقت للتشي لتحقيقه كتابة مقدمة للطبعة

(١٩) السنة التي لم تكن فيها في أي مكان، مؤلف سبق ذكره.

الكوبية للـ «المعذبون في الأرض» حيث وجد صدى لقناعاته الخاصة^(٢٠). لقد كتب فرانس قانون يقول: «لنهرب أيها الرفاق من هذه الحركة - الجامعة التي تحول الديالكتيك فيها، رويداً رويداً، إلى منطق التوازن. لنستعد قضية الانسان [...] فالعالم الثالث بحاجة ليضع، من جديد، تاريخاً للانسان».

أقام التشي، إذن، على الحدود الزائيرية على ضفاف بحيرة تنغانيكا من نيسان (ابريل) إلى تشرين الثاني (نوفمبر) على رأس مئة وخمسة وعشرين كوبياً. وظل هو نفسه متخفياً باسم «تاتو» لمدة طويلة، ظل ذلك الوجود مجهولاً من العالم في حينه إلا من أجهزة المخابرات الاميركية، على الأرجح، التي لم يكن لها أي مصلحة في نشر الخبر. لكنه لم يبق سراً على أحد في السنوات التي أعقبت موته، أقله بسبب واقع شهادات العديدين الذين قالوا انهم التقوا به هناك. ومن المعروف، أيضاً، وجود «يوميات» عن هذه المرحلة مكتوبة على فكرة شبيهة بيوميات بوليفيا: ولم يخف ريجيس دوبري إطلاقاً انه رأها لدى زيارته أواخر عام ١٩٦٦ لمكتب التشي في هافانا، وكان محافظاً عليه كما تركه صاحبه ولم تنشر مقتطعات من هذه اليوميات إلا في عام ١٩٩٤.

انتهت هذه التجربة الافريقية بفشل أليم، والكلمات الأخيرة استخدمها التشي نفسه. فسرعان ما بدأ انقشاع الأوهام. القادة الكونغوليون (سوميالو، وكابيل، وجبيني، وكانزا، وجيزنغا) كانوا مقسمين، وكان مستواهم السياس ضعيفاً، ويفضلون البقاء في المؤخرة دون الاشتراك في القتال وهم شغوفون بالمال والكحول والنساء. الوحيد الذي نجا من حكم التشي القاسي كان موليلي، الذي ظلت فرقته «المجهول الكبير» لأنها كانت تعمل في منطقة أخرى. لم يكن لدى القوات أي تدريب عسكري، وأي انضباط، وكانوا مشتتين وإيمانهم بالـ «داوا»، السحر الذي يعتقدون انه يجعلهم لا يحسون بالأصابات كان يحول دون أي تدريب قتالي عقلاني. وراح الكوبيون يعانون من الظروف المناخية (برد المناطق المرتفعة، والأمطار) ومن الأمراض (الملاريا، والديزنتيريا)، ومن الجوع. كانت

(٢٠) مشروع اكده لي التشي نفسه في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ خلال لقاء في باريس وكان ماراً في طريقه إلى الجزائر.

خطط القادة الكونغوليون تعطي الأفضلية لعمليات واسعة النطاق: احتلال البرت فيل ودخول كاتنغا لنجدة ستانلي فيل. وكانت خططاً غير قابلة التحقيق. فالعدو كان منظماً ويقوده من قبل ضباط أوروبيون، ومدعماً بمرتزقة وتحت تصرفه طيران، ومدرعات. وقد فشلت محاولات الكماثن وضربات العصابات بسبب استحالة تنسيق التحركات.

في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٥ كان التشي ما يزال يعتقد أن عليه «حصر جهوده لاعداد طابور مستقبل متقن التجهيز قادر أن يشكل قوة هجوم ومثالاً للآخرين عل حد سواء: إن نجحنا سوف تتغير الحالة بصورة نوعية، وإن لم ننجح، فسيصبح من المستحيل تنظيم جيش ثوري: النوعية الرديئة للقادة تحول دون ذلك». لكنه بعد بضعة أيام سجل أنه بكتابته ما سبق بيّن مرة أخرى، عن «تفاؤل أعمى». العناصر الوحيدة التي اعتبرها ايجابية فعلاً هي نجاحه في المحافظة على عمل «أكاديمية عسكرية» فعلية، وفي إقامة علاقات ثقة مع السكان الفلاحين رغم حاجز اللغة (عدد كبير من الأطباء كان في القوات الكوبية) وفي المحافظة على تماسك رجاله ومعنوياتهم.

في خريف ١٩٦٥ صار من الضروري الاعتراف بواقع الحال. فالجيش المعزز بالمساعدات الأميركية لحكومة موبوتو الذي حل محل تشومبي كان يعد هجوماً عاماً. وتشكل أكثرية المقاتلين في عصابات مبعثرة، كان المخرج الوحيد لدى الكوبيين هو القتال المنفرد. لكن أي معنى لذلك؟ «لا نستطيع بمفردنا أن نحرر بلداً ليست لديه إرادة القتال، فيجب خلق روح الكفاح هذه والبحث عن الجنود بمصباح ديوجين...». في هذه الأثناء تحركت حكومة تانزانيا - رغم أن رئيسها يوليوس نيريري كان واحداً من الأفارقة الأكثر تقدماً - بضغط غربي ضد وجود المقاتلين على حدود أراضيها التي تشكل لهم قاعدة تحرك ومواصلات: فطلبت سحب الكوبيين. واتخذ القرار في تشرين الثاني (نوفمبر). فعاد الكوبيون المنهكون إلى بلادهم. وذهب التشي للنقاهاة إلى أحد مستشفيات براغ، حيث لم تكن السلطات المحلية مستعجلة للافراج عنه على ما يقال: وكان أن حضر فيديل نفسه لاسترداده.

إن المحصلة التي يخرج بها التشي من هذه المهمة الفاشلة لم تكن سلبية بالكامل: «النصر، كما كتب يقول، هو مصدر كبير للخبرة الايجابية،

إلا أن الهزيمة في اعتقادي هي مصدر أكثر أهمية، في وضع كهذا، يكون لاعبو الأدوار أغراباً خاطروا بحياتهم على أرض مجهولة، حيث يتكلمون فوقها لغة أخرى، ولا يربطهم بها غير الأممية البروليتارية، مدشنين أسلوباً لم يسبق أن مورس في حروب التحرير الحديثة»^(٢١).

كان يعد للمرحلة اللاحقة وستكون في بوليفيا.

*

لقد انضج الخيار طويلاً، وحضور التشي في هذه الساحة لا يشكل أية مفاجأة. فقد رأينا أن الثوار الكوبيين لا يخفون أبداً طموحهم في انتقال العدوى إلى أميركا اللاتينية، لضرورات بقائهم. إلى ذلك فإن الانتفاضات وحروب العصابات الثورية تضاعفت في نصف القارة منذ سنوات خمس. ففي عام ١٩٦٣ تم سحق حركة عصابات مسلحة في شرق البيرو، في بويرتو مالدونادو وليس بعيداً عن بوليفيا، وتمكن الناجون من الاستمرار سنتين بارتدادهم إلى لاباز. وفي عام ١٩٦٤ حاول أحد رفاق التشي القدامى جورج ماسيتي إقامة حركة عصابات ثورية في شمال الأرجنتين عند الحدود البوليفية ولاقى حتفه في تلك المحاولة. وظهرت حركات أخرى في البيرو ومن بينها محاولة الزعيم الفلاحي التروتسكي هيجو بلانكو تنظيم «روابط فلاحية» مع الجماعات الهندية. وكانت توجد بؤر هامة في كولومبيا وفنزويلا وغواتيمالا في حين كان كارلوس ماريغيلا تهيأ للانتقال من حرب العصابات الريفية المتوطنة إلى حرب المدن. وفي المقابل تزداد الأنظمة القائمة تصلباً. وتتالت الانقلابات العسكرية للماسك بالأوضاع - تسعة في سبع سنوات - وتجهد الولايات المتحدة للسيطرة على الأوضاع باقران العون الاقتصادي للأنظمة القوية (التحالف من أجل التقدم) بالعون العسكري: يتم هذا العون الأخير بصورة غير مباشرة - تدريب عشرات الألوف من «القناصة» في القواعد الأميركية في باناما وفي سواها، وإرسال أعداد كبيرة من المستشارين - وبصورة مباشرة. وكان أكثر ذلك إثارة غزو جنود البحرية الأميركية لجمهورية الدومانيكان عام ١٩٦٥، للإطاحة بالحكومة التقدمية جداً التي خلفت الدكتاتور تروخيلو الذي جرى اغتياله.

(٢١) السنة التي لم تكن فيها في أي مكان، مؤلف سبق ذكره.

لكن لماذا بالتحديد بوليفيا؟ في البدء ربما كان الاختيار رمزياً؟ فهذه البلاد التي تضم أعلى معدل من السكان الهنود في القارة وتحمل اسم المحرر العظيم بوليفار، لقد كان يراد لهذه البلاد عند قيامها، على أثر حروب الاستقلال، أن تكون البلاد النموذجية في أميركا الجنوبية الجديدة. وقد أعد دستورها المفكر ومرشد بوليفار سيمون غونزاليس، حيث وضع فيه كل ما حفظ من تعاليم العقْد الاجتماعي. غير أن ذلك كان دون جدوى لأنه تبين أنها الدولة الأكثر عدم استقرار في المنطقة والمعرضة لدسائس جيرانها ولتداول السلطات العسكرية والثورات الشعبية. في تلك الفترة، كانت دكتاتورية الجنرال باريانتوس قد حلت محل حكومة بان استنسورو الذي ساندته عمال مناجم القصدير الذين تنظموا في «سوفياتات» حقيقية، وقد سحقت الميليشيا التابعة لها. كان التشي واثقاً انه سيجد في بوليفيا تقاليد وطنية قوية يزيدها الاذلال صلابة، وطبقة عاملة من بين الأكثر تنظيماً في أميركا اللاتينية - لكنها معزولة في مناطق المناجم - وفلاحين متشبثين بالدفاع عن أرضهم. وفوق كل ذلك هي بلاد ذات مناطق شاسعة موحشة وتشكل تقاطع حدود حقيقياً يسمح بالاشعاع إلى البلدان المحيطة.

لم يكن مشروع التشي، إذن، خلق حركة مسلحة بوليفية، بل التحضير لـ«رص» صفوف الحركات المشتتة في المحيط. وهو مشروع ضخم قال عنه ريجيس دوبري: «إنه من الممكن امتداده على سنوات، بل على عشرات السنين». لذلك فإن طابور الثوار المسلحين المتوجه إلى بوليفيا لم يكن معداً للقتال المباشر، بل لتأسيس نواة، «بؤرة» سرية تكون، حسب التعبير الذي استخدمه التشي في إفريقيا، شبيهة بـ«أكاديمية عسكرية» لحرب العصابات بانتظار أن تنضج الظروف لفتح عدة جبهات في آن معاً.

تم الاعداد لهذا المشروع، كما يبدو، منذ زمن طويل، وعلى كل حال، فإن عام ١٩٦٦ قد استنفد بكامله للبحث عن المكان الأفضل. وكان يمكن أن يكون الهوبيني والشاباري، وهما منطقتان بكثافة فلاحية منظمة - عند انسحاب الناجين من الثوار بعد استشهاد التشي، تحدثوا عن سماعهم عن زعيم فلاحي لديه ألف رجل متأهبون للتحرك - والاتصالات لديهم مع المدن والخارج سهلة جداً. وكان يمكن الاعتماد ميدانياً على نواة ثورية مشكلة في شبكة سرية بفضل اقامة المسلحين البيروفيين - وخاصة

الاخوين كوكو وانتي بيريدو - وعلى من تبقى من منظمة الميليشيات العمالية - التي لجأ زعيمها جوان ليشين إلى البيرو. أراد التشي تشكيل الطابور الاول من حوالي مئتي رجل من الكوبيين المتمرسين، ومن البوليفيين والمناضلين «الامميين» من الفلاحين المجاورين، وكان هدفه ليس البدء فوراً بالعمل بل الاعداد لفتح جبهات أخرى.

وفي آخر عام ١٩٦٦ حبس العالم كله أنفاسه مترقباً ظهور التشي بعد سماع الرسالة المججلة المرسلة إلى مؤتمر القارات الثلاث. وقد أستنفرت الاجهزة الاميركية ووضعت كافة المطارات تحت الرقابة المشددة. ورغم ذلك وصل التشي إلى مواعده المحدد مموهاً شكله حسب الأصول وحاملاً جواز سفر أورغوايياً يجعل منه «مبعوثاً خاصاً لمنظمة الدول الاميركية التي كانت، حينذاك، خاضعة لسيطرة الولايات المتحدة الواسعة». كانت تنتظره هناك المجموعة الكوبية الاولى التي اختارها بنفسه - والكثيرون منهم كانوا رفاقه في افريقيا وفي السيرا مايسترا أيضاً - والنواة البوليفية. غير انه تم، في اللحظة الاخيرة، نقل المكان جنوباً إلى منطقة نانكاهاوزو، الصحراوية تقريباً، المجربة، المكونة من تضاريس حادة وأودية ضيقة، بنباتات متداخلة غير سالكة، وزراعة تكاد تكون معدومة، يتناثر فيها سكان يعيشون في ظروف غير بشرية.

التكملة نقرأها في يوميات التشي. فقد تم في كانون الاول (ديسمبر) اللقاء مع سكرتير الحزب الشيوعي البوليفي، ماريو مونسخي، الذي طالب بالقيادة السياسية - العسكرية ووجه برفض من التشي. وفي الحال امتنع الحزب الشيوعي البوليفي عن تقديم الدعم البشري المرتقب، ولم يؤمن لا المواصلات ولا الاتصال بالسكان، وبخاصة مع عمال المناجم. ولم يشترك في الحركة المسلحة إلا موويزس غيفارا زعيم فريق منشق مع ثمانية رجال غير مدربين بتاتاً. أما المشاركة «الاممية» فلم تتح لها فرصة التكون واقتصرت على ثلاثة بيروفيين بينهم «ال شينو» (جوان بابلو شانغ).

وقد وقع في آذار (مارس) ١٩٦٧، الصدام غير المتوقع مع الجيش اثر وشاية مدني، وفرار اثنين من البوليفيين الملتحقين حديثاً، ودارت المعركة الاولى في مضائق بانكاهاوزو. وهكذا فرض على التشي البدء بالعمليات باكراً جداً. واحتل الجيش المعسكر الذي قاده إليه الفاران. فاضطر

المقاتلون الذين لم يتجاوزوا الخمسين رجلاً أن يتنقلوا باستمرار. أما عنصر الارتباط الأرجنتينيان سيرو بوستوس (كارلوس، أوّل بيلادو، أو بيلادو) المكلف بتأمين الصلة مع بقية القارة، ورجيس دوبري (دانتون) الذي كان عليه أن يعود إلى هافانا، فقد انزلا في قرية مويوبامبا مع توجيه وحيد بتدبير الخروج من المنطقة. وفي الحال وقعا في الأسر. أما المكلفة الثالثة بالارتباط، الأرجنتينية تامارا بونكي (تاتيانا ابنة أحد الشيوعيين الألمان المهاجرين) التي كانت مهمتها الاتصال بلاباز وبقية مناطق بوليفيا، فانها «احتترقت» وكان لا بد من بقائها مع المقاتلين. وبالتالي أصبح المقاتلون محرومين من أي اتصال خارجي، ومما زاد في المأساة: تعطل جهاز الاتصال. كان يمكن تلقي الاتصالات ولم يكن في الامكان بثها. إلا أن الحدث الأخطر والأكثر تأثيراً على الصعيد العسكري كان حتماً فقدان الاتصال مع «الحرس الخلفي» بقيادة الكوبي جواكيم (القائد في الجيش الثوري فيلو آكونا نونس). وصار أمام التشي هدفان مباشران: يتكرران كاللازمة في يومياته: العثور على «الحرس الخلفي» وبلوغ منطقة هو - بيني في الشمال الاكثف سكاناً. وقد قام في سبيل انجاز الهدف الاول بالتفاف طويل غير مفيد قاده إلى المكان الذي كان فيه، قبل أن يعرف، آخر آب (اغسطس) ان «الحرس الخلفي» الذي كانت فيه تاتيانا قد جرت تصفيته في كمين. آنذاك فقط سلك طريق الشمال وكان قد تأخر كثيراً.

في هذا الوقت، توجهت أنظار العالم إلى بوليفيا اثر اعتقال ريجيس دوبري وتعرض حياته للخطر، ودفاعه الشجاع، والحملة الدولية التي قامت دفاعاً عنه. ولم تتوجه الأنظار وحدها، فقد سارع المستشارون العسكريون الأميركيون لنجدة «قناصة» الجيش البوليفي الذين يمشطون المنطقة. وقد أضحي وجود التشي فيها مسألة مفروغاً منها. وعلى كل حال فان الفارين قد وشوا به، وأيضاً سيرو بوستوس الذي على أثر تهديده بعائلته، سلم الجيش جملة رسوم لرجال المجموعة المسلحة وكان رساماً جيداً.

تعرضت في هذا الوقت أيضاً مناجم منطقة أورورو لقمع وحشي بعد ان اعلن عمال المناجم «مناطق محررة» بالتعاون مع الطلاب، إنما باستقلال كامل عن حركة العصابات المسلحة. حدث ذلك في مذبحة «ليل القديس حنا» في ٢٤ حزيران (يوليو) ١٩٦٧. وهكذا تم القضاء على كل

أمل في اقامة صلة بين عمال المناجم وحركة العصابات المسلحة، في حين تمكنت الشرطة باستخدامها الخيوط التي وفرها الفارون، من تمزيق القليل الذي تبقى من الشبكة السرية في المدن.

في ٣ ايلول (سبتمبر) لم يعد في طابور التشي إلا اثنان وعشرون رجلاً. ورغم ما الحق بالعدو من خسائر ورغم بعض الانتصار مثل احتلال بلدة سمايبابا و«المهرجان» السياسي في قرية التوسيكو، فانه لم يتمكن من الافلات من سيطرة القوات التي تطوق المنطقة. وفي ٢٦ ايلول (سبتمبر) وقعت الطليعة في كمين في لاهيغويرا: قتل فيه كوكو بيرودو ورجلان آخرين. وبلغت القصة نهايتها في مضيق يورو يوم ٨ تشرين أول (اكتوبر). لقد جرح التشي في ساقه وتعطل سلاحه باصابته بطلقة، فاعتقل كما اعتقل البيروفي جوان شانغ وويلي (سيمون كوبا، وهو بوليفي وعامل منجم في بوتوسي) وتم اعدام الثلاثة في اليوم التالي بأمر من الجنرال باريانقوس في لاباز بعد استشارة سفير الولايات المتحدة.

من أصل عشرين ناجين تمكن خمسة من اختراق الطوق، بعد شهرين من العذاب والقتال ضد قوى تفوقهم قوة ألف مرة، والوصول إلى منطقة أكثر عدداً حيث توافرت لهم مساندة عفوية من الشعب قبل أن يؤمنوا اتصالاً مع لاباز ويتكفل أمورهم التضامن الكفاحي. كوبيون ثلاثة، بومبو (النقيب هاري مليغاس وهو اليوم جنرال) وأوربانو (النقيب ليوناردو تومايونونس) وبينينيو (النقيب دارييل آلاركون، وهو اليوم كولونيل) وقد تمكنوا من العودة إلى بلادهم عن طريق التشيلي. أما البوليفيان، داريو (عامل منجم فتى، أمي تماماً، كان نوعاً ما الابن المدلل للقوات) وانتي بيريرو ظللا لیتابعا الكفاح. وسوف يقتلان كلاهما بعد بضع سنوات. وكان انتي بيريدو الذي حل محل التشي في قيادة «جيش التحرير الوطني» قد حاول خلق بؤرة جديدة للكفاح المسلح.

*

لقد جرى كلام كثير عن «الخطاء» التي ارتكبت في هذه الحركة المسلحة. واثنان منهما وهما الأهم جرت الإشارة إليهما. الخطأ الأول هو دون ريب، تغيير الموقع في اللحظة الأخيرة. ففي هذا الموقع الجغرافي الشديد الصعوبة الكثير العقبات مع سكان مشتتين،

معزولين، بدون تلاحم اجتماعي، مؤلفين من عائلات ليست بأصولها من المنطقة وتعيش في كفاف شديد، يصبح التنقل مرهقاً للغاية ولا تتاح أية فرصة لعمل سياسي. الوضع كان تغير تماماً لو تم النزول أبعد شمالاً في المنطقة التي أوصي بها خاصة ريجيس دوبري في تقرير سابق بعد دراسة طويلة ومعقدة، وهي المنطقة التي لم يستطع التشي الوصول إليها. يؤكد ذلك ما رواه بينينييو أحد الناجين في نهاية الحملة الذي قال انهم ما ان بلغوا هذه المنطقة حتى تغيرت الظروف وانقلبت رأساً على عقب.

كان الخطأ الثاني حصر عملية الاسناد الشعبي للحركة المسلحة بالحزب الشيوعي البوليفي. ويتحدث فيديل كاسترو في «تحذيره» عن «خيانة».

إلى هذين الخطأين لا بد من إضافة ثالث، وهو الذي يؤكد انه حتى ولو لم يحصل الخطأان السابقان وغيرهما الكثير، فإن العملية، في كل الأحوال، كانت محكومة بالفشل. فهذا الخطأ يقوم على المبالغة في تقدير «نظرية البؤرة» المصاغة استناداً إلى تجربة حرب العصابات الكوبية كما حددها التشي في حرب العصابات والتي طورها عام ١٩٦٦ ريجيس دوبري في «ثورة في الثورة» قضاءً لحاجات القضية. بكلام آخر، فإن استراتيجية التشي كان محكوماً عليها قبل ان يبدأ تنفيذها، لان النظرية التي قامت عليها كانت خاطئة. هذا السجال اسال الكثير من الحبر في اواخر الستينات في عصر كانت فيه الدعوات النظرية قائمة، على قدم وساق.

من الواضح، في كل حال، إن التشي قد يكون ارتكب خطأ كبيراً في حال اعتقد، كما يرجح، وجود ظروف في القارة الاميركية الجنوبية عام ١٩٦٧، شبيهة بتلك التي عرفها في السيرا مايسترا بين اعوام ١٩٥٦ و١٩٥٩، أو حتى في افريقيا في العام السابق. فالعدو لم يعد نفسه، دكتاتورية باتيستا كانت في نهاياتها وكانت مدعومة بدون حماسة من جانب الولايات المتحدة، وجيشها قليل الدوافع، وتجهيزاته متواضعة، كان مقاتلو فيديل كاسترو يمثلون مجهولاً والحدث ظل محلياً بصورة عامة. أما في عام ١٩٦٧ فالامر مختلف تماماً. ففي الوقت الذي كانت فيه حرب الفيتنام في ذروة اندلاعها وتبدل فيها الولايات المتحدة مجهوداً حربياً ضخماً، كان خطر قيام بؤرة مسلحة في أميركا يقلق البنتاغون بشدة. ولم يكن ثمة

تشابه بين «القناصة» البوليفيين المدربين في مدرسة قاسية وبين الحرس الريفي والعسكريين الكوبيين، ولا أي شيء مشترك بين ضباطهم ومستشاريهم الأميركيين وبين ملاكات باتيستا المترهلة والفاصلة. ورغم شعورهم الدائم بخوف شديد (أسطورة التشي والعصابات التي لا تقهر كانت من أمضى أسلحته ورفاقه) كان في حوزتهم سلاح متطور ودعم جوي ولوجستي (مواصلات واتصالات) تماماً كما في الفيتنام. أي كل ما يجعل حملة التشي ورفاقه أكثر بطولة. أجل، هذا ما يجب قراءته بين أسطر يومياته، فأبعد من «موكب المشردين المحدوديين» هذا، (التعبير لريجيس دوبري الذي كان في صفوفهم) السائر في الجبل، كان ثمة منطقة على أهبة الحرب، والوف الرجال من «القوات الخاصة» فيها وخلفهم اضافة لذلك، آلة الحرب الأميركية الضخمة العاملة على مدى أربعة وعشرين ساعة على أربعة وعشرين ساعة في اسناد حملة مقاومة الحركة الثورة المسلحة.



يبقى السؤال الاهم: هل حصل التشي فعلاً على دعم فيديل كاسترو وبعد الاتفاق بينهما، وعلى كامل الدعم الكوبي الذي كان بحاجة إليه؟ هذا السؤال يعيدنا، بكل أبعاده الماساوية، إلى تلك الساعة من شهر شباط (فبراير) ١٩٦٥. حين بحث فيديل والتشي فيما بينهما من خلاف - أو اتفاق. نحن نرفض القول المبسط عن تخلي الاول عن الثاني لانه، كما رأينا، يتعارض مع الوقائع: توافق الرجلين على رؤية واحدة لتوسيع «الجبهة الثورية» في العالم بأي ثمن، وكما يبدو لنا بوضوح لم يكن من الممكن القيام بالحملة الأفريقية ولا بالمحاولة البوليفية بدون أن توضع في تصرف التشي الوسائل الضرورية. فالرجال الذين تم اختيارهم هم من نخبة الجيش الثوري الكوبي، وقد تأمن تدريبهم في كوبا، وحرص فيديل شخصياً على إعادة التشي بعد فشل حملة الكونغو. لكن هل تم بذل ما يكفي؟ هل كان يمكن أن يبذل أكثر؟ هل الوضع الدولي الذي كان على فيديل مواجهته قد منعه من العمل لتأمين نجاح التشي؟ هل جرى، بقصد أو بدون قصد، سوء تقدير للجهد المطلوب بذله؟ هناك ثمة شيء يفوتنا سره ربما تلمسناه في تلك المقارنة الشكسبيرية التي رسمها بيير كليرك

في كتابه عن سيرة فيديل كاسترو: «في العلاقات بين غيفارا وكاسترو شيء يذكرنا بالعلاقات بين توماس بيكيت وهنري الثاني. الصداقة الحميمة والتواطؤ الرائع اللذان يلتبسان بتعارض سياسي. فما عاد الملك يعرف ابداً لا سعادة ولا راحة...» (٢٢).

لنأخذ، أولاً، مسألة «خيانة» الحزب الشيوعي البوليفي. ألم تكن متوقعة منذ البداية، اليس، بالأحرى، ترجمة طبيعية للسياسة التي كانت تمارسها، آنذاك، الأحزاب الشيوعية في أميركا اللاتينية: سياسة الانسحاق للخط السوفيياتي الداعي إلى التخلي عن كل عمل ذي طابع عنيف وممارسة معارضة شرعية «جماهيرية» لا تشكل أية إعاقة لـ «التعايش السلمي»؟ فالأحزاب الشيوعية الأميركية - اللاتينية كانت تندد بالحركات المسلحة وتصفها بالمغامرة، وكانت تشير، غالباً، إلى التشي بالاسم. وهافانا، من جهتها، كانت تندد يومياً بـ «اصلاحية» هذه الأحزاب وبـ «اعوجاجها» حسب التعبير السياسي الكوبي. كل هذا كان يحصل على مرأى ومسمع العالم. وليس ثمة أي سبب لخروج الحزب الشيوعي البوليفي على القاعدة. وليس ثمة أي شيء غير طبيعي في رحلة موني، سكرتير الحزب، إلى موسكو لأخذ الراي وهي الرحلة التي يشتهه بأنه قام بها لهذه الغاية. الشيء غير الطبيعي، فعلاً، هو هذا الاصرار على خيار حصر التعامل مع هذا الحزب دون سواء من المنظمات الثورية في بوليفيا - باستثناء مجموعة ميوزس غيفارا المنشقة الصغيرة التي تبين ان أفرادها «الكامباس» وهو تعبير يشير إلى الفلاحين البوليفيين) قد شكلوا عبئاً ثقيلاً ومؤذياً لحركة الثوار. لقد حضر وفد الحزب الشيوعي البوليفي، بعد رفضه التعاون، ورغم وصفه بـ «القدر» في إحدى الرسائل، مؤتمر منظمة أميركا اللاتينية، للتضامن في هافانا، الذي عقد في تموز - آب (يوليو - أغسطس) ١٩٦٧، وتحديداً في الوقت الذي كانت تعاني فيه الحركة المسلحة، التي تخلت عنها، النتائج المفجعة لهذا التخلي. «خائن» ربما، لكنه مدعو من قبل الكوبيين بكل احترام بعد «خيانته». كانت الأمور كلها تجري وكان فيديل رهين واجب التضامن مع التشي وضرورة مراعاة تحالفاته. فكان التشي محكوماً، عملياً، بدفع الثمن.

(٢٢) جان بيير كليرك، فيديل كوبا، مؤلف مر ذكره.

لننظر، بعد ذلك، إلى العزلة المتزايدة التي تعاني منها المجموعة المسلحة. فجهاز الارسال تعطل، وعدد الرجال ليس كما كان متوقعاً، وعناصر الاتصال تم شلهم. لقد أصبح الفهم مستحيلاً. ذلك لانه تبين مع مرور الزمن، عدم حصول أي تفكير في محاولة لدعم التشي بالرجال والعتاد الضروري، أية تكن الصعوبات الموضوعية الناتجة عن الحصار العسكري للمنطقة. لقد اقتضت حملة التضامن على الدعاية. وبالفعل لم توفر الجهود في هذا الميدان، ففي الرسالة التي تسلمها التشي والتي يطلبون منه فيها توقيع نداء من أجل الفيتنام إلى جانب توقيع الفيلسوف العجوز برتران رسل، يفيدونه، أيضاً، بأنه جرت في هافانا إشادة عظيمة بالحركة الثورية المسلحة في بوليفيا. وفي الاتجاه ذاته نمت وتعاضلت حملة التضامن مع ريجيس دوبري التي وان كانت قد أفادت الحركة بتعميم التعريف بها فانها قد ارتدت عليها وأذتها في نهاية المطاف. فالتشي يقول في يومياته ان هذه الحملة قد أعطت الحركة مقدار ما تعطيه عشرة طوابير مسلحة. بيد أن العدو، وبسبب هذا الادراك بالذات، سارع عند اعتقال التشي إلى تصفيته الفورية كأفضل وسيلة لقطع الطريق على قيام حملة مماثلة مضاعفة القوة والاتساع.

في نهاية الامر، هل كان الكوبيون، وفيديل نفسه، ضحايا أسطورة التشي الذي لا يغلب؟ هذا بالذات ما يصب الماء في طاحونة الذين يكررون بأن فيديل «قد أرسل التشي لينتحر في بوليفيا».

ان مسألة الاتصال تستحق التوقف. في آخر شهر ايار (مايو) يسجل التشي في يومياته، ببرودة، بأن «العزلة ما تزال تامة». ويتابع انه بعد ان «احتترقت» تاتيانا، التي لا غنى عنها للصلة مع لا باز، انقطعت الاتصالات مع كوبا (دانتون) وفقدت خطة العمل في الأرجنتين (كارلوس). انه كلام مخيف. فالعملية كلها متوقفة على ثلاثة أشخاص فقط. يضاف إلى ذلك تصرف مقلق للغاية. فالعميل الكوبي الذي كان يعمل سراً في لا باز والذي حضر الساحة بفعالية، تم استدعاؤه عندما باشرت الحركة المسلحة عملها.

لم يكن أي واحد من عناصر الاتصال الثلاثة يعتقد، انه في حقله،

العنصر الوحيد الذي يقوم عليه التنظيم كله. فعندما يكون المرء منخرطاً في عملية بهذه الضخامة يحق له أن يعتقد بأنه بيدق، هام ربما، لكن يمكن تحريكه على الرقعة الواسعة. فإذا بكل منهم يكتشف انه لم يكن مجرد بيدق بل البيدق الوحيد، وانه لم يكن ثمة آخرين. وقد مررت شخصياً، وعلى قياسي الفردي، في هذه التجربة.

*

في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ عندما أعلن مانيلا (الاسم المرمز لهافانا) بواسطة الجهاز، التشي بأن «ماسبيرو سيذهب إلى هذه» (الاسم المرمز لبوليفيا)، كان من المشروع، مرة أخرى، التساؤل عما يحمل هذا الخبر من إيجابيات للحركة المسلحة. في الواقع لا يحمل لها شيئاً، كما لا تحمل لها شيئاً تظاهرات التضامن المعنوية المختلفة التي تم اعلامه بها. فيما يتعلق بي، بدأ الأمر قبل هذا التاريخ بقليل.

ففي نهاية عام ١٩٦٦، طلب مني في هافانا أن أسهم في اعداد ونشر مجلة القارات الثلاث كناطقة باسم المنظمة التي تحمل الاسم ذاته - كان يراد لها أن تكون حجر زاوية للاستراتيجية المتفق عليها بين فيديل والتشي. آنذاك امكنني الاستنتاج من خلال عدة لقاءات مع فيديل ومن سماعي لاحاديثه المكررة الطويلة بأنه لا يخفي همه في إيجاد الوسائل للافلات من الاصطفاف مع السوفياتيين: من جهود تفوق طاقة البشر لتأمين استمرار الحياة للجزيرة عن طريق تعبئة داخلية غير مسبوقة على جبهة الانتاج، وجهود أيضاً، لإيجاد حلفاء خارجيين لاستعادة التوازن. تلك كانت مرحلة بحث الكوبيين عن كل محاولة ثورية في العالم وتشجيعها. وتسنى لي أيضاً أن أثبتن كم كان مستحيلاً، خارج فريق القيادة الصغير، ذكر اسم التشي. فالصمت كان ثقيلاً، وكانوا يكتفون في محيط فيديل بإبداء الثقة التامة بظهوره المقبل.

في بداية أيار (مايو) ١٩٦٧ عندما عرف نيا اعتقال ريجيس دوبري - أعلنت وفاته سابقاً - ذهبت من جديد إلى هافانا. كان ذلك لسببين: أولاً لصداقتي معه التي تتجاوز علاقة، ناشر بمؤلف، التي تلزمني بمساعدته ولاعتقادي بأن واجب الذين أرسلوه إلى هناك أن يؤمنوا لي أفضل وسيلة

للتحرك. وثم لاعتقادي بأنني قادر، بما أملك من امكانيات، ان أسهم في استمرار العمل الكفاحي الذي كان يقوم به.

أخبرت الكوبيين بقراري الذهاب إلى لا باز لأطلب مقابلة ريجيس دوبري في السجن، وأؤكد ادعاء أن الكاتب ملاحق بدون وجه حق. وكانت إحدى «التغطيات» اللازمة لذلك رسالة مني تكلفه السفر إلى المنطقة لبحث شؤون تتعلق بمنشوراتي. وافق الكوبيون بالطبع، وأشاروا علي القيام بأقصى ما يمكن من الحركة بشأن قضية دوبري، وتشكيل لجنة دفاع، والعمل على ضم مشاهير إليها وإرسال أناس إلى لا باز بأسرع ما يكون للمطالبة باطلاق سراح السجنين. وأضافوا إلى ذلك فصلاً جديداً، فقد كلفت، في الوقت ذاته القيام باتصالات بطائفة من المتعاطفين مع الحركة المسلحة (بما في ذلك الاتصال بالشخص الثاني في الحزب الشيوعي، كولبي)، وتقويم الوضع، باختصار، كان مطلوب مني أن أقرن عملي العلني بنشاط سري.

ويمكن بدون جهد، تصور، هذه اللعبة المستحيلة. فرحلتني الأولى إلى لا باز برفقة كريست ماركر، وكانت والدة ريجيس دوبري قد سبقتنا، أسهمت في إثارة الموضوع بشدة بفعل التصريحات التي أدليت بها والنشاطات التي مارستها. لكن الصلات بدت مستحيلة، وخطرة على الأشخاص المعنيين الذين يعيشون تحت ضغط حالة حصار حقيقية. فالمناضلون متخفون والجامعة مغلقة. الانطباع العام الذي استخلصته والذي يستخلصه مطلق سائح فطن يشير إلى أن: الجهاز السري مختلف تماماً في حال انه ما يزال موجوداً... أما الحركة المسلحة فمعزولة تماماً، وتبدو القوات المسلحة في قوة ظاهرة، والعون الأميركي باد للعيان (طائرة البرانديف التي أقلتنا كان بين ركابها زهاء مئة أميركي من القوات الخاصة). وأخيراً، فإن وجود التشي، الذي يصبر الكوبيون على نفيه أصبح في لا باز أمراً مفروغاً منه. طلبوا مني، في كوبا، ان آتي لأقدم تقريراً. وهو ما قمت به قادماً عن طريق موسكو (كانت الطرق الموصلة إلى كوبا، آنذاك، معقدة، والطائرة العادية التي تنطلق من براغ كانت معطلة) هذه الطريق التي تسببت لجواز سفري بختم سوفياتي بارز رغم طلبي الملح للمسؤول الكوبي المكلف بتأمين هذا المرور بأن لا يتم ذلك.

ماذا يمكن أن أفعل أيضاً؟ وجاءني الجواب بالعودة إلى لا باز ومتابعة

المساعي... وجمع المزيد من المعلومات، وقد عدت في الأول من تموز (يوليو) برفقة صديقي المحامي جورج بيني الذي قبل أن يقوم هناك بمهمة رفضها جميع المحامين الباريسيين الذين تم الاتصال بهم من قبله. ليحصل ما يحصل: فقد تم بالفعل توقيفي وجرى التحقيق معي طويلاً من قبل (الديك) البوليس البوليفي، بحضور عسكريين وعميل للمخابرات المركزية الأميركية، وهو أميركي من أصل كوبي كما تدل لهجته وينتحل اسم الدكتور غونزالس. واسمعوني «اعترافات» ريجيس دوبري التي هي في الواقع عرض جامعي أكاديمي طويل حول الاستراتيجية العالمية للتشي. ويمكن الاطلاع عليه في كل ما نشر من كتابات هذا الأخير، وفي ما عرضه ريجيس دوبري ذاته في كتابه الثورة في الثورة. لم يكن ثمة أي تفصيل يعرض الحركة المسلحة للخطر. واني مازلت، حتى اليوم، شديد الإعجاب بهذا الموقف الباهر في مواجهة معذبيه. لم يدل إلا بنقطة واحدة دقيقة. فقد أقر ريجيس بوجود التشي. وماذا كان يمكنه أن يفعل خلاف ذلك بعد أن قال سيرو بوستوس كل شيء، وأمام معرفة المخابرات المركزية بكل شيء أيضاً؟ ومن خلال سؤال بعد سؤال، وحجة داعمة اثر حجة داعمة، تسنى لي أن أعرف شخصياً، الكثير عن الحالة في الأربع والعشرين ساعة. أعقب ذلك نقاش حاد حول شخصي المتواضع. فالعسكريون طالبوا باستلامي لأحكام في الوقت نفسه مع ريجيس دوبري، لقد كان يعتقد أنني ما زلت في باريس، فزعم بما أدلى في عرضه بأنني من آمن له القناة التي قادت إلى التشي. إلى ذلك فإن الختم السوفياتي في جواز سفري قد فعل ما يمكن تصوره، البرهان عن يد موسكو. فهل ثمة أفضل من ذلك؟ أما العناصر السياسية في وزارة الداخلية، فانها، بالمقابل، كانت تفضل، بصورة ظاهرة، عدم إضافة متهم جديد إلى ملف قضية ريجيس دوبري التي بدأت تقض مضاجعهم. فانتصرت وجهة نظرهم. ولا شك أنه كان لدفاع جورج بيني دور كبير في ذلك. فقد تم إبعادي، لكن ليس قبل أن أجر إلى زاوية مهجورة في الالتيبلانو، على حافة المطار ويجري ارهابي بتمثيلية اعدام حقيقي.

عدت فوراً إلى هافانا. وقد وجدت نفسي في خضم اختلاط المندوبين إلى

مؤتمر التضامن الاميركي اللاتيني (الذي يعقد تحت صورتين ضخمتين للتشي وبوليفار)، وإلى بطولة العالم في الصيد تحت البحر، مع المشاركين في صالون آيار (مايو) المنقول من باريس إلى كوبا. وقد وضعتني الصدفة وجهاً لوجه مع فيديل الذي كان يصافح مدعويه. كان الحديث موجزاً: «كيف الحالة في لا باز؟ - سيئة أيها القائد - سارك قريباً. تشرح لي ذلك». وأدار لي ظهره. أسرت جارتني المناضلة الثورية المجربة الي قائلة: «انك مجنون، لا يتكلمون هكذا مع فيديل كاسترو» كانت على حق، لم أر القائد مرة ثانية طوال اقامتي.

انها إقامة طالت، عملياً، حتى الايام التي سبقت مصرع التشي. كان يستحيل علي استعادة جواز سفري. وكان من الواضح أنهم لا يرغبون رؤيتي أغادر. هل ذلك لمعرفتي الكثير؟ وفي الوقت الذي كانت صحافة العالم كله تتكلم عن وجود التشي في بوليفيا، كانت كوبا تصر على الصمت. وعدم رؤيتي لفيدل مرة ثانية لم تمنع اخضاعني، في ساعة متقدمة من الليل، لاستجواب طويل من رئيس «الأجهزة» الكوبية القائد بينيرو. المسؤول الكبير عن «متابعة» عملية التشي. وللغربة فان الأسئلة لم تكن أخف ضغطاً من تلك التي واجهتني في بوليفيا. وبدا لي أن تقريرني لم يرض شأن جوابي لفيدل، فقد أعطيت لوحة متشائمة عن الوضع وخاصة عما يبدو من معرفة كاملة للعدو عن ظروف العملية وخواتيمها.

تشاؤم كان يتعزز، في ما يخصني، بالانباء التي تصل يومياً إلى وكالة برنسا لاتينا ولا تنشرها الصحف الكوبية. ففي آب (اغسطس) تمكنت أن أشاهد برفقة بينيرو ورجاله فيلماً صورته مبعوثو الصحافة الدولية، كان يعرض جثث اعضاء «الحرس الخلفي» بقيادة جواكيم. خلال ذلك تمكنت من احصاء اعضاء خلية أجهزة بينيرو، وهي الخلية التي تهتم بالمسألة البوليفية. إنها شديدة التقصص: أربعة أشخاص بمن فيهم بينيرو نفسه، ونقيبان (منهم «آربيل» الذي سنجده في رسائل «مانيللا») وملازم «لينو». كلهم كانوا على تهاؤل لا يتزعزع. «التشي يعرف ما يفعل ويفعله جيداً».

مع مرور السنوات أصبح بإمكانني التحقق من أن خبرتي البوليفية ليست كما اعتقدتها آنذاك، حيث كنت على يقين ساذج بأنني في الجهاز الثوري الكوبي مجرد حبة رمل، حصاة صغيرة منفردة بين حجارة

عديدة. فجملة: «ماسبيرو يذهب إلى هذه» لم تعد بالنسبة لي غير لائقة، بصورة غامضة، فهي قد ارتدت الآن معنى أكثر تفاهة وأكثر مأساوية على حد سواء. والنواة الكوبية التي كانت تهتم بالعملية البوليفية والتي ظلت متكئة على قناعاتها، ثابتة في اكتفائها، لم يكن عندها عملياً، وسائل استخبار وجمع معلومات - بضعة صحافيين أصدقاء كان يمكن تعدادهم على أصابع يد واحدة - لمتابعة الوضع ميدانياً والاخبار عنه. وأنا أيضاً لم أكن بيقناً بين العديد من البيادق بل كنت في إحدى اللحظات، البيدق بالذات. لقد ترك التشي وحيداً في مواجهة الموت، سواء كان ذلك عن قصد أم كان فقط عن مجرد اهمال.

*

ان نبأ موت التشي قد قوبل، في البدء، بعدم التصديق العام، نظراً للقوة التي كانت تتمتع بها أسطورة استحالة النيل منه. كان على فيديل كاسترو، بالذات، ان يعلن النبأ من مذياع راديو - هافانا ويدعو الشعب إلى سهرة جنازية في ساحة الثورة كي يتأكد المشككون بصحة النبأ. وقد أطلق في هذه السهرة الموضوعات التي سوف ترسم، منذ ذلك الحين، صورة التشي في الايقونوغرافية الثورية: «القضية التي قضى التشي في سبيلها هي قضية الدفاع عن الوضعاء... لقد صار التشي نموذجاً للإنسان. رفع إلى أعلى مدى التعبير عن الصلابة الثورية، وروح الفداء، والكفاحية، وعشق العمل الثوري. رفع افكار الماركسية - اللينينية إلى تعبيراتها الأكثر اصالة، والأكثر نقاءً، والأكثر ثورية. لم يكن في قلبه وفي ذهنه اعلام، ومظالم، وتعصب قومي، وأنانية...» لقد فشل التشي في خلق انسان جديد، لكنه في تجليه بالموت أصبح نفسه، وبصورة دائمة هذا الانسان الجديد.

انتشرت الضجة فوراً عن وجود يوميات خاصة على جثمانه. وقد تضاربت التخمينات عن مضمونها في كل وكالات الانباء في العالم. روايات مجلة يكاد لا يخالجها الشك. وتحولت أيضاً لأباز طوال صيفها الجنوبي إلى مسرح يذهب ويعود منه المبعوثون القادمون للتفاوض مع السلطات البوليفية على شراء اليوميات. وعرض ناشرون دفع مبالغ طائلة. أما في الواقع فان يوميات التشي وصلت إلى أيدي فيديل بواسطة وزير الداخلية

البوليفي الذي كان قد «بدل موقعه» في هذا الوقت ولجأ إلى هافانا. سيري القارئ أن هذا النص لا يتضمن أية اعترافات سوى تسجيل مسيرة طويلة لرجل يجمع بين نكساته وإيمانه، بين الاعتراف بهزائمه ويقينه بالنصر. ولن يستطيع أحد القول، طي هذه اليوميات، أن التشي جا. إلى بوليفيا لينتحر. لكن لن يستطيع أحد، أيضاً، أن يؤكد أنه لم ير الموت آتياً. يتساءل ريجيس دوبري بقوله: في أية لحظة، قرر التشي أن ينتهي ربما كان الجواب قد سبق وجاء في آخر جملة من رسالته إلى منظماً تضامن القارات الثلاث: «لا يهم أين يفاجئنا الموت، مرحباً به، شرط أن نسمع صرخة الحرب التي نطلقها...».

لدى قراءة هذا النص ينبغي أن يكون حاضراً في الذهن ما نعرفه اليوم عن الطريقة التي كان يكتب فيها التشي هذا النوع من «اليوميات» ومعروف أنه عمد إلى طريقة معائلة في أول رحلة له عبر أميركا، وفي خلال حرب العصابات الكوبية، وأثناء الحملة الأفريقية؛ ملاحظات مقتضبة في مفكرة، كما هي هنا. وكان يستخدمها منطلقاً لكتابة سيرة متماسكة - كم جرى، مثلاً، بالنسبة لـ «ذكريات عن الحرب الثورية». المفكرة، إذن، لا تشكل مذكرات على الإطلاق، إنها ليست سوى رؤوس أقلام لمذكرات. فكل ما يمكن أن ينسى مذكور، وكل ما يمكن أن يشكل معلماً مدون. وفي المقابل لا يوجد فيها أي اعتبارات استراتيجية لأن هذه الأخيرة ماثلة تماماً في ذهن المؤلف بحيث لم يكن بحاجة ليذكر نفسه بها. وهذا هو السبب في الانطباع الذي يمكن أن يتكون من قراءة هذه اليوميات عن الانطواء على الذات، وعدم الاكتراث بكل ما هو غير مسيرة الفريق الصغير ومحيطه المباشر. ولا يوجد فيها أيضاً، للأسباب ذاتها، اعتبارات وجدانية - لذا جرى الكلام عن «نشافها». لكننا نعرف أنه ذكر في آخر ما نطق من كلمات اسم زوجته اليدا: أما هنا فلا أثر لذلك.

*

لم التقي من جديد - وللمرة الأخيرة - بفيديل كاسترو إلا في بداية أيار (يوليو) ١٩٦٨. لقد استدعاني إلى هافانا ليطلعني على يوميات التشي ويعطيني نسخة منها. كان يرغب في أن يصدر الكتاب بعدة لغات في آن معاً، وينشر في أرجاء المعمورة كلها وفي أجال سريعة جداً. لكنه كان

يرفض على الاطلاق السماح باخراج الكتاب من كوبا ويطالب بأن تتم الترجمة فيها. وجاءت فانشيتا غونزالس باتلي التي سبق وترجمت نصوصاً عديدة هامة للتشي، من باريس، للقيام بهذه المهمة وفي رفقتها فرانس بينار. كان الوقت المفروض ثمانية أيام ظلت فيها المترجمتان معزولتين في منزل بحراسة عسكرية، وكان القائد بنييرو يأتي بنفسه ليراقب، في ساعات الليل الأولى، تقدم العمل.

لم يعدل النص المنشور. وهو يحافظ على الأخطاء التي ارتكبها التشي في كتابة تعابير محلية - هكذا يمكن، على سبيل المثال، قراءة ناكاهووازو، نكاهووازي، وأخطاء بسيطة مماثلة في الإمكنة وأسماء العلم، إلى بعض التقريبية في الترجمة بسبب ظروف العمل الخاصة، ذلك ان كل ذلك أصبح جزءاً من التاريخ، والنص في حالته هو وثيقة تاريخية^(٢٣).

في هذه الأمسية من شهر أيار (مايو) ١٩٦٨ التي أمضيتها برفقة فيديل في إحدى استراحاته كانت الأخبار ترد بغزارة. وللصدق في القول، فإن ما كان يهم قائد الثورة الكوبية منها، لا بل ما يشده تماماً، هو تلك المتعلقة بحصاد قصب السكر الجاري اعداده. كان يتصل بالهاتف إلى كل النقاط الحساسة في الجزيرة. ذلك انه في أحد انقلاباته العديدة والمدهشة، أدار ظهره لتنويع الاقتصاد، وأعلن في بداية العام «حصاد القرن، أي الحصاد الأكبر غير المسبوق. كان الهدف المحدد عشرة ملايين طن، ما يوازي ضعفي الحصاد المحقق في السنة السابقة. وقد تم ارسال جميع العمال المتوافرين في المدن إلى الحقول. هذه المرة سيجد الاقتصاد الكوبي الدافع لانطلاقه. ومعلوم ان هذا المشروع غير الواقعي انتهى إلى اخفاق تام، وترك البلاد عليلة تواجه المصير المخيف: التبعية للاتحاد السوفياتي.

(٢٣) لقد أخيف إلى النص، رغم ذلك، الأيام السبعة عشر التي لم تكن في الطبعة السابقة في الواقع هذه لم تكن موجودة في المسودة التي نقلها إلى كوبا وزير الداخلية البوليفي أرغيداس. وهي قد أصدرها فيما بعد ناشر أميركي مكلف عادة باصدار نصوص ترى وكالات الاستخبارات الأميركية مصلحة فيها، وقد نقلتها صحف أميركا اللاتينية، والترجمة المنشورة هنا مأخوذة عن النص المنشور في المجلة التشيلية، بوانتو فينال، الصادرة في سانتياغو، تشيلي، ٣٠ تموز (يوليو) ١٩٦٨. وهو يتعلق بالأيام التالية: ٤، ٥، ٨، ٩ و١٦ كانون الثاني (يناير) و٨ و٩ شباط (فبراير) و١٤ آذار (مارس) و٤ و٥ و٢٠ نيسان (أبريل) و٩ و١٠ حزيران (يونيو) و٤ و٥ و٢٦ تموز (يوليو) و٢٠ آب من عام ١٩٦٧.

كانت الاخبار الاخرى ترد من باريس ومن براغ. كنت قادماً من فرنسا التي قال عنها بصورة رائعة بيير فيانسون - بونتي، في جريدة «لوموند» انها «تضجر» وقد فشلت في شرح الآمال التي يمكن أن تنجم الانفجار الطلابي الذي ما كان يصلني عنه إلا اشارات. لقد علق فيديل على ذلك بقوله: العالم يغدو مجنوناً.. وكان واضحاً أن الحرية التي يطالب بها الرافضون في ايار (مايو) ١٩٦٨ ليست حريته، وعالم الغد الذي يتوقون إليه ليس عالمه. أما بخصوص «الاشتراكية ذات الوجه الانساني» التي كانت تحاول الانبعاث في براغ فان فيديل كان أصمّ تماماً ازاءها، ولم تنل منه تلك الليلة إلا السخرية. وبعد شهرين أيد التدخل السوفيياتي.

كانت صورة التشي، رسم كوردا، تنتشر معلقة في كل أرجاء هافانا، كما ستنتشر وتعلق في كل أرجاء المعمورة. لقد انطلق التجلي، وربما التشويه.

فرانسوا ماسبيرو، تموز (يوليو) ١٩٩٥

ترجمة الناشر



مقدمة لا بد منها

بقلم : الدكتور فيديل كاسترو

كان من عادة «تشي»، في حياته كمحارب، أن يدوّن ملاحظاته اليومية بكل عناية واهتمام. وخلال المسيرات الطويلة، في الأراضي الوعرة الصعبة، وفي الغابات الرطبة، وعندما كانت قافلة الرجال، وقد ناءت ظهورهم بعبء حقائبهم وذخائرهم وأسلحتهم... تتوقف للاستراحة، أو عندما كان الرتل يتلقى أمراً بالتوقف لإقامة المخيم في نهاية نهار مضمّن... كنا نستطيع أن نرى تشي - كما سماه الكوبيون بكل مودة منذ الاوقات الاولى - وهو يُخرج دفترأ ويسجل فيه ملاحظاته بخط الطبيب الذي تصعب قراءته لصغر حروفه.

إن ما استطاع حفظه من مذكراته ساعده فيما بعد على كتابة ذكرياته التاريخية البديعة عن الحرب الثورية في كوبا، الغنية بمحتواها الثوري والتربوي والإنساني. ونحن في هذه المرة، وبفضل تلك العادة التي لم يتخل عنها، عادة تسجيل الأحداث البارزة في كل يوم، نمتلك معلومات مفصلة في غاية الدقة، معلومات ثمينة عن الأشهر البطولية الاخيرة من حياته في بوليفيا.

إن هذه اليوميات التي لم تكتب في الحقيقة كي تُنشر، كانت تفيده

كأدوات عمل للحكم باستمرار على الأحداث والحالات والأفراد، وكانت تتيح له إطلاق العنان لفكر الناقد الثاقب. وقد كُتبت بشكل بسيط، وهي تشكل، من البداية حتى النهاية، كلاً متناسقاً كل التناسق.

ويجب ألا ننسى أنها قد كُتبت في لحظات الراحة النادرة. وفي زحمة جهد جسدي، وكفاح بطولي يفوق طاقة البشر، كُتبت في وسط التزاماته المضنية كرئيس لمجموعة المحاربين، في المرحلة الصعبة من بداية نضال قام في ظروف مادية، بلغت من القسوة مبلغاً لا يُصدق: وهذا ما يكشف النقاب مرة أخرى عن طريقته في العمل، وعن إرادته الحديدية.

ويبرز «تشي» في هذه اليوميات، وفي سياق تحليله المفصل لحوادث كل يوم، الأخطاء والانتقادات والمآخذ التي تلازم بشكل حتمي نمو الحرب الثورية.

إن مثل هذه الانتقادات، لا يمكن أن تكون سوى السجل اليومي للفصيلة المحاربة، وخاصة في مرحلة لا تزال فيها هذه الفصيلة مجرد نواة صغيرة: فهي ملزمة بمجابهة شروط مادية في غاية الصعوبة، وعدو متفوق عددياً... وقد يقود أقل إهمال وأبسط خطأ إلى الهلاك، وعلى القائد أن يكون متشدداً كلياً، وأن يستفيد من كل واقعة ومن كل حادثة، مهما بدت ضئيلة، لإعداد المقاتلين والكادرات المقبلة لفصائل المحاربين الجديدة.

يتطلب تشكيل العصابات التوجه باستمرار إلى شرف كل فرد وضميره، وقد كان «تشي» يعرف كيف يستثير الأوتار الحساسة للثوريين.

عندما وجه العلامة مرات متتالية إلى ماركوس، وهدد هذا الأخير بالفصل من المجموعة المحاربة، صرخ قائلاً: أقتلونني رمياً بالرصاص قبل أن تفعلوا ذلك! وثم وهب ماركوس حياته بكل بطولة... وكان الرجال الذين محضهم ثقته... ثم اضطر، ذات يوم، لسبب أو لآخر، إلى تقييعهم، يسلكون المسلك نفسه. كان قائداً أخاً، وإنساناً، ولكنه كان يعرف أيضاً، كيف يتشدد ويقسو حينما يتطلب الأمر ذلك... وكان قاسياً صلباً مع نفسه إلى أقصى الحدود وأكثر مما كان مع الآخرين. لقد أقام «تشي» الانضباط على أساس الوجدان الأخلاقي للمحارب، وعلى القوة العظيمة النابعة من

ذاته كمثال وقودة.

يتحدث أحياناً عن دوبريه في يومياته: فيكشف عن مدى الشجن الذي سببه له توقيف واعتقال الكاتب الثوري، الذي كان قد عهد إليه بمهمة في أوروبا، على الرغم من أنه تمنى في أعماق قلبه بقاءه في حرب العصابات. ولهذا فإنه يُظهر بعض التردد، وأحياناً بعض الشكوك، في حكمه على سلوكه.

إن «تشي» لم يتمكن من معرفة الملحمة التي عاشها دوبريه بين مخالب أجهزة القمع، ولم يتمكن أيضاً من معرفة موقفه الحازم الشجاع أمام أولئك الذين قاموا بتوقيفه وتعذيبه.

ومع ذلك، فقد أشاد بالاهمية السياسية الهائلة لمحاكمته، وكتب في يومياته في الثالث من تشرين الأول، أي قبل ستة أيام من موته، وفي وسط وضع متوتر ومرير: «لقد سمعنا عن مقابلة مع دوبريه، وكان شجاعاً للغاية في مواجهته لطالب قد استفزده»، وكانت هذه الكلمات بمثابة آخر إشارة إلى الكاتب.

ولما كانت هذه اليوميات، تشير مرات عديدة إلى علاقات الثورة الكوبية بحركة العصابات، فقد يزعم بعضهم أننا، حينما نقوم بنشرها، نقوم بعمل استفزازي من شأنه أن يزود أعداء الثورة والامبرياليين اليانكيين وحلفاءهم، طغاة أميركا اللاتينية، بالذرائع لتعزيز خططهم المستهدفة محاصرة كوبا، وعزلها، والاعتداء عليها.

ومن الخير أن نذكر أولئك الذين يطلقون مثل هذه الأحكام، بأن الإمبريالية اليانكية لم تكن في ذات يوم من الأيام بحاجة إلى تبريرات للقيام بأعمالها المشينة في أي مكان من العالم، وبأن جهودها من أجل سحق الثورة الكوبية قد بدأت مع صدور القانون الثوري الأول في بلادنا، للسبب الواضح البين المعروف، وهو أن هذه الإمبريالية تقوم بدور الحارس للرجعية العالمية، وهي المحرك الأساسي للثورة المضادة، وحامية البنى الاجتماعية المتأخرة واللاإنسانية القائمة في العالم.

قد تتخذ من التضامن مع الحركة الثورية ذريعة، ولكنه لن يكون أبداً سبب الاعتداءات اليانكية. إن نفي التضامن الأممي لانتزاع الذريعة من الإمبريالية، ما هو إلا سياسة نعمة مضحكة وغريبة تماماً عن الطابع الأممي للثورات الاجتماعية المعاصرة، كما أن الانقطاع عن التضامن مع الحركة الثورية، لا يعني انتزاع الذريعة من الإمبريالية اليانكية، وإنما يعني، في الواقع، التضامن معها، ومع سياستها التي تستهدف السيطرة على العالم واستعباده.

إن كوبا بلد صغير، واقتصادها متخلف، شأنها في ذلك، شأن جميع البلدان التي سيطر عليها الاستعمار والإمبريالية واستغلالها طيلة قرون عديدة. وهي كائنة على بعد ٩٠ ميلاً عن الولايات المتحدة، وللأخيرة قاعدة بحرية في أراضيها... وهي تواجه عقبات عديدة في سعيها لتحقيق نموها الاقتصادي والاجتماعي.

ولقد أهدقت أخطار كبيرة بوطننا منذ انتصار الثورة، ولكن الإمبريالية، لم تتوصل أبداً إلى اخضاعه، ونحن لا نُقيم وزناً كبيراً للمصاعب التي يجزها علينا انتهاج خط ثوري صحيح.

أما من وجهة النظر الثورية، فإن نشر يوميات «تشي» في بوليفيا، أمر لا يحتمل لتردد لحظة واحدة. فقد وقعت يوميات تشي في أيدي باريانتوس، الذي أسرع إلى تقديم نسخة عنها إلى المخابرات المركزية الأميركية، وإلى البنثاغون، وإلى حكومة الولايات المتحدة. وقد استطاع بعض الصحفيين المرتبطين بالمخابرات المركزية الأميركية، سبيلاً إلى الحصول على هذه اليوميات في بوليفيا ذاتها، وصورها متعهدين بالامتناع عن نشرها في الوقت الحاضر.

إن لدى حكومة باريانتوس وكبار القادة العسكريين، أسباباً كثيرة لطى هذه اليوميات، التي تتيح لنا أن نلمس مدى العجز الكلي الذي يعاني منه الجيش البوليفي، وكذلك الهزائم العديدة التي مني بها على أيدي قبضة من المحاربين المصممين الذين استطاعوا، في بضعة أسابيع فقط من القتال، أن

ينتزعوا منه قرابة مائتي قطعة من السلاح.

إضافة إلى ذلك فإن «تشي» يصف باريانتوس ونظامه بعبارات بلغت من الصحة والدقة مبلغاً سيخلدها التاريخ إلى الأبد، وقد كان للإمبريالية أسبابها الخاصة: فـ «تشي» ومثاله الفذ، يزدادان قوة في العالم يوماً فيوماً. إن أفكاره.. والصورة المرسومة عنه، واسمه، ونضاله ضد المظالم التي يتعرض لها المضطهدون والمستغلون، تثير اهتماماً وتعاضلاً قوياً لدى الطلبة والمتقنين في العالم أجمع.

ففي الولايات المتحدة نفسها، رفعت الحركة السوداء والطلاب التقدميون.. صورة «تشي»... ورفعت صورة في التظاهرات النضالية الكبرى من أجل الحقوق المدنية، وضد العدوان على فييتنام... وكأنها شعارات المعركة. لم يكشف التاريخ لنا إلا نادراً، إن لم يكن أبداً، عن صورة واسم ومثال، فرضت نفسها على البشرية بهذه السرعة الكبيرة، وبهذه القدرة العظيمة. ذلك لأن «تشي» يجسّد الروح الاممية التي تميز عالم اليوم وأكثر منه عالم الغد... في شكل هو أكثر أشكالها صفاء وطهارة.

ومن تلك القارة المضطهدة، حتى الأمس القريب، على أيدي الدول الاستعمارية، والتي تستغلها، حتى اليوم، الإمبريالية اليابانية، وتُبقيها في حالة من التأخر والتخلف الظالم الرهيب، ينتصب هذا الوجه العجيب فيحمل النضال الثوري، عاصفة شاملة حتى إلى قلب العواصم الإمبريالية والاستعمارية.

إن الإمبرياليين يخشون قوة هذا المثال وكل ما يساعد على تعريفه... إن ما منعهم حقاً من نشر هذه اليوميات... هو قيمتها الأساسية: وأعني في كونها تعبيراً حياً عن شخصية عجيبة، ودرساً في حرب العصابات، كتب بحرارة وتوتر كل يوم، وبرميلاً من البارود، وبرهاناً حقيقياً على أن الإنسان الأميركي - اللاتيني، ليس بالإنسان العاجز أمام أولئك الذين يستعبدون الشعوب، وأمام جيوشهم المرتزقة.

وقد لا يكون من مصلحتهم أيضاً، كشف النقاب عن الثوريين -

المزيفين، والانتهازيين والدجالين من كل الأنواع، الذين يعتبرون أنفسهم
ماركسيين وشيوعيين ويتباهون بالكلام، والذين لم يترددوا في الحكم على
«تشي» بأنه قد أخطأ. وأنه ليس سوى مغامر، أو مثالي، في نظر أولئك
الذين يبدون أقل تهجماً، وما موته سوى اختصار النضال الثوري المسلح
في أميركا اللاتينية... يقولون: «إذا كان «تشي»، وهو أعظم مدافع عن هذه
الأفكار والمحارب المجرب، قد سقط قتيلاً في حروب العصابات، ولم
تحرر حركته بوليفيا... فإن ذلك يدل على مدى توغله في الطريق
الخطي...».

كم من الأشقياء فرحوا لموت «تشي»، دون أن يحمرّوا خجلاً، من أن
تكون مواقفهم وتعليقاتهم، متفقة كلياً مع مواقف الطغاة الممّعين في
الرجعية، كما تتفق مع الإمبريالية!

وهكذا، فإنهم يبررون أنفسهم، أو يبرّرون القادة الخونة، الذين لم
يترددوا، في لحظة معينة، من تبني النضال المسلح، بينما كانت نواياهم
الحقيقية، كما تأكد ذلك فيما بعد، تستهدف تدمير مجموعات المحاربين،
وإعاقة العمل الثوري، وفرض حلولهم السياسية المخجلة والمضحكة،
لكونهم عاجزين كلياً عن انتهاج خط آخر... وهكذا، فإنهم يجدون
المسوغات لأولئك الذين لا يريدون القتال، والذين لن يقاتلوا من أجل
الشعب ومن أجل تحريره، لأولئك الذين شوهوا الأفكار الثورية، وحولوها
إلى أفيون مذهبي، لا يقدم للجماهير لا مضموناً ولا رسالة، لأولئك الذين
حولوا منظمات الشعب النضالية إلى أدوات للتفاهم مع المستغلين في
الداخل والخارج، إلى أدوات للدفاع عن سياسات بعيدة كل البعد عن
المصالح الحقيقية للشعوب المستغلة في هذه القارة.

لقد اعتبر «تشي» موته في المعركة شيئاً طبيعياً ومحتملاً، وقد اجتهد،
خاصة في كتاباته الأخيرة، بإبراز هذا الحدث، ألا وهو أن موته لا يوقف
المسيرة الحتمية للثورة في أميركا اللاتينية. وقد أكد، مرة أخرى، ما كان
يؤمن به في رسالته إلى مؤتمر القارات الثلاث: «إن عملنا كله هو صرخة
حرب ضد الإمبريالية... وأهلاً وسهلاً بالموت أينما فاجأنا، شرط أن
نسمع صرختنا هذه، وتمتد يد أخرى لتحمل سلاحنا...» لقد اعتبر نفسه

جندياً في الثورة، ولم يكن يهتم على الإطلاق بالحفاظ على حياته. إن أولئك الذين يرون، في نهاية نضاله في بوليفيا، فشلاً لأفكاره، يستطيعون، بنفس هذا التفكير الساذج، أن ينكروا قيمة أفكار وكفاح جميع المناضلين والمفكرين الثوريين العظام الذين سبقوه.. بمن فيهم مؤسسو الماركسية، الذين لم يتمكنوا من إنجاز رسالتهم وتأمل ثمار جهودهم النبيلة قبل مماتهم.

وفي كوبا لم يمنع مصرع مارتي أو ماسييو في ساحة القتال... وما أعقب ذلك في نهاية حرب الاستقلال، من تدخل يانكي... وموت مدافعين رائعين عن الثورة الاشتراكية مثل جوليو أنطونيو ميلا، الذي اغتاله عملاء الإمبريالية، لم يمنع هذا كله، وعلى المدى الطويل، انتصار حركة بدأت منذ مائة عام... ولن يستطيع أي شخص على الإطلاق أن يشكك في العدالة الخالصة للقضية التي كافح من أجلها هؤلاء المناضلون السابقون، أو في صحة أفكارهم الأساسية التي ألهمت على الدوام الثوريين الكوبيين.

إن يوميات «تشى»، تتيح لنا، بفضل الملاحظات الواردة فيها، أن نقدر كم كانت إمكاناته في النجاح حقيقية، وكم كانت عجيبة القدرة الانقلابية لحرب العصابات. وأمام الأعراض الأكيدة لضعف النظام البوليفي، وانهياره السريع، كتب يقول: «إن الحكومة تنهار بسرعة... لو كنا نمتلك في هذه اللحظة مائة رجل إضافي!».

وكان «تشى» يعرف، بحكم تجربته الكوبية، عدد المرات التي كانت فيها مجموعتنا الصغيرة الثائرة على وشك أن تباد. ولو حدث ذلك، لكان مردده الوحيد تقريباً، الصدف وظروف الحرب الصعبة... ولكن هل كان ذلك يعطي الحق لأي إنسان في اعتبار خطنا، خطأ خاطئاً.. وتقديمه كمثال من شأنه إخماد الثورة وحمل الشعوب على الشعور بالعجز؟

إن التاريخ مليء بالحركات الثورية التي منيت بالفشل، مرات عديدة، وفي كوبا نفسها، ألم نعش تجربة المونكادا، قبل ست سنوات تقريباً من الانتصار النهائي لنضال الشعب المسلح؟ لقد اعتبر الكثيرون بين السادس والعشرين من تموز ١٩٥٣، موعد الهجوم على ثكنة مونكادا، في سنتياغو كوبا، والثاني من كانون الأول ١٩٥٦، موعد النزول في «گرانما»، أن

النضال الثوري لا أمل له على الإطلاق في وجه جيش عصري، حسن التجهيز، وأن عمل حفنة من المقاتلين ليس سوى مجرد وهم من أوامهم المثاليين وأصحاب الرؤى البعيدة، الذين «يخطئون بشكل عميق».

وجاءت الهزيمة الساحقة، التي مُنيت بها المجموعة الثائرة غير المحنكة، وتشتتها الكامل في الخامس من كانون الأول ١٩٥٦، ليؤكد كلياً صحة هذه التنبؤات المتشائمة. ولكن بعد مضي ٢٥ شهراً فقط... اكتسب ما بقي من هؤلاء المقاتلين القوة والتجربة الضروريتين لسحق هذا الجيش.

سيكون هناك دوماً المزيد من الذرائع... في كل الحقبات، وفي شتى الظروف، للامتناع عن القتال... ولكن هذا الموقف سيكون دوماً الطريق الوحيد الذي لا يقود إلى الحرية. إن «تشي» لم يعيش ليرى صحة أفكاره ولكنه أخصبها بدمه. وإنه لمن المؤكد أن منتقديه الثوريين المزيغين... بجبنهم السياسي وافتقارهم الأبدي إلى العمل... سيعيشون حتى يلمسوا حقيقة تفاهتهم الخاصة.

ومما له مغزاه، أن يدعي أحد نماذج هؤلاء الثوريين، الذين يظهرون كل يوم في أميركا اللاتينية - أعني به ماريو مونجي، الذي كان يحمل، كما سنرى في اليوميات، لقب سكرتير الحزب الشيوعي البوليفي - أن من حقه انتزاع القيادة السياسية والعسكرية للحركة من «تشي». ولما كان قد التزم بالتخلي عن منصبه في وسط الحزب، في سبيل استلام القيادة المذكورة... فقد بدا له أن مجرد شغله هذا المنصب يعطيه حق المطالبة بهذا الامتياز. وبالطبع، لم يكن ماريو مونجي يمتلك أية تجربة في حرب العصابات، وهو لم يقاتل على الإطلاق... وعندما اعتبر نفسه شيوعياً فهو لم يشعر، ذات يوم، أن من واجبه تجاوز الشوفينية الحقيرة والديوية لمقاتلي الاستقلال الأول، كما عرف ذلك المناضلون السابقون. لقد بقي «قادة شيوعيون» من هذا النوع وبمثل هذا المفهوم للنضال المعادي للإمبريالية في هذه القارة، دون المستوى الأممي الذي تميزت به القبائل الوطنية، في صدها لغزو

المستعمرين الأوروبيين.

ها هو ذا إذا زعيم الحزب الشيوعي في بلد يحمل اسم بوليفيا، وتحمل عاصمته التاريخية اسم «سوكرا» على شرف محرريها الأولين، وكلاهما من فنزويلا... كان يستطيع أن يعتمد من أجل تحرير شعبه نهائياً، على مساعدة الموهبة السياسية والعسكرية لعملاق ثوري حقيقي، لم تكن قضيته مطلقاً محصورة ضمن الحدود الضيقة والمصطنعة وحتى الظالمة لهذا البلد... ولكنه لم يجد شيئاً أفضل من الدخول في مطالبات مخجلة وغير صحيحة... في سعيه لاستلام القيادة.

لا تملك بوليفيا أي منفذ على البحر... وحتى تتحرر وتنجو من حصار رهيب، فإنها في حاجة أكثر من أي بلد آخر، إلى انتصار الثورة لدى جاراتها... وكان في نفوذ «تشبي» الواسع وإمكاناته وتجاربه... ما جعل منه حقاً الإنسان المهيأ تماماً لدفع حركة التحرر فيها. وقبل أن يتم الانشقاق في الحزب الشيوعي البوليفي، أقام «تشبي» علاقات مع بعض قادته ومناضليه، وطلب منهم مساعدة الحركة الثورية في أميركا اللاتينية. وعمل معه بعض هؤلاء المناضلين، وبترخيص من الحزب في مهام مختلفة طيلة سنوات عديدة.

وقد أوجد الانشقاق في الحزب وضعاً خاصاً... وتوزع المناضلون الذين تعاونوا معه بين الفريقين. ومع ذلك فإن «تشبي» لم يكن يعتبر النضال في بوليفيا حدثاً معزولاً، وإنما جزءاً من حركة التحرر الثورية... التي لن تتأخر في الامتداد إلى البلدان الأخرى من أميركا الجنوبية. وكان ينوي تنظيم حركة مجردة من كل روح انعزالية، تعبئ جميع أولئك الذين يريدون النضال من أجل تحرر بوليفيا، وجميع الشعوب الخاضعة للإمبريالية في أميركا اللاتينية. ولكنه كان مرتبطاً في المرحلة الأولى من إعداد قاعدة حرب العصابات، بشكل أساسي، بمساعدة جماعة من الاعوان الشجعان والكتومين الذين بقوا في حزب مونجي أثناء الانشقاق. وهكذا، واحتراماً لهؤلاء، فقد دعا أولاً مونجي للقدوم إلى زيارته في المعسكر، رغم أنه لا يميل إليه بشكل خاص. ودعا بعد ذلك أيضاً موازيس غيفارا وهو زعيم نقابي لعمال المناجم، وزعيم سياسي قطع صلاته بالحزب

الشيوعي، ليشترك في إيجاد تنظيم آخر، ثم ابتعد عن هذا التنظيم أيضاً بعد أن اختلف مع أوسكار زامورا.. كان زامورا شبيهاً بمونجي فقد التزم هو أيضاً من قبل أمام «تشي» بالعمل على تنظيم النضال المسلح في بوليفيا، ولكنه بدلاً من الوفاء بالتزاماته... وقف مكتوف اليدين بشكل خسيس... حين دقت ساعة العمل.. وقد أصبح فيما بعد، وبعد موت «تشي» أحد نقّاده وأكثرهم حقداً عليه... باسم «الماركسية - اللينينية».

أما موازيس غيفارا فقد التحق بـ «تشي» دون تردد، ليقدّم له دعمه الذي كان قد عرضه عليه قبل قدومه إلى بوليفيا، وقد وهب حياته ببطولة من أجل القضية الثورية.

وحذت حذوه مجموعة المحاربين البوليفيين، الذين بقوا حتى ذلك الوقت في تنظيم مونجي.. وكان يقودهم أنتي وكوكو بيريدوا، اللذان برزا فيما بعد، كمقاتلين شجاعين ومرموقين... انفصل هؤلاء عن الحزب وساندوا «تشي» بكل تصميم... ولكن مونجي استاء من هذه النتيجة، فكرس جهده لتخريب الحركة، وذلك بتوقيف المناضلين الشيوعيين المدربين في لاباز، وكانوا على وشك الالتحاق بالمحاربين. إن هذا يبين لنا وجود رجال مستعدين كل الاستعداد للقتال في الصفوف الثورية، ثم لا يلبثون أن يجدوا أنفسهم وقد انصرفوا بشكل إجرامي، نتيجة لمناورات القادة العاجزين... الدجالين.

لم يكن «تشي» يكن أي اهتمام شخصي بالمناصب والقيادات وحفلات التكريم، ولكنه كان يؤمن إيماناً حازماً، بأن القيادة العسكرية والسياسية في النضال الثوري المسلح - حرب العصابات وهي شكل أساسي للعمل من أجل تحرر شعوب أميركا اللاتينية نظراً للوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي السائد في جميع بلدان القارة - يجب أن تكون موحدة... كما أن النضال لا يمكن قيادته إلا من خلال حرب العصابات، وليس من مكاتب بيروقراطية مريحة في المدن. ولم يكن حول هذه النقطة بالذات، مستعداً لأن يتنازل قيد أنملة، كما لم يكن مستعداً لأن يعهد إلى دماغ فارغ لا تجربة له، ونظرته ضيقة وشوفينية، بقيادة نواة من المحاربين الثوار، مهياة للقيام بنضال واسع في أميركا اللاتينية، حالما تتعزز صفوفها. كان

«تشي» يعتبر أن لا بد من مكافحة هذه الشوفينية المنتشرة أحياناً بين العناصر الثورية في بلدان مختلفة من أميركا اللاتينية، كعاطفة رجعية مضحكة وعقيمة. وقد قال في رسالته إلى مؤتمر القارات الثلاث: «يجب أن ننمي أمة بروليتارية حقيقية... بحيث يمسي العلم الذي نناضل تحت ظله، القضية المقدسة لخلاص البشرية، وبشكل يصبح فيه الموت، تحت شعارات فييتنام أو فنزويلا أو لاووس أو غينيا أو بوليفيا - إن لم نرد سوى ذكر المسارح الحالية للنضال المسلح - مشرفاً ومرغوباً فيه. سواء بالنسبة للأميركي أو الآسيوي أو الأفريقي وحتى للأوروبي. إن كل نقطة دم تهرق على أرض، وتحت علم لم تولد تحته... هي تجربة ثمينة للمناضل الذي عاشها، من شأنها أن تساهم في تحرير موطنه الأصلي. وإن كل شعب يتحرر... مرحلة تكسب في المعركة لصالح تحرير شعب آخر».

وكان «تشي» يعتقد أيضاً أن المجموعة الثائرة، يجب أن تضم محاربين من مختلف البلدان الأميركية - اللاتينية، وأن حرب العصابات في بوليفيا يجب أن تكون مدرسة للثوريين. يقومون فيها بالتدريب على القتال، وقد رأى أيضاً أن تقوم بمساعدته في هذه المهمة إلى جانب البوليفيين، نواة صغيرة من المحاربين المجريين، الذين كانوا تقريباً جميعاً، من رفاقه في السيرة ماسترا أثناء النضال الثوري الكوبي، وكان يقدر كفاءتهم ومقدرتهم وحبهم للتضحية. لم يتردد أي منهم في الاستجابة لندائه، ولم يتخل عنه أحد، ولم يستسلم كذلك أحد.

لقد قاد «تشي» المعركة في بوليفيا بعناد، ومهارة، وثبات جنان، وسلوك مثالي، أصبح مضرب المثل. ونستطيع القول إنه، ولإدراكه العميق لأهمية الرسالة التي ارتضاها لنفسه، قد تصرف، في كل لحظة، بروح خالصة من المسؤولية لا يرقى إليها اللوم. وعندما ارتكب المحاربون الثائرون بعض الإهمالات، هب لتحذيرهم ومعالجة هفواتهم، وذكر ذلك في يومياته.

تشابكت مجموعة عجيبة من العوامل المادية ضده. وطال الانفصال الذي ظن أنه لن يتجاوز أياماً قصيرة معدودة، انفصال قسم من

المحاربين الأكفاء، كان بعضهم مريضاً أو قيد النقاهاة... طال شهوراً لا تنتهي... كرس خلالها «تشي» كل جهده للبحث عنهم... ذلك لأن الاتصال بين المجموعتين قد قطع في أرض وعرة للغاية... وفي تلك الفترة، هاجمه مرض الربو الذي اعتاد على تهدئته بأدوية بسيطة للغاية... والذي كان يتحول إلى عدو مخيف حالما تنقصه المسكنات، هاجمه بلا رحمة، وأصبحت المشكلة خطيرة بعد أن اكتشف العدو الأدوية التي قام بتخزينها للمحاربين على سبيل الحيلة... وكان لهذا الحدث، كما كان لإبادة مجموعة المحاربين في نهاية آب والتي فقد الاتصال بها، أهمية أساسية في مجرى الأحداث. ولكن «تشي» سيطر على الألم الجسدي بإرادة فولاذية، ولم يضعف ذلك من عمله، أو يقلل من شجاعته.

كانت اتصالاته بالفلاحين البوليفيين عديدة... ولم تكن طباع هؤلاء، المتوجسة الحذرة، لتفاجيء «تشي»، الذي كان يعرف تماماً عقليتهم، لكونه قد عاشهم في مناسبات أخرى. كان يدرك أن من الضروري قيادة عمل طويل وصعب وصبور في سبيل كسبهم إلى جانب قضيتهم، ولم يتطرق الشك مطلقاً إلى نفسه في أنه لن يتوصل إلى تحقيق غايته مع مرور الزمن. ولو تابعنا بانتباه مجرى الأحداث، لرأينا أن حرب العصابات حافظت، حتى في شهر أيلول، أي قبل بضعة أسابيع من موته، وعندما انخفض عدد رجاله إلى أدنى مستوى... على إمكانياتها في العمل، وأن بعض الكادرات البوليفية كالأخوين أنتي وكوكو بيريدوا قد تميزت وبشّرت بإمكانات قيادية. إن كمين هيغراس هو العمل الوحيد الذي قام به الجيش ضد المجموعة التي يقودها «تشي» وتكلل بالنجاح، حينما قتل طليعة المجموعة، وجرح عدداً من أفرادها في وضح النهار... بينما كان هؤلاء في طريقهم إلى منطقة يتمتع فلاحوها بوعي سياسي أفضل (لم يذكر هذا الهدف في اليوميات وقد أورده لنا بعض من نجوا من الكمين).

هذا الكمين بالذات، وضعهم في موضع صعب لا يمكن التغلب عليه. إن هذه المسيرة النهارية طيلة أيام متتالية، وفي نفس الطريق، أثارت شبهات سكان هذه المنطقة التي يجتازونها للمرة الأولى، مع إيمانهم المطلق بأن العدو سيعترض سيرهم في لحظة معينة... كانت هذه المسيرة حقاً مفعمة

بالمخاطر، وكان «تشي» مدركاً حقيقة ذلك وقد قرر المجازفة بها بغية مساعدة الطبيب الذي كان في حالة جسدية سيئة للغاية، كتب في عشية الكمين: «وصلنا إلى بوجيو... كان هناك أناس رأونا البارحة في الأسفل... وبعبارة أخرى لقد أعلن راديو بامبا عن وصولنا^(١).. فاصبح من الخطورة بمكان أن نسير مع البغال، وجل جهدي أن تتم رحلة الطبيب في أفضل الظروف الممكنة فقد أصبح في غاية الضعف»... وكتب في اليوم التالي: «مضت الطليعة في الساعة الواحدة (الساعة الثالثة عشرة) في محاولة للوصول إلى جاغوي، واتخاذ قرار هناك بخصوص البغال والطبيب»... وكان يبحث إذاً عن حل للمريض حتى يستطيع مغادرة هذا الطريق واتخاذ الاحتياطات الضرورية. ولكن الكمين القاتل تم بعد ظهر هذا اليوم بالذات وقبل أن تصل الطليعة إلى جاغوي، مما وضع الفصيلة في مأزق لا مخرج منه، وبعد أيام قليلة، شنت الفصيلة معركتها الأخيرة بعد أن حوصرت في وادي اليورو.

إن العمل البطولي الذي قامت به هذه القبضة من الثوريين.. لعمل مدهش للغاية. إن مجرد النضال ضد الطبيعة المعادية التي كانت تحيط بهم... تشكل صفحة بطولية. أن يأخذ مثل هذه العدد الصغير من البشر، على عاتقهم القيام بهذه المهمة العملاقة، فذلك لم يشهد التاريخ له مثيلاً. إن إيمانهم واقتناعهم المطلق بأن القدرة الثورية الهائلة لشعوب أميركا اللاتينية يمكن إيقاظها.. وإن ثقتهم العميقة بأنفسهم وقرارهم بتكريسها لتحقيق هذا الهدف، كل هذا يقدم لنا الأبعاد الحقيقية لهؤلاء الرجال.

قال «تشي»، ذات يوم، للمحاربين في بوليفيا: «إن هذا النوع من النضال، يتيح لنا فرصة التحول إلى ثوريين، وبلوغ أعلى مستوى للجنس البشري، ولكنه يتيح لنا أيضاً أن نصبح رجالاً، وعلى أولئك الذين يشعرون بعجزهم عن بلوغ هاتين المرحلتين أن يشدوا رحالهم ويتخلوا عن حرب

(١) راديو بامبا: تعبير شعبي في كوبا ليشير الى الاشاعات الشعبية.

العصابات..

إن الذين ناضلوا معه، حتى اللحظة الأخيرة، قد برهنوا على جدارتهم بهذه الصفات المجيدة. إنهم يرمزون إلى نوع الرجال الثوريين الذين يدعوهم التاريخ، في أيامنا، للقيام بمهمة صعبة وشاقة حقاً: مهمة التحويل الثوري لأميركا اللاتينية.

كان العدو الذي جابهه أبطال النضال الأول من أجل الاستقلال، يتمثل في السلطة الاستعمارية المتحطة. أما الثوريون في أيامنا فعدوهم يتجسد في أقوى معقل للمعسكر الإمبريالي، مزود بالتقنيات والصناعة الحديثة. لقد أقام هذا العدو جيشاً بوليفياً جديداً، وزوده بالمعدات، في بلد قام فيه الشعب بتدمير القوة العسكرية القديمة الإرهابية، ثم قَدَّم له معونة السلاح وساعده عسكرياً من أجل مكافحة حرب العصابات... وهو يقدم بنفس الطريقة مساعدته العسكرية والتقنية إلى كافة قوى الإرهاب والقمع في القارة. وعندما لا تكفي هذه الإجراءات، فإنه يتدخل مباشرة بقواته... كما فعل في الدومينيكان.

إن انتصار النضال ضد هذا العدو يتطلب هذا النوع من الثوريين والرجال الذين تحدث عنهم «تشي». وبدون هذا النوع من الثوريين والرجال المستعدين للقيام بما قاموا به، بدون هذه الشجاعة في مجابهة العقبات الكبيرة، بدون قرار الموت هذا الذي رافقهم في كل لحظة، بدون هذا الاقتناع العميق بعدالة قضيتهم، وبدون إيمانهم الذي لا يتزعزع بقوة الشعوب التي لا تقهر، في وجه سلطة كالإمبريالية اليانكية تشمل مواردها العسكرية والتقنية والاقتصادية العالم أجمع... بدون هذا كله، لا سبيل إلى تحرير شعوب هذه القارة.

إن الشعب الأميركي الشمالي نفسه، قد بدأ يدرك أن البنية السياسية العليا الهائلة التي تدير بلاده، لم تعد، ومنذ زمن طويل، تلك الجمهورية الشاعرية التي أقامها مؤسسوها، منذ مائتي عام تقريباً. وهو يتعرض في كل يوم ويقسأوة إلى بربرية نظام لا عقلاني ومهووس، لا إنساني وشرس، ينال بشكل متعاضم الأميركيين، من ضحايا حروبه العدوانية وجرائمه السياسية وانحرافاته العنصرية، وتمييزه التعيس بين الكائنات

البشرية وتبيده المفضوح للموارد الاقتصادية، والعلمية، والبشرية العائدة لجهازه العسكري الرجعي الإرهابي، في عالم يعيش ثلاثة أرباعه في جوع وتخلف.

إن التحول الثوري في أميركا اللاتينية هو وحده الذي يستطيع أن يتيح لشعب الولايات المتحدة تصفية حساباته الخاصة مع الإمبريالية.. وفي الوقت نفسه فإن نمو حركة نضال الشعب الأميركي ضد هذه السياسة الإمبريالية تؤهله لأن يصبح حليفاً حاسماً للحركة الثورية الأميركية اللاتينية.

إن على هذا الجزء من نصف الكرة الأرضية أن يعرف تحولاً ثورياً عميقاً: وإلا فإن الاختلاف الهائل والاختلال اللذين استتبا في بداية هذا القرن بين الأمة القوية من جهة، والتي كانت تتصنع بسرعة، بينما كان قانون ديناميتهما الاجتماعية والاقتصادية بالذات يحملها إلى الذرى الرفيعة، وبين المجموعة «المبلفنة» في بقية هذه القارة، من جهة أخرى، إن هذا الاختلاف، وهذا الاختلال سيزدادان بشكل رهيب، ليس فقط بسبب التباين الحالي الشاسع في الاقتصاديات والعلوم والتقنيات، وإنما أيضاً بسبب الاختلال المخيف الذي ستفرضه الإمبريالية خلال العشرينات المقبلة على شعوب أميركا اللاتينية وبدرجة متسارعة.

إننا مهياؤون في سلوكنا هذا الدرب، لأن نصبح أكثر فقراً، وأكثر ضعفاً، وأكثر ارتباطاً بهذه الإمبريالية، وعبودية هذه النظرة القائمة إلى المستقبل تنطبق على شعوب أفريقيا وآسيا بقدر ما تنطبق على بلدان أميركا اللاتينية. وإذا كانت الأمم الصناعية المرتبطة بأوروبا، بسوقها المشتركة ومؤسساتها العلمية على مستوى القارة المذكورة، يساورها القلق من جراء إمكانية البقاء في مؤخرة السباق وتندارس بخشية إمكانية تحولها إلى مستعمرات اقتصادية للإمبريالية اليابانية، فما الذي يخبئه المستقبل لشعوب أميركا اللاتينية؟

أمام لوحة هذا الوضع الحقيقي الظاهر للعيان والذي ينبغ بشكل حتمي على مصير شعوبنا... إذا استطاع ليبرالي أو إصلاحى بورجوازي أو ثوري مزيف ودخال، عاجز عن القيام بأي شيء، إذا استطاع تقديم حل للتأخر

الاقتصادي والعلمي - التقني المتراكم خلال عصور عديدة، بالنسبة للعالم الصناعي، وخاصة بالنسبة للولايات المتحدة التي ترتبط بها، وسوف ترتبط بها بشكل أوثق في المستقبل، وإذا لم يكن هذا الحل تحولاً ثورياً عميقاً وعاجلاً يعبئ القوى الأخلاقية والمادية والبشرية في هذا الجزء من العالم لدفعها إلى الأمام: وإذا تقدم بالصيغة السحرية، وأشار إلى الطريق السحري للتوصل إلى ذلك، وإذا كان هذا الطريق مختلفاً عن الطريق الذي رسمه «تشي» والذي يكنس الديكتاتوريات، والطغاة، والسياسيين، وأعني الأجراء اليانكيين وسادتهم من أصحاب الاحتكارات اليانكية... فليفعل ذلك بأقصى سرعة تتطلبها الظروف ولينهض حينئذ ليفند «تشي».

ولكن ليس من يملك في الواقع جواباً مشرفاً ولا عملاً منطقياً يبحث الأمل الحقيقي في قلوب ٣٠٠ مليون كائن بشري هم سكان أميركا اللاتينية الفقيرة بشكل بائس في أغلبيتها الساحقة، هؤلاء السكان الذين سيبلغون ٦٠٠ مليون في مدة ٢٥ سنة، والذين لهم الحق كل الحق في الحياة المادية الثقافية والحضارية: أليس من الأناقة المفرطة أن نصمت أمام بادرة «تشي»، وأمام أولئك الذين سقطوا إلى جانبه ليدافعوا بكل شجاعة عن أفكاره.. ذلك أن الملحمة التي حققتها هذه القبضة من البشر يحدوها ذاك المثل الأعلى النبيل في إنقاذ قارة كاملة، ستظل أسمى برهان على ما تستطيع أن تفعله الإرادة والبطولة والعظمة الإنسانية. إن مثالهم سوف يضفي الضمان، ويرشد نضال شعوب أميركا اللاتينية، لأن نداء «تشي» البطولي سوف يلبيه الفقراء والمستغلون، الذين ضحى بحياته من أجلهم، ولأن الأيدي التي سوف تمتد لحمل السلاح وتحقيق تحررها النهائي.. ستكون عديدة.

كتب «تشي» الأسطر الأخيرة من يومياته في السابع من تشرين الأول. وفي اليوم التالي، وفي الساعة الثالثة عشرة، وفي واد ضيق قبع فيه ورفاقه بانتظار هبوط الليل، لفك التطويق... هاجمتهم قوات غفيرة من الأعداء. وقاتل الرجال القلة الذين كانوا يؤلفون الفصيلة في ذلك التاريخ ببطولة

حتى هبوط الليل وهم يتحضرون في مواقع فردية في مجرى الجدول، وعلى الأطراف العليا، في وجه جميع الجنود الذين كانوا يحيطون بهم ويهاجمونهم من كل حذب وصوب. ولم يبق من المجموعة القريبة من «تشي» حي واحد. ولما كان يصحبه الطبيب الذي ذكرنا من قبل خطورة حالته الصحية، وكذلك محارب بيروفي (من بيرو) يعاني، هو أيضاً، من سوء حالته الصحية، فإن كل شيء يدل على أن «تشي» قد بذل كل ما في وسعه لحماية انسحاب رفاقه نحو مكان أكثر أمناً وهذا ما يفسر كونه قد جرح بالذات... ذلك لأن الطبيب لم يمت في هذه المعركة، وإنما بعد عدة أيام من وقوعها، في مكان لا يبعد كثيراً عن وادي اليورو. وكانت طبيعة الأرض الصخرية الوعرة المنتظمة تجعل من الصعوبة الفائقة، إن لم يكن بحكم المستحيل، الاتصال البصري بين المحاربين أنفسهم، فالذين كانوا يدافعون عن الموقع في المدخل الثاني للوادي، على بضعة مئات من الأمتار من «تشي». ومن بينهم إنتي بيريدو، صدوا الهجوم حتى أول الليل، ثم نجحوا في الابتعاد عن العدو والتوجه نحو نقطة الالتقاء التي حددت مسبقاً. وقد استطعنا أن نعرف بكل دقة أن «تشي» قد استمر في القتال، على الرغم من جراحه، حتى دمرت سبطانة بندقيته م - ٢ من جراء رصاصة طائشة وأمست غير صالحة للاستعمال. ولم يقدم له المسدس الذي كان يحمله أية فائدة بعد ضياع مخزنه... إن هذه الظروف العجيبة تفسر لنا كيف استطاعوا أن يقبضوا عليه حياً.. كانت الجراح التي أصيب بها في ساقيه تعيقه عن المسير وحيداً ولكنها لم تكن بالجراح القاتلة.

نقل تشي إلى قرية هيغيراس، وبقي حياً قرابة ٢٤ ساعة. وقد رفض أن يتبادل كلمة واحدة مع أولئك الذين أسروه، أما الضابط الثمل الذي حاول إنزاله، فقد تلقى منه صفعه على وجهه.

وفي لاباز حيث اجتمع باريانتوس وأوفاندو والقادة العسكريون الآخرون.. اتخذ هؤلاء قرارهم باغتيال «تشي» بدون أن تطرف لهم عين. ولدينا معلومات مفصلة عن إجراءاتهم لتنفيذ هذا القرار المشين في مدرسة قرية هيغيراس. أعطى الماجور ميغيل آيورو والكلونيل أندريس سيلينيش، وهما ضابطان تدريباً في مدارس اليانكيين، التعليمات الضرورية لضابط

الصف ماريو تيران من أجل تنفيذ عملية الاغتيال. وعندما دخل هذا الأخير، بعد أن ثمل تماماً، إلى المدرسة، كان «تشي» قد سمع طلقات الرصاص التي أودت بحياة محاربين: أحدهما بوليفي والآخر بيروني (من بيرو).. ولما لمس تردد الجلاد، قال له بشجاعة نادرة: «أطلق النار! لا تخف!» وتراجع ضابط الصف مخذولاً مما دفع برئيسه أيوروا وسيلنيش إلى إعادة الأمر مرة أخرى على مسامعه، فعاد لتنفيذه بإطلاق عدة عيارات نارية من رشيشه من الأعلى إلى الأسفل، تحت الخصر.

تلقى الجلادون أمراً بعدم توجيه نيرانهم إلى القلب أو الرأس حتى لا تؤدي جراحه بحياته على الفور خاصة بعد أن أشيعت رواية مصرعه بعد مضي عدة ساعات على القتال، وهكذا فقد أطيل احتضار «تشي» بقساوة إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصة من مسدسه في الجانب الأيسر منهياً بذلك حياة الشهيد. إن هذا المسلك يتعارض بشراسة مع الاحترام الذي أبداه «تشي» بدون استثناء، لحياة ضباط وجنود عديدين من الجيش البوليفي كانوا قد وقعوا في أسرهِ.

لقد كانت الساعات الأخيرة من حياته، بين أيدي أعدائه الحقيرين، في غاية المرارة. ولكن «تشي» كان مهيناً، أكثر من أي رجل آخر في العالم، للصمود أمام هذه التجربة.

لا يمكننا الآن أن نكشف النقاب عن كيفية وصول هذه اليوميات إلينا. ويكفي أن نقول إننا قد حصلنا عليها بدون مقابل.. وهي تتضمن جميع الملاحظات التي كتبها بين السابع من تشرين الثاني ١٩٦٦، موعد وصول «تشي» إلى نانكا هوازو، والسابع من تشرين الأول ١٩٦٧، وهو اليوم الذي نشبت في مسائه معركة وادي اليورو. هناك بعض صفحات ناقصة

(٢) المقصود هي الأيام التالية: ٤ و ٥ و ٨ و ٩ كانون الثاني؛ ٨ و ٩ شباط؛ ١٤ آذار؛ ٤ و ٥ نيسان؛ ٩ و ١٠ حزيران، ٤ و ٥ تموز. هذه النواقص كانت في الطبعة الأصلية. أضيفت في هذه الطبعة، كما اشرنا سابقاً. فضلاً عن ذلك، فإن هذه الطبعة تتضمن ملحقاتاً ببيانات الفوار إلى جانب البرقيات المرسلة من هافانا.

لم تصل إلينا بعد، وبما أنها تعود لأيام لم يجر فيها أي حدث هام، فإن مضمون اليوميات لم يتأثر من جراء غيابها، على الإطلاق.

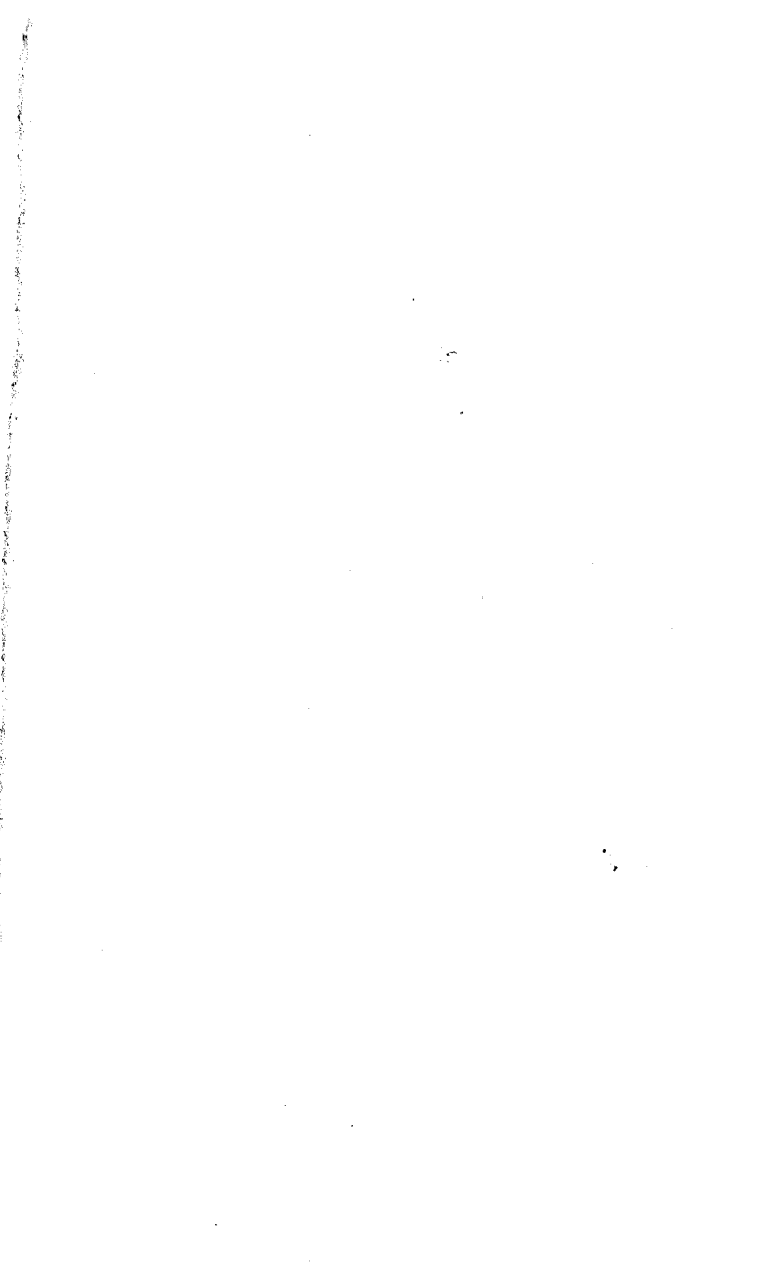
إن أصالة هذه الوثيقة لا يرقى إليها الشك مطلقاً، ومع ذلك، فقد أخضعت جميع النسخ المصورة إلى فحص دقيق وليس ذلك للتحقق فقط من الأصالة وإنما أيضاً من أي تشويه ممكن، مهما بدا صغيراً. ومع ذلك، فقد قُورنت الأحداث بيوميات أحد المحاربين الذي نجا بحياته وتطابقت الوثيقتان في جميع النقاط، ثم إن الشهادة المفصلة التي أدلى بها المحاربون الآخرون الذين نجوا والذين عاشوا جميع الأحداث لم تترك ذرة من الشك في صحتها. وهكذا فقد حصلت لدينا القناعة التامة من أن جميع هذه النسخ المصورة تنقل إلينا بكل أمانة يوميات «تشي».

إن فك رموز هذه الكتابة الصعبة الصغيرة... كان عملاً مضمناً وقد تحقق بفضل مشاركة جادة من رفيقته أليدا مارش دي غيفارا. ستقوم دور النشر والمجلات التالية بنشر هذه اليوميات في آن واحد، دار ماسبيرو في فرنسا، دار فليتريني في إيطاليا، دار تريكونت فيرلاغ في الجمهورية الاتحادية الألمانية، مجلة رمبار في الولايات المتحدة، دار رويدو أبيريكو في فرنسا باللغة الإسبانية، مجلة بونتوفينال في الشيلي، دار سيلغو في المكسيك... وسوف تنشر في بلدان أخرى أيضاً.

فحتى النصر دوماً

فيدلي كاسترو

أيار ١٩٦٨



يوميات بوليفيا

تشرين الثاني ١٩٦٦

٧ تشرين الثاني

تبدأ اليوم مرحلة جديدة. وصلنا ليلاً إلى المزرعة، بعد رحلة لا بأس بها، دامت يومين. وبعد وصولنا، أنا وباشنغو^(١) متخفيين في سيارتي «جيب»، عن طريق كوشا بمبا، قمنا باتصالاتنا على الفور. وحينما اقتربنا من المزرعة أوقفنا إحدى السيارتين واستخدمنا فقط واحدة حتى لا نثير ريبة ملاك في الجوار كان قد بدأ في ترويج شائعات باننا نعمل لحساب مؤسسة تنتج الكوكايين. ومن الغريب أن توميني^(٢)، الذي يعجز الكلام عن وصفه هو الذي اعتبر كيميائي الجماعة كلها. وبينما كنا نتابع طريقنا، خلال المرحلة الثانية كاد بيغوت أن^(٣)، يسقط في الوادي عندما عرفني وأوقف سيارة الجيب على حافة الهاوية. وهكذا تابعنا طريقنا، مسافة ما يقرب من ٢٠ كيلو متراً، ووصلنا، بعد منتصف الليل، إلى المزرعة حيث كان ينتظرنا ثلاثة من عمال الحزب.

(١) سيظهر أيضاً تحت اسم باشو.

(٢) اسمه توما في أماكن أخرى.

(٣) سيظهر أيضاً تحت إسمي لورد وجورج.

أبدى بيغوت استعداده للتعاون معنا، مهما كان موقف الحزب، ولكنه سيظل على ولائه لمونجي فهو يحترمه ويحبه، كما يبدو. قال إن رودولفو وكوكو يُبديان نفس الاستعداد، ولكن يجب أن نسعى لحمل الحزب على الاشتراك في القتال. طلبت إليه ألا يطلع الحزب على شيء قبل أن يعود مونجي الذي سيساعدنا من رحلته إلى بلغاريا، فوافق على كلا النقطتين.

٨ تشرين الثاني

قضينا النهار في الغابات قرب نهر لا يبعد عن البيت أكثر من مائة متر. طاردتنا بعوضة جد مزعجة على الرغم من أنها لا تلسع. كانت مختلف الحشرات التي التقينا بها حتى الآن من أنواع البعوض الكبير والصغير وقراد الخراف.

أخرج بيغوت سيارة الجيب بمساعدة ارغاناراز، واتفقا على شراء بعض ما نحتاج إليه، كالخنازير والدجاج. كنت أعتزم تدوين حوادث الرحلة لمجرد الإعلام فقط ولكنني تركت هذه المهمة إلى الأسبوع المقبل بانتظار المجموعة الثانية.

٩ تشرين الثاني

لا جديد. قمنا أنا وتوميني باستطلاع مجرى نهر ناكاهوازي (وهو جدول في الحقيقة) ولكننا لم نصعد إلى منبعه. فمجره وعمر، والمنطقة تبدو غير مأهولة. إننا نستطيع أن نبقي فترة طويلة هنا بشيء من ترويض النفس. اضطررنا إلى مغادرة الغابات، بعد هطول أمطار غزيرة، وعدنا إلى البيت. وهناك أخرجت ستة من قراد الخراف من ملابسني.

١٠ تشرين الثاني

خرج ياشنغو وبومبو للتعرف على الأمكنة، يرافقهما سيرافان، أحد الرفاق البوليفيين. توغلا أكثر منا قليلاً، ووصلوا إلى نقطة تفرع النهر... إنه مجرى صغير على ما يبدو، وبعد عودتهم، مكثوا في البيت يتسامرون فرأهم سائق ارغاناراز الذي جاء ليرافق الرجال مع مشترياتهم. أثبتهم، وقررنا أن ننقل في الغد الباكر إلى الغابات حيث نقيم مخيماً نهائياً. أما توميني فيمكنه أن يتنقل لأنهم يعرفونه، وسوف يعتقدون أنه من مستخدمي المزرعة. إن الوضع يسوء بسرعة، ويجب أن أتأكد من أن

الامور تتيح لنا ان نرسل في طلب رجالنا، على الرغم من كل شيء. فمعهم وحدهم ساكون مرتاحاً.

١١ تشرين الثاني

نهار مضى بدون جديد، قضيناه في مخيم جديد على الجانب الآخر من البيت حيث قضينا ليلتنا.

اضطرتنا الوباء اللعين إلى الاحتماء في السرير المعلق المغطى بكثة (انني الوحيد الذي يمتلك كلة). قام توميني بزيارة لأرغاناراز واشترى منه بعض الحاجيات: كالدجاج والديوك الرومية. يبدو إنه لا يشك بشيء.

١٢ تشرين الثاني

نهار آخر لا جديد فيه. قمنا بجولة استطلاعية قصيرة لإعداد الأرض الصالحة لإقامة مخيمنا عند وصول أفراد المجموعة الثانية الستة. تقع المنطقة المختارة على بعد مائة متر تقريباً من بداية المقبرة، وعلى هضبة صغيرة فيها عدد من الحفر يمكن تحويلها إلى كهوف لتخزين الطعام والأشياء الأخرى. كان على المجموعة الأولى من أصل المجموعات الثلاث التي تتألف كل منها من رجلين، أن تصل في القريب العاجل إلى المزرعة أي في نهاية الأسبوع الذي نحن فيه. إن شعري ينمو بالرغم من قلته، كما أن شعراتي البيضاء قد تحولت إلى شقراوات، وبدأت تسقط ولحياتي قد أخذت تنمو أيضاً. وخلال شهرين تقريباً، سأعود إلى وضعي الطبيعي.

١٣ تشرين الثاني

الأحد. مرّ بعض الصيادين بالقرب من مسكننا... إنهم من عمال أرغاناراز، وهم رجال جبليون وشبان عازبون يصلحون تماماً لتعبثتهم في صفوفنا، ثم إنهم يكرهون سيدهم كراهية شديدة. وقد أخبرونا بأن هناك بيوتاً على بعد ثمانية فراسخ من هنا، تقوم على طريق النهر، ومنحدرات مليئة بالماء. لا جديد سوى ذلك.

١٤ تشرين الثاني

أسبوع في المخيم. يبدو باشنغو حزيناً بعض الشيء وكأنه يشكو من الغربة. يجب أن يتماسك مجدداً. بدانا اليوم بحفر نفق نضع فيه كل

الاشياء التي تسترعي الانتباه وسوف نغطيه بجذوع الشجر ونعمل على حمايته من الرطوبة قدر الإمكان. لقد انتهينا الآن من إعداد حفرة يبلغ عمقها متراً ونصف المتر، وبها بدأ النفق.

١٥ تشرين الثاني

تابعنا العمل في النفق: في الصباح بومبو وباشنغو، وبعد الظهر أنا وتوميني. وعندما توقفنا عن الحفر في الساعة السادسة، كان النفق قد بلغ المترين من العمق. نأمل أن ننهيه غداً ونودع فيه كل الاشياء التي قد تثير الشكوك. اضطرني المطر اثناء الليل إلى مغادرة سريرى المعلق بعد أن ابتل لصغر غطاء البليستيك، وفيما عدا ذلك فليس هناك من جديد.

١٦ تشرين الثاني

انتهى حفر النفق وتم تمويهه، ولم يبق سوى إخفاء الطريق المؤدى إليه. سوف ننقل حوائجنا إليه غداً. ونسد مدخله بأغصان من الخشب وبالطين أيضاً. إن تصميم النفق الذي يحمل رقم ١ موجود في الوثيقة رقم ١. لا جديد سوى ذلك... وابتداء من مطلع الغد، نستطيع أن نتوقع وصول أنباء من لاباز.

١٧ تشرين الثاني

إمتلأ النفق بالاشياء التي قد تسيء إلى سكان المسكن، وكذلك تم تخزين قسم من الطعام المحفوظ فيه. وقد مؤّه بشكل لا بأس به. لم يصلنا أي جديد من لاباز. لقد تحدث شبان الدار مع ارغاناراز واشتركوا جميعاً بشراء بعض الحوائج، وأصر هذا الأخير، مرة ثانية، على مشاركتهم في صنع الكوكابين.

١٨ تشرين الثاني

لا خبر من لاباز. قام باشنغو وبومبو، مرة أخرى، بعملية استكشاف جديدة للنهر، ثم أبديا شكهما في أن يكون هذا المخيم هو المخيم المثالي. سنذهب يوم الإثنين مع تومييني لتقصي الأمر. قدم ارغاناراز لإخراج بعض الحجارة من النهر، وإصلاح الطريق. وبقي فترة طويلة حتى انتهى من عمله. لا يبدو أنه يشك بسبب وجودنا هنا. وكل شيء يجري بطريقة

رتيبة. قد بدأت آثار لذع البعوض والقراد تظهر على أجسادنا. البرد قارس عند الفجر.

١٩ تشرين الثاني

لا نبأ من لاباز. ولا جديد هنا. قضينا النهار متخفين داخل البيت لأن اليوم هو السبت، وفيه يتنقل الصيادون.

٢٠ تشرين الثاني

وصل ماركوس ورولانكو عند الظهر، فاصبحنا ستة. وقد قصصا على الفور تفاصيل الرحلة.. وعزّيا تأخيرهما عن الموعد إلى وصول أمر السفر إليهما منذ أسبوع فقط. ومع ذلك، فقد سافرا بأقصى سرعة ممكنة عن طريق ساو باولو. يجب ألا نتوقع وصول الأربعة الآخرين قبل الأسبوع المقبل. وقد جاء رودولفو معهم وقع في نفسي موقعاً حسناً جداً، ويبدو أنه مستعد أكثر من بيغوت لقطع ارتباطاته بكل شيء. أما بابي^(١) فقد خالف تعليماتي، وأنباه بوجودي. كما أعلم كوكو بذلك أيضاً، وهذا تنافس على السلطة كما يبدو. كتبت إلى مانيلا ببعض توصياتي (الوثيقتان: ١ و ٢) وإلى بابي، مجيباً على أسئلته. غادرنا رودولفو عند الفجر.

٢١ تشرين الثاني

إنه اليوم الأول من حياة المجموعة بعد ازدياد عددها.. السماء تمطر بغزارة وقد ابتلت ثيابنا ونحن ننتقل إلى مقرنا الجديد. ها قد استقر بنا المطاف، وقد تبين أن خيمتنا كانت في الأصل غطاء شاحنة شديد الامتصاص للماء، ومع ذلك، فقد وقتنا المطر إلى حد ما.

إن لدينا الآن فراشاً (أرجوحة) وغطاء من النايلون، وقد وصلت إلينا بعض الأسلحة الجديدة. لدى ماركوس «غاران»^(٢) وسوف نعطي لرولانكو م - ١ من المستودع. بقي جورج معنا ولكنه أقام في الدار ليتولى الإشراف على تحسين المزرعة. طلبت من رودولفو أن يجد لي خبيراً زراعياً يمكن الوثوق به. سنعمل على إطالة هذا الوضع إلى أقصى مدة ممكنة.

(١) سيظهر أيضاً تحت اسمي: ريكاردو وشنشو.

(٢) نوع من السلاح. (المعرب).

٢٢ تشرين الثاني

قمنا أنا وتوما وجورج باستطلاع الأرض على طريق نهر: (ناكاوارو) لتفحص ونسبر فرع النهر الجديد الذي اكتشفناه، لكننا، لغزارة الأمطار التي هطلت ليلة أمس، لم نستطع تمييز النهر، ولم نصل إلى المكان المنشود إلا بصعوبة ومشقة بالغتين. إن الفرع الجديد هو جدول صغير ضيق المصب، ويصلح إذا ما أحسنت تهيئته لإقامة مخيم دائم بجانبه. عدنا بعد الساعة التاسعة بقليل، ولم نجد شيئاً جديداً يذكر.

٢٣ تشرين الثاني

اقمنا مرصداً يشرف على المزرعة ويتيح لنا مراقبة أي زائر أو مفتش غير مرغوب فيه. ولما كان اثنان منا سيقومان بجولة استطلاعية، فسيتولى الباقون أعمال الحراسة في نوبات تستمر الواحدة منها ثلاث ساعات. قام بومبو ومارتوس باستطلاع المنطقة المحيطة بمخيمنا حتى امتداد النهر الذي ما يزال يفيض بمياه الأمطار.

٢٤ تشرين الثاني

خرج باشو ورولان دو لدراسة منطقة النهر ولن يعودا قبل الغد. حضر في نهاية السهرة اثنان من رجال ارغاراناز في زيارة مفاجئة وقد قادتهما إلينا خطاهما «بينما كانا يتنزهان». لم يكن هناك من شيء غريب؛ فانطونيو وتوما كانا غائبين: كان الأول في عملية استطلاع والثاني في الدار. كانت الحجة التي قدمناها لتفسير غيابهما، هي قيامهما برحلة صيد - عيد ميلاد اليوشا.

٢٥ تشرين الثاني

اعلمنا مرصد المراقبة أن سيارة جيب قد وصلت وهي تقل اثنين أو ثلاثة أشخاص. وتبين أن السيارة كانت تابعة لمصلحة مكافحة الملايا ثم ما لبثت أن انصرفت مع ركابها بعد أن أخذوا عينات من دمنا. عاد باشو ورولان دو في ساعة متأخرة من الليل، وقد وجدوا فرع النهر المشار إليه على الخارطة وتفحصاه ثم صعدا بمحاذاة المجرى الرئيسي للنهر حتى وجدا حقولاً مهجورة.

٢٦ تشرين الثاني

لم نبارح المخيم لاننا في يوم السبت. طلبت من جورج أن يستطلع مجرى النهر والمدى الذي يصل إليه وهو يمتطي الحصان. ولم يكن الحصان هناك فاجتاز على قدميه مسافة ٢٠ إلى ٢٥ كيلو متراً ليطلب حصاناً من دون رمبرتو. جاء المساء ولم يكن قد عاد بعد. لا نبأ من لاباز.

٢٧ تشرين الثاني

حتى الآن لم يظهر جورج. وأصدرت أمراً بالحراسة طيلة الليل، ولكن سيارة الجيب الأولى وصلت من لاباز في الساعة التاسعة. جاء جواكين وأوربانو مع كوكو للإنضمام إلينا ومعهم شاب من بوليفيا اسمه إيرنستو وهو طالب طب. قام كوكو برحلة أخرى، وأحضر معه ريكاردو، وبروليو، وميغيل، وبوليفياً آخر اسمه إنتي، قال إنه جاء ليبقى معنا. أصبح عددنا الآن ١٢ ثائراً، عدا جورج الذي يمثل دور مالك المزرعة. كلف كوكو ورودلفو بإجراء الاتصالات. حمل ريكاردو إلينا خبراً سيئاً هو أن «الشيون» في بوليفيا، ويريد مقابلتني، وإرسال عشرين رجلاً ليقاتلوا معنا. إن في هذا بعض المحاذير لأنه سيضع المعركة على صعيد دولي قبل استشارة إستانيسلاو^(١).

اتفقنا أخيراً على ضرب موعد له في سانتا كروز حيث سيقوم كوكو بمرافقته إلى المخيم. ذهب كوكو عند الفجر مع ريكاردو الذي سيستقل سيارة الجيب الأخرى حتى لاباز. وكلف كوكو بزيارة رمبرتو ليعرف ما حدث لجورج. ذكر إنتي في سياق حديث سابق أنه يعتقد أن إستانيسلاو لن يلتحق بالثورة... وأنه مصمم، على ما يبدو، على قطع صلته بها.

٢٨ تشرين الثاني

لم يظهر جورج حتى هذا الصباح، كما لم يرجع كوكو أيضاً. وقد وصلا فيما بعد، وكل ما حدث أنهما مكثا لدى رمبرتو. وهذا ما ينم عن

(١) المسمى أيضاً النيفرو، ماريو أو فقط مونجي. يجب تمييزه عن محارب من جماعة جواكين يسمى أيضاً النيفرو.

شيء من ضعف شعورهما بالمسؤولية. دعوت بعد الظهر مجموعة البوليفيين وأطلعتهن على العرض الذي تلقينه بانضمام ٢٠ رجلاً من البيرو إلينا، فوافقوا جميعاً على العرض، إنما شريطة أن ينفذ بعد بدء العمليات.

٢٩ تشرين الثاني

خرجنا للقيام بمسح طوبوغرافي للنهر، واستطلاع فرعه الذي سنقيم بجانبه مخيمنا المقبل. وكانت المجموعة مؤلفة من توميني وأوربانو وإنتي وأنا. إن النهر آمن جداً ورهيب وغامض في آن واحد. سنحاول أن نجد نهراً آخر على مسيرة ساعة من هنا. سقط توميني على الأرض وأصيب مفصل قدمه بشرخ. وصلنا إلى المخيم مساء بعد أن أنجزنا عملية قياس النهر. لا شيء جديد هنا. ذهب كوكو إلى سانتا كروز لينتظر الشينو.

٣٠ تشرين الثاني

خرج ماركوس وباشو وميغيل وبومبو مزودين بمهمة استكشاف نهر أبعد. على أن يعودوا بعد يومين. لقد أمطرت السماء بغزارة، ولا جديد في البيت.

التحليل الشهري

كل شيء يسير على ما يرام: وصلت بدون حادث كما وصل نصف الرجال الموجودين معي، على الرغم من تأخرهم قليلاً. إن أعوان ريكاردو الرئيسيين سيشترون في حرب العصابات مهما كانت الظروف والأحوال. وتبدو الأشياء على أفضل وجه في هذه المنطقة المعزولة حيث تشير الدلائل إلى أننا نستطيع البقاء هنا كل المدة التي نراها ضرورية مهما طالت. أما خططنا فهي: انتظار بقية الرجال، ورفع عدد البوليفيين إلى عشرين رجلاً على الأقل، وبدء العمليات.

سنرى ما هو رد فعل مونجي، وكيف سيتصرف رجال غيفارا.

كانون الأول ١٩٦٦

١ كانون الأول

انقضى النهار بدون اي جديد. وفي المساء، وصل ماركوس ورفاقه، بعد أن قطعوا مسافة أطول مما حدد لهم وهم يجوبون تلال المنطقة. وفي الساعة الثانية صباحاً أثبتت بوصول كوكو مع احد الرفاق ولكنني طلبت تأجيل مقابلتهما لي حتى صباح الغد.

٢ كانون الأول

وصل الشينو باكراً... إنه يبدي عواطف جياشة. قضينا النهار في تبادل الأحاديث. الشيء الأساسي هو أنه سيذهب إلى كوبا ليقدم شخصياً تقريره عن الوضع. بوسعنا أن نضم خمسة بيروفيين إلى مجموعتنا في الشهرين المقبلين أي بمجرد بدء العمليات. أما في الوقت الحاضر، فسيلتحق اثنان منهما: أحدهما خبير في الراديو، والثاني طبيب، وسيمكثان بعض الوقت معنا. طلب الشينو أسلحة فوافقت على إعطائه BZ واحدة وبعض بنادق الموزر والقنابل وكذلك شراء بعض M - 1 لهم. وقررت أيضاً مساندته

بارسال خمسة بيروفيين ليقوموا بالاتصالات اللازمة لتسهيل مرور الاسلحة من تيتيكاكا إلى منطقة مجاورة لبيونو. حدثني أيضاً عن متاعبه في البيرو وعن خطة جريئة لتحرير كاليكستو بدت لي ضرباً من الخيال. يعتقد ان بعضاً ممن نجوا في حرب العصابات يعملون في تلك المنطقة، وإن كان غير واثق كل الثقة من وجودهم، فهم لم يستطيعوا الوصول إلى هذا المكان.

قضينا بقية الوقت في تبادل النكات الطريفة... ثم ودعني بنفس الحماسة ليذهب إلى لاباز، وحمل معه صبوراً لنا. تلقى كوكو أمراً بترتيب الاتصالات مع سانشيه (الذي سأراه فيما بعد) والاتصال أيضاً برئيس الاستعلامات في الرئاسة الذي عرض تزويدنا بالمعلومات لكونه نسيباً لإنتي. إن شبكة الاتصال لا تزال في خطواتها الأولى.

٣ كانون الأول

لا جديد. لا جولة استطلاعية اليوم لأنه السبت. ذهب عمال المزرعة الثلاثة لقضاء بعض المهام في لاغونيلاس.

٤ كانون الأول

لا جديد. إلترم الجميع جانب الهدوء لأننا في يوم الأحد. أدليت بحديث حول موقفنا من البوليفيين الذين سينضمون إلينا وعن موقفنا من الحرب.

٥ كانون الأول

لا جديد. كنا نعتزم التجول ولكن المطر لم ينقطع طوال النهار. ساد بعض الذعر بسبب عدة عيارات نارية أطلقها لورو دون سابق إنذار.

٦ كانون الأول

خرجنا للعمل في الكهف الثاني، بالقرب من الجدول الأول، واشتركنا في الحفر أنا وأبولينار^(١) وإنتي وأوربانو وميغيل. جاء ميغيل ليحل مكان توما الذي يتماثل للشفاء من سقطته. أعلن أبولينار عن عزمه على الإلتحاق بالشوار ولكنه يريد أولاً أن يصفّي أعماله الشخصية في لاباز. سُمح له

(١) سيظهر أيضاً تحت اسم بولو.

بالسفر شرط أن ينتظر بعض الوقت. بلغنا الجدول حوالي الساعة الحادية عشرة، وقمنا بشق درب معوه، واستطلعنا الامكنة المحيطة بغية إيجاد مكان مناسب للكهف، ولكننا لم ننجح لكون المنطقة صخرية بينما يتابع الجدول، الذي جف في بعض الأماكن، مجراه البعيد بين صفيين من الصخور. أجّلنا عملية الاستطلاع إلى الغد، وخرج إنتي وأوربانو إلى الصيد بعد أن خفّت كمية الطعام.. ولا بد من أن يكفينا حتى نهار الجمعة.

٧ كانون الأول

عثر ميغيل وأبولينار على مكان مناسب وشرعا في شق النفق، الأدوات غير صالحة على الإطلاق. عاد إنتي وأوربانو خاليي الوفاض ولكن أوربانو اصطاد في المساء طاووسة برية. ولما كان العشاء متوفراً فقد احتفظنا بها للغداء في اليوم التالي.

مر شهر على وجودنا هنا، ولكنني ساؤجل كتابة التحليل إلى نهاية الشهر، فهذا أبسط وأسهل.

٨ كانون الأول

خرجنا مع إنتي إلى التل الذي يشرف على الجدول واستمر ميغيل وأوربانو في إعداد الحفرة. وبعد الظهر حل أبولينار مكان ميغيل... وعند هبوط الليل، عاد مارتوس وبومبو وباشو. وكان هذا الأخير يجر قدميه جراً ويبدو تعباً للغاية. طلب مني ماركوس أن أنقله من مجموعة الطليعة إن لم تتحسن صحته. وقد رسمت لهم الطريق إلى الكهف الموجود في التصميم رقم ٢، وحددت لهم الأعمال الهامة التي يجب إنجازها أثناء وجودهم هنا. سيبقى ميغيل معهم وسوف نعود غداً.

٩ كانون الأول

عدنا ببطاء، في الصباح، ووصلنا حوالي الظهر. تلقى باشو أمراً بالبقاء لانتظار عودة المجموعة. حاولنا أن نلحق بالمخيم ٢ ولكننا أخفقنا. لم يحدث شيء جديد.

١٠ كانون الأول

إنقضى النهار بدون أي جديد ما عدا تحضير الخبز لأول مرة في البيت.

تحدثت مع جورج وإنتي عن بعض المهام العاجلة. لا نبأ من لاباز.

١١ كانون الأول

مضى النهار بدون جديد، ولكن حين حلَّ المساء ظهر كوكو مع بابي، واحضرا معهما الليجنדרو وأرتورو وكذلك بوليفياً يدعى كارلوس. بقيت سيارة الجيب الأخرى كالعادة على الطريق. ثم احضرا بعد ذلك الطبيب مورو^(١) وبنيديو وبوليفيين اثنين من منطقة بوليفيا الشرقية (كامباس) ويعملان في مزرعة كارانافي. مضت الأمسية كالعادة ونحن نتحدث عن الرحلة ونعلق على غياب أنطونيو^(٢) وفيلكس^(٣) وكان ينبغي أن يصلا. جرى نقاش مع بابي وتقرر أن يقوم أيضاً برحلتين لإحضار رينان^(٤) وتانيا. اتفقنا على تصفية الدور والمستودعات، وتقديم مساعدة مالية قدرها ١٠٠٠ دولار إلى سانشيه، وسوف يحتفظ بالشاحنة الصغيرة، ونبيع نحن سيارة جيب واحدة لتانيا ونحتفظ بالأخرى. بقي علينا أن نقوم برحلة لجلب الأسلحة وقد أصدرت أمراً بنقل كل شيء في سيارة «جيب» حتى لا يطول نقل الأسلحة ويؤدي ذلك إلى اكتشافها. ذهب الشينو إلى كوبا يحده حماس بالغ في الظاهر وهو ينوي أن يقوم بزيارتنا مرة أخرى حالما يعود. بقي كوكو هنا لبحث عن الأغذية في كاميري. وذهب بابي إلى لاباز.

حدث أمر خطير: اكتشف صياد فاليه غراندي آثار أقدام كما وجد قفازاً كان بومبو قد فقده، ويبدو أنه لمح واحداً من مجموعتنا. تدعونا هذه الحادثة لتغيير خططنا، ومراعاة أقصى العناية والانتباه. سيذهب الصياد غداً مع أنطونيو ليريه الأمكنة التي نصب فيها أفخاخه لصيد التابير. حدثني إنتي عن تحفظاته إزاء الطالب كارلوس الذي بدأ يتحدث، منذ وصوله، عن المشاركة الكوبية... وكان قد أعلن من قبل أنه لن يلتحق بالثورة ما لم يشترك الحزب في تفجيرها. ويبدو أن رودولفو قد عثفه وأن مجيئه كان نتيجة سوء فهم.

(١) سيظهر أيضاً تحت اسمي مورو غورو وموغانغا أو الطبيب.

(٢) أو أولو.

(٣) في مكان آخر الروبيو.

(٤) أيفان.

١٢ كانون الأول

تحدثت مع أفراد المجموعة كلها ملقياً درساً حول حقائق الحرب وواقعها... وأكدت لهم ضرورة وحدة القيادة، والتمسك بالانضباط، وحذرت البوليفيين من المسؤولية التي تقع على عاتقهم لخرقهم تعليمات حزبهم وانتهاج خط آخر. قمت ببعض التعيينات: جواكين^(١)، القائد العسكري الثاني، رولاندو وإنتي: مفوضان، اليجنדרو رئيساً للعمليات، بومبو للجباية، إنتي للمالية، ناتو للتموين والتسليح، مورو للخدمات الطبية بصفة مؤقتة. خرج رولاندو وبروليو لتحذير المجموعة التزام الهدوء والسكنية حتى يقوم صياد فاليه غراندي بنصب افخاخه ويعود من جولته الاستطلاعية مع أنطونيو. وقد عادا، في المساء، بعد أن وضعا المصايد في مكان غير بعيد. سكر الصياد وغادرنا في المساء نفسه وهو في غاية السرور بعد أن امتلات معدته بزجاجة من السنغاني. رجع كوكو وكارانافي حيث قام بشراء المؤونة الضرورية، وقد رآه بعض من سكان (لاغونيلاس) الذين فوجئوا ودهشوا لوفرة الكميات المشتراة.

وصل ماركوس فيما بعد مع بومبو. إنه يتألم من جرح في حاجبه أصيب به وهو يقطع الخشب... وقد أجريت له عملية تقطيب.

١٣ كانون الأول

خرج جواكين وكارلوس والطبيب للإلتحاق برولاندو وبروليو. رافقهم بومبو ومعه أمر بالعودة في اليوم نفسه. عملت على تغطية الممر، وقمت بشق ممر آخر يبتدىء من نفس المكان وينتهي عند حافة الممر. وقد بلغ النجاح حداً جعل بومبو وميغيل وباشو يضلون طريقهم في أثناء عودتهم إلى المخيم.

جرى حديث مع أبولينار الذي سيتوجه إلى بيته في فياشا لقضاء بضعة أيام وقد رُود ببعض المال لتقديمه إلى أسرته وأوصي بالتزام الصمت المطبق. ودعنا كوكو هذا المساء ولكن في الساعة الثالثة أعطيت إشارة الخطر بعد أن سمع بعض الصغير والضجيج، وشرعت الكلبة بالعواء. تبين أن كوكو كان مصدر هذه الأصوات بعد أن ضل طريقه في الغابات.

(١) سيظهر أيضاً تحت اسم فيلو.

١٤ كانون الأول

يوم لا جديد فيه. زارنا صياد فاليه غراندي في البيت وهو في طريقه لتفقد فحه الذي نصبه البارحة، عكس ما قاله أولاً. استدل انطونيو على الممر الذي شق في الغابات ليصحب معه الصياد دون أن يثير الشكوك.

١٥ كانون الأول

لا جديد. تأهبنا لانتقال (ثمانية رجال) منا ليقوموا بصورة دائمة في المخيم رقم (٢).

١٦ كانون الأول

انطلقنا هذا الصباح نهائياً: أنا وبومبو وأوربانو وتوما واليجندرو ومورو وارتورو وإنتي... مثقلين بالأحمال. قطعنا المسافة في مدة ثلاث ساعات. بقي رولاندو معنا، وانصرف جواكين وبروليو كارلوس والطبيب. تبين أن كارلوس يجيد المشي لمسافات طويلة عدا عن تحمله مشاق العمل. اكتشف مورو وتوما ثغرة في النهر مليئة بالأسماك الكبيرة واصطادا منها ١٧ سمكة. فذقنا بذلك طعاماً شهيماً. جرحت إحدى الأسماك مورو في يده. جرى البحث عن مكان يصلح لإقامة كهف إضافي بعد الانتهاء من الكهف الأول وقد أرجئت الأعمال إلى الغد التالي. حاول مورو بالذات، وكذلك إنتي، أن يصطادا غزلان التابير Tapir وأمضيا الليل وهما يترصدان الطرائد.

١٧ كانون الأول

لم ينجح مورو وإنتي إلا في اصطياد طاووسة متوحشة. عكفت مع توما ورولاندو على حفر الكهف الإضافي وإعداده لليوم التالي، وبحث ارتورو وبومبو عن مكان يصلح للراديو ثم انصرفا بعد ذلك إلى تهيئة الطريق المؤدي إلى المدخل، وكان في حالة سيئة بالفعل. وفي المساء، بدأت السماء تمطر، ولم ينقطع المطر حتى طلوع الصباح.

١٨ كانون الأول

انهمر المطر طيلة النهار، ولكن العمل استمر في إعداد الكهف. لم يبق سوى القليل حتى يبلغ مترين ونصف المتر أي العمق المطلوب. قمنا

بتفتيش تل بدا صالحاً لوضع جهاز الراديو فيه. ولكن يجب التأكد من ذلك عملياً.

١٩ كانون الأول

يوم ممطر آخر لا يشجع على النزهة... ولكن في نحو الساعة الحادية عشرة وصل بروليو وناتو يحملان أنباء إمكان اجتياز النهر على الرغم من عمق مياهه. وفي لحظة خروجنا، التقينا بماركوس وطليعته الذين جاءوا للإقامة معنا. سيحتفظ ماركوس بالقيادة. وقد أصدرت إليه الأوامر بإرسال ثلاثة إلى خمسة رجال، حسب الإمكان. قطعنا المسافة في مدة ثلاث ساعات.

وحوالي منتصف الليل، وصل ريكاردو وكوكو ومعهما أنطونيو والروبيو (لم يستطيعوا الحصول على بطاقاتهم في يوم الخميس المنصرم) وأبولينار الذي التزم نهائياً. وبالإضافة إلى ذلك، فقد وصل إيفان لتصفية كومة من الأعمال.

قضينا ليلة بيضاء في الحقيقة.

٢٠ كانون الأول

جرى نقاش حول بعض النقاط وكنت قد أصدرت جميع الأوامر حينما ظهرت مجموعة المخيم رقم (٢) يقودها اليجندرو ليعلن أنهم عثروا في الممر بقرب المخيم على طريدة مصابة بغيار ناري تحمل شريطاً في قدمها. وكان جواكين قد مرّ في الطريق نفسه منذ ساعة تقريباً ولكنه لم يذكر شيئاً عن هذا الحادث. واتفقنا في الرأي على أن صياد فاليه غراندي هو الذي جرّ الطريدة إلى هناك ثم تخلّى عنها هارباً لسبب مجهول. وضعنا حراسة في المؤخرة وأرسلنا رجلين للبحث عن الصياد وإحضاره إذا ما عثرا عليه. وبعد مرور لحظة علم أن الطريدة قد ماتت منذ قليل وأنها كانت مليئة بالدود ثم عاد جواكين وأكد أنه قد رآها من قبل. أحضر كوكو ولورو الصياد ليرى الطريدة فأعلن أنه قد جرحها منذ عدة أيام بطلقة نارية وهكذا انتهى الحادث عند هذا الحد.

تقرر الإسراع في الإتصال برجل الاستعلامات الذي أمهله كوكو والتحدث مع ميجيا على أن يكون أداة الارتباط بينه وبين إيفان. ستم

اتصالات هذا الأخير بميجيا وسانشيه وتانيا وبالشخص الذي سيختاره الحزب. لربما كان من فيلامونت ولكن يجب التأكد من ذلك. وصلت برقية من مانىلا تشير إلى أن مونجي في طريقه إلينا من الجنوب.

انشئت شبكة للإتصال - ولكنها لم تعجبني لأنها تدل بوضوح على توجس رفاق مونجي بالذات من رئيسهم.

في الساعة الواحدة صباحاً سيقولون لنا من لابات إذا كان مونجي قد باشر رحلته. إن لإيفان قدرة على إنجاز الأعمال، ولكن جواز سفره غير المعتقد لا يتيح له ذلك. يجب وينبغي تحسين هذه الوثيقة في مرة مقبلة، ويجب أن يكتب إلى مانىلا ليقوم الأصدقاء بتأمين جواز سفر جديد.

ستاتي تانيا في المرة المقبلة لتأخذ بعض التعليمات... سوف أرسلها إلى بونس ايريس.

تقرر في النهاية أن يستقل ريكاردو وإيفان وكوكو الطائرة من كاميري وأن يتركوا سيارة الجيب هناك. وعندما يعودون من سفرهم يتصلون هاتفياً بلاغونيلاس للإعلام عن وصولهم. فيذهب جورج في المساء ليسأل عن الأخبار ويحضرهم إن كان ثمة ما يستدعي ذلك. لم نتلق شيئاً من لابات في الساعة الواحدة. وقد سافر الثلاثة إلى كاميري مع بزوغ الفجر.

٢١ كانون الأول

لم يترك لي اللورو الخرائط التي وضعها الذي قام بالاستطلاع، وما زلت أجهل طبيعة الطريق المؤدي إلى ياكى. إنطلقنا في الصباح، وقطعنا الطريق دون حدوث ما يعكر الصفو. يجب أن يهيا كل شيء للرابع والعشرين... أي ليوم احتفالنا. قابلنا في الطريق باشو وميغيل وبينينيوكومبا الذين يتولون نقل جهاز الراديو. وفي الساعة الخامسة بعد الظهر، عاد باشو وكامبو بدون الجهاز الذي أخفياه في الغابات لأنه كان ثقيلاً فلم يستطيعا حمله. غداً سيتوجه خمسة من الرجال للقيام بهذه المهمة. إنتهى العمل في الكهف المعد للمؤن وغداً سنبدأ في تهية كهف للراديو.

٢٢ كانون الأول

بدأنا العمل في الكهف المخصص للراديو... كان العمل ناجحاً في البداية لكون الأرض طرية ولكن سرعان ما اصطدمنا بطبقة حجرية قاسية جداً

حالت بيننا وبين التقدم في الحفر. قام الرجال بإحضار جهاز الراديو الذي يبدو ثقيلاً ولكنهم لم يجربوه لعدم توفر المحروقات. أعلن لورو أنه لن يرسل الخارطة لأن التقرير شفهي وسوف يحمله غداً بنفسه.

٢٣ كانون الأول

خرجنا أنا وبومبو واليجندرو لاستكشاف المنطقة الشمالية، وكان علينا أن نشق فيها طريقاً ولكن خيّل لنا أننا نستطيع أن نتقدم فيها بكل سهولة. قدم جواكين مع رفيقين ليعلن أن اللورو لن يستطيع المجيء بسبب فرار أحد الخنازير واضطراره للبحث عنه. لا نبأ عن الطريق الذي سلكه رجل لاغونيلاس.

حضر الخنزير بعد الظهر، وكان سميناً، ولكننا كنا نفتقر للمشروبات. إن لورو عاجز عن ابتلاع مثل هذه الأشياء ويبدو عمله في غاية الفوضى.

٢٤ كانون الأول

يوم مكرّس لسهرة عيد الميلاد. قام عدد من رفاقنا برحلتين، ووصلوا بذلك متأخرين، ولكننا اجتمعنا في النهاية وقضينا وقتاً ممتعاً حتى طفح الإناء لدى بعضهم، قال لورو إن رحلة رجل (لاغونيلاس) لم تثمر وإنه قد حصل على مجرد تصميم (كروكي) ليس دقيقاً في أية حال من الأحوال.

٢٥ كانون الأول

عدنا إلى العمل ولم نقم بأية رحلة إلى المخيم الأول الذي سمي ث ٢٦، كما اقترح الطبيب البوليفي. خرج ماركوس وبينينيو وكامبا لشق طريق إلى سفح التل من ناحية اليمين، وعادوا متأخرين في المساء يقولون: إنهم شاهدوا ما يشبه مرجاً قاحلاً على مسيرة ساعتين من الطريق وسوف يتوجهون إليه في الغد. عاد كامبا محموراً. شق ميغيل وباشو بعض الدروب للتضليل والتمويه في الجزء الأيسر كما شقوا منفذاً إلى كهف الراديو. تابعت مع إنتي وأنطونيو وتوما العمل في كهف الراديو وقد لاقينا مشقة كبرى بسبب طبقة الأرض الصخرية. إنهمك الحرس في المؤخرة بإقامة مخيمهم، وفي البحث عن مكان للرصد يشرف على طرفي منفذ النهر.

٢٦ كانون الأول

توجه إنتي وكارلوس لاستكشاف المكان المسمى ياكى على الخارطة... إنها رحلة تتطلب يومين. تابع رولاندو واليجندرو وبومبو عملهم المتعب في الكهف القاسي التربة. خرجت مع باشو لاستطلاع الدروب التي فتحها ميغيل، ولم أرَ جدوى من إتمام الممر الذي يقود إلى منطقة التل. إن الممر المؤدي إلى الكهف ليس شيئاً ومن الصعب اكتشافه. قتلنا شعبانين بالإضافة إلى شعبان قتلناه البارحة. يبدو أن الثعابين منتشرة في المنطقة. ذهب توما وارتورو والرومبيو وأنطونيو إلى الصيد وبقي دروليو وناتو في حراسة المخيم الآخر. ذكرنا أن سيارة لورو قد انقلبت، وحملنا إلى المذكرة التفسيرية التي تعلن عن وصول مونجي. خرج ماركوس وميغيل وبينينييو لتوسيع الطريق المؤدي إلى التل، ولكنهم لم يعودوا في المساء.

٢٧ كانون الأول

خرجنا مع توما نبحث عن ماركوس. سرنا ساعتين ونصف الساعة حتى وصلنا إلى جدول صغير ينحدر من الناحية اليسرى باتجاه الشرق وتتبعنا الآثار في هضاب وعرة. وتوقعت أن أصل إلى المخيم من هذا الطريق ولكننا وصلنا إلى ناكاهوازو على بعد خمسة كيلومترات من أسفل المخيم رقم (١) وانتهى بنا المطاف إلى المخيم في الساعة السابعة. وهناك علمنا بأن ماركوس قد قضى فيه الليلة المنصرمة. لم أنبئ أحداً بوصولي ظناً مني أن ماركوس قد أخبرهم عن الطريق الذي سوف أسلكه. رأينا سيارة الجيب المقلوبة وكانت شبه مخربة. ذهب لورو إلى (كاميري) سعياً وراء قطع الغيار. ويبدو أن النعاس داهمه أثناء قيادة السيارة كما روى ناتو.

٢٨ كانون الأول

بينما كنا نهم بالخروج للتوجه إلى المخيم، وصل أوريانو وأنطونيو اللذان كانا يجذآن في البحث عني. إستمر ماركوس مع ميغيل في شق طريق إلى المخيم عبر سفح الهضبة ولم يعودا. وقد توجه بينينيو وبومبو للبحث عني، وسلكا نفس الطريق الذي سرنا فيه، وحين وصولي إلى المخيم التقيت بماركوس وميغيل اللذين أمضيا ليلتهما في السفح دون أن يتمكنوا من العودة إلى المخيم، وشكا هذا الأخير إلي من الطريقة التي عومل بها. ويبدو أن شكواه موجهة ضد جواكين واليجندرو والطبيب. عاد إنتي

وكارلوس بدون أن يجد أي أثر لبית مأهول... باستثناء دار مهجورة لا تتفق على الأرجح مع النقطة المسماة ياكبي على الخارطة.

٢٩ كانون الأول

توجّهت مع ماركوس وميغيل واليجندرو إلى المرج القاحل لكي نتفقد المكان. يبدو أن هذا هو بداية (البامبا ديل تيغر)، وهي سلسلة من الجبال العارية ذات ارتفاع متقارب بحدود ١٥٠٠ متر. يجب عدم سلوك السفح اليساري لأنه ينحدر نحو ناكاهوازو. باشرنا الهبوط ووصلنا إلى المخيم في غضون ساعة وعشرين دقيقة. أرسلنا ثمانية رجال لجلب الحوائج ولم ينجحوا في نقلها كلها. حل الرومبيو والطبيب مكان بروليو وناتو. قام هذا الأخير بشق ممر جديد قبل عودته... يبدأ من حجارة قاع النهر ثم يغوص في الغابات من الجانب الآخر.. إنه ممر تغطيه الحصى بكامله فلا يترك أثراً للأقدام. لم نعمل في الكهف. وقد سافر لورو إلى كاميري.

٣٠ كانون الأول

على الرغم من الأمطار التي رفعت منسوب النهر، توجه أربعة رجال للتخلص من بقايا المخيم رقم ١ / ٨.. الآن، يبدو كل شيء واضحاً. لم تصلنا أنباء من الخارج. خرج ستة رجال إلى الكهف، في رحلتين، وأخفوا كل ما يجب إخفاؤه. لم ينته العمل في الفرن لأن الطين كان طرياً.

٣١ كانون الأول

قدّم الطبيب في الساعة السابعة والنصف ليعلن وصول مونجي... ذهبت لمقابلته مع أنتي وتوما وأوريانو وأرتورو. كان اللقاء ودياً ولكنه مشوب بالتوتر... وكان هناك سؤال يحوم في الجو: «ما الذي تريده؟» كان يصحبه «بان ديفينو»^(١) العضو الجديد وتانيا التي جاءت لتتلقى التعليمات، وريكاردو للبقاء معنا.

بدأ الحديث مع مونجي حول أشياء عامة ثم انتقل بسرعة إلى المشاكل الأساسية التي يمكن تلخيصها بثلاثة شروط أساسية:

(١) جرى ذكره في مكان آخر تحت اسم بيدرو.

١ - سيتخلى عن قيادة الحزب وسينجح في إقناعه بالتزام الحياد على الأقل، وستتضمن بعض عناصره إلى المعركة.

٢ - تكون القيادة السياسية والعسكرية معقودة له طالما الثورة قائمة على الأرض البولييفية.

٣ - سيقم علاقات مع أحزاب أخرى في أميركا الجنوبية في محاولة ببذلها لإقناعها بتأييد حركات التحرر (وقدم مثلاً على ذلك: دوغلاس برافو).

أجبت بان النقطة الأولى تخصه بالذات بوصفه سكرتيراً للحزب مع أنني اعتبر موقفه هذا خطيئة كبرى. إنه موقف متردد، ينبع من أنصاف الحلول ويطمع لتخليد دور أولئك الذين يجب إدانتهم لموقفهم المتأرجح. ستثبت الأيام صحة ما أقول. لم أعترض بخصوص النقطة الثالثة على محاولة إنشاء هذه الاتصالات على الرغم من اعتقادي بأنها ستخفق. فمطالبة كودوفيلاً بمساعدة دوغلاس برافو هي كمطالبة بتأييد تمرد يقوم في داخل حزبه بالذات. وهنا أيضاً سيحكم الزمن على صحة ذلك.

أما النقطة الثانية فلم أكن أستطيع قبولها بأي حال من الأحوال. لن يكون القائد العسكري سوى أنا ولا مجال للإلتباس حول هذه النقطة. توقّف النقاش هنا وأصبح حلقة مفرغة.

اتفقنا على أن يعيد مونجي النظر في موقفه ويعود إلى التشاور مع الرفاق البوليفيين. وانتقلنا إلى المخيم الجديد. وهناك تحدث مع جميع الرفاق طارحاً عليهم هذا الاختيار الصعب: البقاء أو مساندة الحزب. إختار الجميع البقاء.. وقد أحزنه ذلك كما يبدو. وعند حلول الظهر جرى تبادل الأنخاب وأشار حينذاك إلى أهمية هذا اللقاء التاريخي، وانتهزت كلماته هذه لاشير إلى هذه اللحظة وكأنها بداية الثورة في القارة... وإلى أن أرواحنا لا تعد شيئاً مقابل نجاح الثورة.

أرسل إليّ فيدل الرسائل المرفقة هنا.

التحليل الشهري

إكتمل الفريق الكوبي بنجاح: معنويات الرجال جيدة والمشاكل المطروحة صغيرة وقليلة، والبوليفيون على الرغم من قلة عددهم، جيدون.

إن موقف مونجي قد يعرقل نمو حرب العصابات من ناحية ولكنه يساهم فيها من ناحية أخرى بعد تحرره من انصاف الحلول السياسية. إن الإجراءات المقبلة، إلى جانب انتظار بعض البوليفيين الآخرين، تتضمن التحدث مع غيفارا والأرجنتينيين موريسيو^(١) وجوزامي (ماسيتي والحزب المنشق).

(١) سيظهر أيضاً تحت إسمي البيلاو وكارلوس.

كانون الثاني ١٩٦٧

١ كانون الثاني

أخبرني مونجي، هذا الصباح، دون سابق نقاش، بعزمه على الرحيل والاستقالة من قيادة الحزب بتاريخ ١/٨ فهو يرى أن مهمته انتهت. وقد غادرنا مقطب الجبين وكأنه يساق إلى المشنقة. يلوح لي أنه علم من كوكو بأنني مصمم كل التصميم على عدم التفريط بالمسائل الاستراتيجية، وأنه قد انتهز هذه الفرصة لقطع العلاقات معنا بعد أن أدرك أن حججه واهية.

عقدت اجتماعاً بعد الظهر لكافة المحاربين، وشرحت لهم موقف مونجي وأخبرتهم بأننا سوف نعمل على وحدة جميع أولئك المؤمنين بالثورة المسلحة، كما توقعت للبوليفيين لحظات صعبة وأياماً كاملة من العذاب النفسي... سوف نحاول إيجاد حل للمشاكل المطروحة عن طريق المناقشات الجماعية وبالاشتراك مع جميع المفوضين السياسيين.

عرضت بعض المعلومات عن رحلة تانيا إلى الأرجنتين للإلتقاء بمورييسيو وجوزامي ودعوتهما للحضور إلى مخيمنا. وقد حددنا بالتفصيل المهام الملقاة على عاتق سانشيه واستقر رأينا على أن يبقى الرفاق: رودولفو ولويولا وهمبرتو في لاباز في الوقت الحاضر. أما في كاميزي فقد

ابقينا شقيقة لويولا وفي سانتا كروز، كالفيمنت. سيقوم ميتمو برحلة إلى منطقة «سوكر» بحثاً عن مكان يقيم فيه وسيعهد إلى لويولا بالإشراف على الشؤون المالية... وسيصله قريباً مبلغ ٨٠,٠٠٠ بيزوس منها ٢٠,٠٠٠ بيزوس مخصصة لكالفيمنت لشراء شاحنة. سيتصل سانشيه بغيغارا لتحديد موعد لمقابلته، أما كوكو فسيذهب إلى سانتا كروز لإجراء محادثات مع شقيق لكارلوس، لتكليفه بمهمة استقبال الرجال الثلاثة الذين سيصلون من هافانا. كتبت إلى فيدل الرسالة المرقمة في الوثائق (١٠٢) س زو.

٢ كانون الثاني

امضينا الصباح كله في كتابة الرسالة بالشفيرة. سافر سانشيه وكوكو وتانيا بعد الظهر، وبعد انتهاء خطاب فيديل مباشرة. لقد تحدث فيديل عنا بعبارات أثارت فينا مزيداً من الشعور بالمسؤولية ومن التصميم على العمل... إن أمكن ذلك.

أما في المخيم فقد تناولت الأعمال حفر الكهف. خرج الرجال بجولة استطلاعية في الشمال، بينما استطلع إنتي وكارلوس نهر (ناكاهوازو) إلى أن عثرا على أناس بقرب ياكى. عهد إلى جواكين والطبيب باستشكاف (الياكى) حتى منبعه أو إلى أن يصلا إلى منطقة مأهولة، وحددت لهم جميعاً مهلة خمسة أيام فقط لتنفيذ مهماتهم.

عاد رجال المخيم يقولون إن لورو لم يعد بعد وداع مونجي.

٣ كانون الثاني

إنصرفنا إلى إعداد سقف للكهف، ولكننا أخفقنا، ولا بد من إنهاء ذلك غداً. خرج رجلان فقط لنقل الحاجيات وعادا، بعد ذلك، ليعلنا أن جميع الرفاق قد سافروا مساء البارحة. إنهمك بقية الرجال في سقف المطبخ وانتهوا من إعداده.

٤ كانون الثاني

يومٌ عادي لا جديد فيه، أمضاه الرجال في أعمال النقل، من جهتنا، انهينا حفر الملجأ المخصص لجهاز الاتصال. توقفت التدريبات على الرماية بسبب المطر.

٥ كانون الثاني

تابعنا أعمال النقل. لا يزال أمامنا البعض منها انتهى بناء الملجأ وتوابعه (ملجأ أصغر للمولد الكهربائي). كشف على بنادق مؤخرة الطابور والعديد من بنادق وسطه، انها في حالة جيدة، ما عدا بندقية أبوليناريو. عاد جميع الكشافين. إنتي وكارلوس سلكا طريق نانكاهاوزو لكي يلتقيا ببعض السكان. لقد وجدا عدة بيوت، من بينها منزل لمربيين للحيوانات، يمتلك أحدهما ١٥٠ بقرة ويعيش في لاغونياس. هناك قرية صغيرة تسمى ايتي، تنطلق منها طريق للمشاة باتجاه لاغونياس؛ من تلك الطريق وصلا إلى تيكوشا، المتصلة بقرية ياكا غوزمان عبر طريق مخصص للشاحنات، ثم عادا عبر ممر يقود إلى نهر ايكيري، الذي أطلقنا عليه اسم ياكى. المكان الذي يسمى ياكى هو مزرعة قريبة من ذلك المخيم، مهجورة من ساكنيها بسبب الطاعون البقري. تابع جواكيم والطبيب طريقهما بمحاذاة مجرى ايكيري إلى أن اصطدما بصخور عالية وعرة، دون أن يلتقيا بأحد، لكنهما لاحظا آثار اقدام. استكشف ماركوس وميغيل وبينينيوي أراضي الداخل حتى وصلوا إلى مكان لا يمكن بلوغه، يظهر على الخريطة كأنه جرف (شاطيء صخري).

لدينا متطوع جديد، دجاجة حبشية برية التقطها إنتي.

٦ كانون الثاني

توجهنا في الصباح، أنا وماركوس وجواكين واليخاندرو وإنتي لتفقد الهضبة الجرداء... وهناك اتخذت قراري التالي: سيحاول ماركوس وكامبا وباشو أن يصلوا إلى ناكاهواوزو من الجانب الأيمن تجنباً لأي لقاء بالسكان... أما ميغيل وبروليو وأنيسيتو فسوف يبحثون عن ممر في سفح الهضبة ويسلكون بذلك الطريق الرئيسي. ويقوم جواكين وبينينيوي وإنتي بالبحث عن ممر باتجاه (الغرياس) الذي يبدو مجراه على الخارطة موازيا لمجرى ناكاهواوزو، على الجانب الآخر من الهضبة التي يعتقد أنها: (البامبا ديل تيغر).

وصل لورو بعد الظهر يجرد ورائه بغلتين كان قد اشتراهما بمبلغ ٢٠٠٠ بيزوس... صفقة موفقة ولا شك، فهي حيوانات لطيفة وقوية. أرسلت في أثر بروليو وباشو أدعوهما للحضور حتى يستطيع باشو أن

يسافر في الغد باكراً، وقد حل مكانهما كارلوس والطبيب.

بعد انتهائي من إلقاء محاضرتي على الرفاق، تحدثت قليلاً عن خصائص حرب العصابات وعن ضرورة انضباط أفضل... وشرحت للحاضرين أن مهمتنا تتضمن قبل كل شيء تكوين نواة مثالية، نواة فولاذية... ثم انتقلت بعد ذلك إلى شرح أهمية الدراسة التي لا غنى عنها، وهي في نظري ضرورة لعملنا في المستقبل. وعقدت بعد ذلك اجتماعاً لقادة المجموعات: جواكين-وماركوس واليخاندرو وإنتي ورولاندو وبومبو والطبيب وناتو ريكاردو وشرحت لهم الأسباب التي دعنتي لتعيين جواكين في منصب الرئيس العسكري الثاني بدلاً من ماركوس الذي ارتكب عدة مرات الأخطاء نفسها. انتقدت موقف جواكين من الحادثة التي جرت بينه وبين ميغيل في مطلع السنة الجديدة، ثم شرحت بعض المهام التي يجب إنجازها لتحسين منظمنا.

وفي النهاية، قص عليّ ريكاردو حادثاً جرى له مع إيفان، بحضور تانيا... ويبدو أنهما قد تشابها وأن ريكاردو طلب من إيفان إخلاء سيارة الجيب. إن هذه المشادات التي تقع بين الرفاق تسيء إلى عملنا.

٧ كانون الثاني

خرج المستطلعون. تألفت «الفوندولا» فقط من اليخاندرو وناتو ووقف جهد الآخرين على القيام بأعمال داخلية. أحضرنا الراديو وجميع حاجيات أرتورو وقمنا بتهيئة سقف إضافي للكهف، كما أصلحنا آبار المياه وأقمنا جسراً صغيراً على الجدول.

٨ كانون الثاني

يوم أحد، استمرت الفوندولا حتى الساعة الثامنة. تم نقل كل شيء تقريباً، أعلن اللورد عن رحلة غير مخطط لها إلى سانتا كروز، لايجاد طقومة للبالغ كما يبدو. لا دروس ولا أي نشاط آخر، اضطررت للعمل في الخارج، متعرضاً للطقس السيء.

٩ كانون الثاني

مطل المطر، كل شيء تبلل، فاض النهر وأصبح عبوره مستحيلاً، بحيث تعذر اجراء التبديل في المخيم القديم.

يوم دون أي حادث آخر.

١٠ كانون الثاني

استبدل الحرس الثابت للمخيم القديم روبيو وأبولينار مكان كارلوس والطبيب. كان النهر ما يزال طافحاً بالمياه رغم انخفاض منسوبه. وتوجه لورو إلى (سانتا كروز) ولم يعد بعد.

تسلقنا أنا والطبيب (مورو) وتوما وأنطونيو الذي عهد إليه بحراسة المخيم، جبل (البامبا ديل تيغر). وهناك شرحت لأنطونيو مهمته في صباح الغد والتي تقضي باستطلاع جدول يعتقد بوجوده في غربي مخيمنا. وسعينا من هناك لبلوغ طريق ماركوس القديم ووصلنا إليه بسهولة. وعند هبوط الليل عاد ستة من المستكشفين: ميغيل مع بروليو وأينستو ثم جواكين مع بينينيو وانتي. نجح ميغيل وبروليو في إيجاد منفذ إلى النهر الذي يمر بسفح الهضبة واكتشفنا بعد ذلك فرعاً آخر يبدو أنه (ناكاهاوزو). نجح جواكين في السير مع النهر وهو في الغالب نهر (الفرياس)، ولعله نفس النهر الذي استكشفته المجموعة الأولى... مما يدل على أن خرائطنا سيئة للغاية... لقد ذكر فيها أن النهرين تفصل بينهما أحراش كثيفة ليصعب بعد ذلك كل على انفراد في الغرائبه.

وصلتنا رسالة من هافانا تعلن أن الشينو سيغادروا في الثاني عشر بصحبة الطبيب وخبير الراديو... وسيسافر (ريا) أيضاً في الرابع عشر... ولم نتحدث الرسالة عن رفاقنا الآخرين.

١١ كانون الثاني

خرج أنطونيو لاستطلاع الجدول المجاور يصحبه كارلوس وأرتورو، وعادوا في المساء، وكل ما جاؤوا به هو أن الجدول يصب في (ناكاهاوزو) مقابل المراعي التي نصطاد فيها.

إنهمك اليخندرو وبومبو في رسم الخرائط في كهف أرتورو ثم جاء ليخبراني أن كتبي قد بللتها الأمطار وبأن بعضها قد تلف وأن أجهزة اتصال الراديو قد تبللت هي أيضاً وعلاها الصدا. ولو عرفنا أن جهازي الراديو قد تلفا.. لأدركنا مدى مواهب أرتورو الفذة.

وصل ماركوس في المساء... لقد استكشف (ناكاهاوزو) عبر مسافات بعيدة، ولم يستطع أن يصل إلى نقطة التقاء هذا النهر مع فرياس. لست

واثقاً تماماً من صحة الخرائط ولا من صحة هوية المجرى الأخير.
بدأنا في دراسة «الكيشوا» بقيادة انيستو وبيدرو.
يوم «البورو»^(١). أخرجنا من ملابس ماركوس وكارلوس وبومبو
وأنطونيو ومورو وجواكين يرقات الذباب.

١٢ كانون الثاني

أرسلنا «الغوندولا» لإحضار الحاجيات المتبقية. لم يعد لورو حتى
الآن... وقد قمنا بالتدريب على تسلق التلال المحيطة بجدولنا، فقضينا
ساعتين حتى وصلنا إليها من الجانبين، بينما لم يستغرق صعود التلال
من الوسط أكثر من سبع دقائق... يجب أن نقيم ترتيباً دفاعياً في هذه
المنطقة بالذات.

أخبرني جواكين بأن ماركوس قد تأثر من الملاحظة التي أبديتها
بخصوص أخطائه أثناء الاجتماع السابق. يجب أن أتحدث معه حول هذا
الموضوع.

١٣ كانون الثاني

تحدثت إلى ماركوس. وقد شكنا من توجيه اللوم إليه بحضور
البوليفيين.. كانت حجته واهية ولا شيء بالذات يثير الاهتمام عدا حالته
العاطفية التي تستحق المراجعة.

استشهد ماركوس بعبارات محقرة صدرت بحقه عن الليجنדרو، وقد
تقصيت حقيقة الأمر مع هذا الأخير، وتبين أن ذلك لا أساس له من
الصحة، وأن كل ما جرى لا يتعدى بعض المزاح. وقد هدا ماركوس قليلاً.
خرج إنتي وأمورو إلى الصيد ولكنهما عادا خاويي الوفاض.

توجه بعضهم لحفر الكهف في المكان الذي تستطيع البغال الوصول
إليه... ولكن المشروع فشل واستعضنا عنه بكوخ صغير من الطين.

قام الليخنדרو وبومبو بدراسة حول وسائل الدفاع عن المنفذ المؤدي
إلى المخيم ووضعوا العلامات لحفر الخنادق وسيتابعان عملهما في الغد.
عاد الروبيو وأبولينار وتوجه بروليو وباشو إلى المخيم القديم. لا أنباء
من لورو.

(١) ذبابة تضع يرقانها أثناء لسمها.

١٤ كانون الثاني

عبر ماركوس مع مجموعته، باستثناء بينينيو، مجرى النهر بقصد بناء الكوخ الطيني... كان عليه أن يعود في المساء، ولكنه اختصر عمله قبل إنهاء الكوخ وعاد في ساعة الظهيرة هرباً من الأمطار.

عهد إلى جواكين بقيادة المجموعة المكلفة بحفر الخنادق. خرجنا أنا ومورو وأنتي وأوربانو لشق طريق يحيط بموقعنا في السفح القائم على يمين الجدول، ولكن تبين أن اتجاهنا كان خاطئاً مما اضطرنا إلى سلوك منحدرات وعرة. وفي الظهيرة أمطرت السماء، وتاجلت بذلك جميع نشاطاتنا.

لا أنباء من لورو.

١٥ كانون الثاني

بقيت في المخيم لاكتب بعض التعليمات الموجهة إلى عناصرنا في المدينة. ولما كنا في يوم الأحد، فقد توقفت الأعمال بعد الظهر: انهكم ماركوس في الصباح مع مجموعته بإعداد الكوخ بينما انصرف الحرس، في المؤخرة والوسط، إلى حفر الخنادق، وتكفل ريكاردو وأوربانو وأنطونيو بتحسين طريق الباحة ولكنهم أخفقوا في مسعاهم بعد أن اصطدموا بمنحدر صخري شديد بين التل المؤدي إلى النهر وبين سفح الهضبة. لم نقم بزيارة المخيم القديم.

استمر العمل في حفر الخنادق بينما أوشك ماركوس على الانتهاء من بناء كوخ جميل. حل الطبيب وكارلوس مكان بروليو وبيدرو ووصل هذان الاخيران ليخبرانا بأن لورو قد عاد من رحلته وبرفقتة البغال ولكنه لا يزال متخفياً رغم توجهه انيستو لملاقاته. ظهرت بعض أعراض الملاريا على الليجندرو.

١٦ كانون الثاني ١٩٦٧

تابعنا العمل الذي لم ينته بعد، في حفر الخنادق. أنهى ماركوس عمله تقريباً وياشر ببناء منزل صغير لا بأس به. الطبيب وكارلوس حلا محل بروليو وبيدرو، أعلننا عن وصولهما. عاد لورو مع البغال، إلا أنه لم يظهر، رغم أن انيستو كان أمامه.

ظهرت على اليجندرو عوارض الملاريا.

١٧ كانون الثاني

يوم هادىء بعض الشيء... إنتهى العمل في خنادق الخط الاول وكذلك في الكوخ الطيني.

جاء لورو ليقدم تقريراً عن رحلته. ولما سألته عن الاسباب التي دعتة للسفر اجابني انه كان يعتبر هذه الرحلة من صميم خططنا. ثم اعترف، بعد ذلك، انه سافر لمقابلة امرأة يعرفها هناك. لقد أحضر معه لجاماً للبغل ولكنه لم ينجح في دفعه إلى السير في النهر. لا أنباء من كوكو... وهذا ما يبعث على القلق.

١٨ كانون الثاني

السماء ملبدة بالغيوم مما دفعني إلى تأجيل تفتيشي للخنادق. إستقل اوربانو وناتو والطبيب (مورو) وأنتي وأنيسستو وبروليو «الفوندولا» واعتذر اليجندرو عن العمل بسبب مرضه.

بدأت السماء تمطر بغزارة وجاء لورو تحت المطر الغزير ليخبرنا بأن أرغاناران قد تحدث مع أنطونيو وبدأ مطلعاً على دخائل أمور كثيرة... عرض عليه التعاون معنا في تجارة الكوكايين أو أي عمل آخر، مشيراً بذلك إلى أنه يشك أن في الامر شيئاً غير طبيعى. أصدرت أمري إلى لورو بالتعاقد معه دون أن يعده بشيء ما عدا دفع تعويضه عن الحاجيات التي سينقلها إلينا في سيارة الجيب وكذلك بتهديده بالقتل فيما لو بدرت منه أية بادرة خيانة. خرج لورو على الفور، وتحت وابل المطر الشديد، خوفاً من ارتفاع منسوب النهر.

لم تعد «الفوندولا» في الساعة الثامنة. ووزع الطعام المخصص لركابها على الحاضرين فالتهموه بسرعة. ووصل بروليو وناتو بعد ذلك بعدة دقائق وقالوا لنا إن برك الامطار عطلتهم وإن إنتي قد سقط في الماء وفقد بندقيته، وهو يعاني من بعض الرضوض. أما الآخرون فقد قرروا قضاء الليل هناك.

١٩ كانون الثاني

بدأ اليوم كالعادة في أعمال الدفاع وتحسين المخيم. أصيب ميغيل

بارتفاع قوي في الحرارة، وتشير الدلائل كلها إلى أنها أعراض الملاريا. وشعرت من جانبي بالقشعريرة، طيلة النهار، ولكن المرض لم يداهمني. وصل الرجال الأربعة الذين تخلّفوا أمس، في تمام الساعة الثامنة صباحاً ومعهم كمية كبيرة من الذرة.. لقد أمضوا ليلتهم قابعين حول نار أشعلوها للتدفئة. لن نستطيع استرجاع البندقية قبل انخفاض منسوب النهر.

وفي حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، وعندما خرج روبيو وبيدرو ليقوما بدورهما بحراسة المخيم الآخر مكان الحارسين الآخرين، جاء الطبيب لينبئنا بأن رجال البوليس قد وصلوا إلى المخيم المذكور. لقد وصل الملازم الأول فيرننديز وبرفقتة أربعة من رجال الشرطة في ثياب مدنية على متن سيارة جيب استأجروها للبحث عن مصنع الكوكايين، وقد فتشوا المنزل، واسترعت انتباههم بعض الأشياء الغريبة كأقراص الوقود الجاف التي نستخدمها في إشعال قناديلنا... والتي لم تُخفها في الكهف. وقد انتزعوا المسدس من لورو ولكنهم تركوا له الموزر، والبندقية عيار ٢٢ وتظاهروا أيضاً بانتزاع البندقية عيار ٢٢ من أرغاناراز أمام لورو، ثم تركوها بعد تحذيرهم بأنهم مطلعون على كل شيء وأنهم يراقبون ما يجري هنا. وقال الملازم الأول فرنانديز للورو إنه يستطيع استعادة مسدسه في كاميري «بدون إثارة ضجة، شرط أن يتحدث معه» ثم سأل عن أخبار «البرازيلي».

صدرت التعليمات إلى لورو بأن يقوم بتهديد صياد فاليه غراندي وكذلك أرغاناراز اللذين يشتبه بقيامهما بأعمال التجسس والوشاية. كما طلب إليه أن يتوجه إلى كاميري بحجة استعادة المسدس المصادر ويتصل هناك بكوكو (أخشى أن يكون قد دخل السجن). علينا أن نظل في الغابات أطول فترة ممكنة.

٢٠ كانون الثاني

تفقدت المراكز وأصدرت أوامري بإنجاز التجهيز الدفاعي الذي تم شرحه في الليلة الماضية. وتقوم الخطة على الدفاع السريع عن منطقة مجاورة للنهر، على أن يقوم بهجوم مضاد رجال الطليعة الذين يتخذون مراكزهم في طرق محاذية للنهر تقود إلى المؤخرة.

وكنا نعتزم القيام بتدريبات عديدة ولكن الموقف ازداد سوءاً في المخيم بعد أن ظهر رجل غريب عن المنطقة، وأطلق عدة عيارات من بندقية م - ٢ وتبين أنه «صديق» لأرغاناراز جاء لقضاء عشرة أيام في منزله. اتخذنا قراراً بتعزيز مجموعات الاستطلاع، وبنقل المخيم إلى جوار منزل أرغاناراز حتى إذا حدث ما ليس في الحسبان استطعنا أن نصفي الحساب معه قبل إخلاء المنطقة.

لا يزال ميغيل يعاني حمى شديدة.

٢١ كانون الثاني

تدربنا على معركة وهمية، كانت ناجحة، بشكل عام، وإن أخفقت في بعض نواحيها، ولعل أضعف ما في الخطة عملية الانسحاب التي يجب أن نوليها المزيد من الاهتمام.

خرجت المجموعات بعد ذلك: الأولى بقيادة بروليو، وقد عهد إليها باستكشاف طريق محاذ للنهر باتجاه الغرب، والثانية بقيادة رولاندو، وقد عهد إليها بنفس المهمة لكن في اتجاه الشرق. أما باشو فقد توجه إلى الهضبة الجرداء لتجربة جهاز الاتصال، ومضى ماركوس مع أينسييتو للعثور على ممر يتيح مراقبة أرغاناراز على أفضل وجه. حددت ساعة العودة للجميع قبل الساعة الثانية باستثناء ماركوس... وقد نُفذت المهام المطلوبة، وكانت تجارب الإرسال مرضية. عاد ماركوس في ساعة مبكرة لأن المطر حال بينه وبين الرؤية.

وصل بيدرو تحت سيل المطر، وأحضر معه كوكو وثلاثة أعضاء جدد هم: بنجامين وأوسيبو والتر. سيلتحق الأول، وهو كوبي بالطليعة لكونه ملماً باستخدام السلاح، أما الآخران فسوف يفرزان إلى حرس المؤخرة. تحدث مونجي إلى ثلاثة رجال قادمين من كوبا محاولاً إقناعهم بعدم الانضمام إلينا. فهو لم يكتف بعدم الاستقالة من قيادة الحزب ولكنه أرسل إلى فيديل الوثيقة د / ٤ المرفقة.

تلقيت مذكرة من تانيا بخصوص سفرها ومرض إيفان، كما تلقيت مذكرة ثانية من هذا الأخير د / ٥ وهي الوثيقة المرفقة.

جمعت الرفاق كلهم، في الليل وقرأت عليهم الوثيقة، وأشارت إلى الأخطاء المتضمنة في النقطتين أ وب ووجهت كذلك بعض الانتقادات الصغيرة. يبدو

أنهم تقبلوا موقفى بروج إيجابية. إن اثنين من المتطوعين الثلاثة الجدد يبدون أشداء البنية وواعين.. وأصغرهم هو فلاح من إيمارا صحيح البنية وقوى.

٢٢ كانون الثاني

خرجت «الغوندولا» وعليها ١٣ شخصاً بالإضافة إلى بروليو ووالتر اللذين سيحلان محل بيدرو والروبيو. عادوا جميعهم بعد الظهر دون أن يتمكنوا من إحضار كل الحاجيات. كل شيء هادئ هناك. سقط الروبيو سقطة شديدة في طريق عودته، ولكن إصابته ليست خطيرة. كتبت إلى فيديل الوثيقة رقم ٣ لأشرح له حقيقة الوضع، وأختبر بذلك صندوق الرسائل. عليّ أن أرسل المذكرة إلى لاباتز بواسطة غيفارا، أحد المتطوعين البوليفيين، إذا جاء إلى كاميري في الخامس والعشرين حسب الموعد المحدد.

إنني أعد الآن التعليمات الكتابية إلى عناصرنا في المدينة (الوثيقة د / ٣) كان النشاط خفيفاً في المخيم بسبب خروج «الغوندولا». بدأ الآن ميغيل يتماثل للشفاء، ولكن كارلوس أصيب بدوره بارتفاع قوى في الحرارة. أجرينا اليوم اختبارات السل، واصطدنا طاووستين بريتين، ووقع حيوان صغير في الفخ ولكن ساقه بترت مما ساعده على الهرب.

٢٣ كانون الثاني

توزعنا المهام في داخل المخيم، وكذلك بعض الاستطلاعات التي يجب القيام بها. خرج إنتي ورولاندى وأرتورو للبحث عن مكان يصلح كمخبأ للطبيب ولجريح واحد. ذهبنا أنا وماركوس وأوربانو لاستكشاف الهضبة المواجهة لنا واختيار مكان فيها يصلح لمراقبة منزل ارغاناراز... وقد وجدنا ما نصبو إليه وهو يشرف تماماً على تلك البقعة. لا يزال كارلوس محموراً: إنها الملاريا.

٢٤ كانون الثاني

خرجت «الغوندولا» وعليها سبعة رجال، ثم عادت باكراً محملة بالحاجيات والذرة.. وفي هذه المرة سقط جواكين في الماء، وفقد بندقيته «الغاران» ولكنه استرجعها في الحال. عاد لورو وهو الآن في المخبأ. لا

يزال كوكو وانطونيو في الخارج، ويجب أن يعودا غداً أو بعد غد ومعهم غيفارا.

أصلحنا إحدى الطرق لاستخدامها في تطويق الجنود الأعداء إذا اضطرتنا الظروف إلى الدفاع عن مواقعنا. وفي المساء، جرى شرح للتدرب الذي قمنا به ذلك اليوم مع تصحيح الأخطاء.

٢٥ كانون الثاني

خرجنا مع مارتوس لاستطلاع طريق يؤدي إلى مؤخرة المهاجمين. واستغرق وصولنا حوالي ساعة، ولكن المكان كان رائعاً.

ذهب إنيسيتو وبنجامين لتجربة جهاز الإرسال في أعلى الهضبة التي تطل على بيت أرغاناراز، ولكنهما ضلّا الطريق، ولم يستطيعا القيام بالتجارب، ولا بد من محاولة ثانية. بدأنا بحفر كهف آخر لحفظ الحاجيات الشخصية. وصل لورو والتحق بالطليعة، وقد تحدث إلى أرغاناراز ونقل إليه ما أشرت في حينه. وقد اعترف أرغاناراز بأنه أرسل رجل فاليه غراندي للتجسس علينا ولكنه نفى أن يكون صاحب الوشاية. طرد كوكو الصياد من منزله لأن أرغاناراز قد أرسله للتجسس. وصلتنا رسالة من مانيلّا تتضمن استلامهم لجميع الأشياء على أكمل وجه، وأن كولي في طريقه للإجتماع بسيمون ريس. أنبأنا فيديل أنه سيصغي إليهم وأنه سيكون قاسياً معهم.

٢٦ كانون الثاني

لم نكد نباشر العمل في الكهف الثاني حتى وردنا نبأ وصول غيفارا ولويولا، فذهبنا إلى الكوخ الصغير الخاص بمخيم الوسط، وكانا في انتظارنا منذ الظهر.

تقدمت بشروطي إلى غيفارا: حل المجموعة، لا رتبة لأي شخص، لا منظمة سياسية الآن، ضرورة تجنب المناقشات الحادة حول النزاعات الدولية والوطنية. قبلها جميعها، ببساطة كبيرة، وهكذا فقد أصبحت العلاقات مع البوليفيين ودية للغاية بعد أن كانت باردة في البداية.

أعجبني لويولا للغاية.. إنها شابة ورقيقة ويمكن أن نستشف لديها عزيمة قوية. إنها على وشك أن تطرد من اتحاد الشبيبة، وإن كانوا يسعون لإجبارها على الاستقالة. أصدرت إليها التعليمات المتعلقة بالعناصر

واعطيتها وثيقة أخرى. وإضافة إلى ذلك عوضت عليها المال الذي أنفق وقدره ٧٠,٠٠٠ بيزوس فليس عندنا الآن ما يكفيننا. سيعين الدكتور باريجا رئيساً لشبكة الاتصال وسيلتحق بنا رودولفو خلال ١٥ يوماً. بعثت برسالة إلى إيفان (د/ ٦) تتضمن تعليماتي. أصدرت أمراً إلى كوكو ببيع سيارة الجيب شرط تأمين الاتصال بالمزرعة.

وفي حوالي الساعة السابعة... أي مع هبوط الليل، قمنا بتوديعهما. سيسافران غداً مساءً وسوف يعود غيفارا مع أول مجموعة من أربعة أشخاص في الرابع عشر من شباط... قال إنه لن يستطيع العودة قبل هذا التاريخ بسبب المواصلات، وإنه لن يستطيع أن يستخلص شيئاً من الرجال، في الوقت الحاضر، بسبب الأعياد. ستصلنا قريباً أجهزة إرسال أقوى من التي نمتلكها.

٢٧ كانون الثاني

أرسلنا «غوندولا» قوية لتعود بكل شيء... ولكن لا تزال بعض الحاجيات هناك. اضطر كوكو والرسل إلى مغادرتنا في الليل... سيبقى هؤلاء في كاميري بينما يتوجه كوكو إلى سانتا كروز لبحث موضوع بيع سيارة الجيب بعد الخامس عشر من شباط.

استأنفنا حفر الكهف، وقد وقع حيوان التاتو في الفخ... إننا في طريقنا إلى الانتهاء من إعداد تموين الرحلة، والمفروض أن تبدأ هذه بعد عودة كوكو.

٢٨ كانون الثاني

لا تزال «الغوندولا» تقوم بتنظيف المخيم القديم. ذكر الرفاق أن صياد فاليه غراندي قد فوجيء وهو يتجول في حقل الذرة، ولكنه أطلق ساقبه للريح... كل شيء يدل على أن الساعة قد حانت لاتخاذ قرار بخصوص المزرعة.

إستكملنا الآن كل حاجتنا من التموين... معنا زاد لعشرة أيام من السير، وقد تحدد التاريخ بعد عودة كوكو بيوم أو اثنين أو في الثاني من شباط.

٢٩ كانون الثاني

يوم قضاه الرجال في التنزه باستثناء الطبّاخين والصيادين والحرس

فقد انصرفوا إلى شؤونهم.

وصل كوكو بعد الظهر... وقد ذهب إلى كاميري بدلاً من سانتا كروز وترك لويولا تستقل الطائرة إلى لا باز بينما ركب موازيس الباص إلى «سوكر» وقد حدد يوم الأحد لإجراء الاتصالات. تم الاتفاق على السفر في أول شباط.

٣٠ كانون الثاني

حملت «الغوندولا» ١٢ رجلاً، ونقلت هذه المرة أكبر كمية من المؤن... لا يزال هناك محل لخمسـة رجال. لم يعد الصيادون بشيء. إنتهى حفر الكهف المعد للأشياء الشخصية... ولكنه لم يكن صالحاً.

٣١ كانون الثاني

آخر يوم في المخيم. قامت «الغوندولا» بنقل كل ما في المخيم القديم، واستدعي الحرس من تلك المنطقة. بقي أنطونيو وناتو وكامبا وأرتورو - لتنفيذ تعليماتي التالية: أن يتصلوا بنا كل ثلاثة أيام على الأقل، وما داموا أربعة فيقوم اثنان منهما بالحراسة باهتمام وبقظة كاملين، أما المتطوعون الجدد فيدربون حسب القواعد العامة السارية. على الأ يعرفوا إلا ما تقتضيه الضرورة القصوى. كما يجب تنظيف المخيم من كافة الأشياء الشخصية وإخفاء الأسلحة في الغابات بعد لفها لحفظها من الرطوبة، ويتولى أحدهم مسؤولية الاحتفاظ الدائم بالمال في المخيم، ويجري استكشاف الطرق والجداول المجاورة باستمرار... وعلى اثنين منهما أن يتوجها إلى كهف أرتورو في حالة الانسحاب المفاجيء: أنطونيو وأرتورو نفسه، أما ناتو وكامبا فينسحبان عن طريق النهر، ويسرع أحدهما إلى مكان يجري اختياره لإبلاغ النبأ. أما إذا زاد عدد الرجال عن أربعة، فإن على إحدى المجموعات أن تتولى حراسة كهف المؤن.

تحدثت مع الرفاق وأصدرت إليهم تعليماتي النهائية بخصوص المسيرة، وزودت أيضاً كوكو بتعليماتي الأخيرة (د / ٧).

التحليل الشهري

كان موقف مونجي كما توقعت أولاً ملتوياً ثم تحول إلى الخيانة

الصريحة.

الحزب يشهر السلاح ضدنا، ولا أعلم إلى أين سيقود هذا كله، ولكن ذلك لن يعيقنا بل إنه قد يفيدنا على المدى الطويل (وإنني لواثق مما أقوله).

سيقف إلى جانبنا الرجال الشرفاء، والمقاتلون، ولو أنهم سيعانون من أزمة ضمير متراوحة في حداثها.

لقد أحسن غيفارا التصرف حتى الآن، وسنرى كيف سيتصرف مع رجاله في المستقبل.

ذهبت تانيا. ولم يصلنا أي خبر منها أو من الأرجنتين. تبدأ الآن مرحلة حرب العصابات الحقيقية وسوف نختبر قوانا، والزمن وحده كفيل بإظهار النتيجة، وبما سيؤول إليه مستقبل الثورة البوليفية.

لقد استغرقت تعبئة المقاتلين البوليفيين وقتاً لم تستغرق مثله جميع المهام الأخرى.

شباط ١٩٦٧

١ شباط

انتهت المرحلة الأولى، ووصل الرجال وقد أنهكهم التعب بعض الشيء، ولكن الأمور جرت، بشكل عام، على خير وجه. وقد خرج أنطونيو وناتو للإتفاق على كلمة السر ورفعاً متاعياً ومتاع مورو الذي يتماثل الآن للشفاء بعد إصابته بالمalaria.

أعدنا جهاز إنذار، ووضعناه داخل زجاجة تحت شجرة في محاذاة الطريق. أما في المؤخرة فقد شكوا جواكين من ثقل متاعه وأخبر بذلك المجموعة كلها.

٢ شباط

يوم مرهق وبطيء... تسبب الطبيب في تأخير المسيرة، وكانت بطبيعتها بطيئة. وصلنا في الساعة الرابعة إلى آخر نقطة قرب المياه وأقمنا مخيمنا هناك. أصدرت أمراً إلى الطليعة باستطلاع الطريق المؤدي إلى النهر (لعله الفرياس) ولكنها تباطأت هي أيضاً. إنهضت الأمطار طوال الليل.

٣ شباط

أمطرت السماء منذ بزوغ الفجر، فاضطررنا إلى تأجيل ساعة الانطلاق حتى الثامنة. وعندما بدأنا بالسير جاء أنيسيتو يحمل حبالاً بقصد مساعدتنا في الممرات الصعبة، وبعد ذلك بقليل، أخذت الأمطار تنهمر من جديد. وصلنا إلى النهر في الساعة العاشرة وقد ابتلت ثيابنا، فاستقر رأينا على التوقف حالياً. ليس هذا النهر بالفرياس بكل تأكيد... وهو لم يرد في الخارطة.

ستنطلق الطليعة غداً مع باشو مع أول خيط من النور، وسوف نقيم اتصالاً فيما بيننا في كل ساعة.

٤ شباط

سرنا في الصباح حتى الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم نتوقف، سوى ساعتين فقط، لتناول طعام الغداء. الطريق محاذ لنهر ناكاهوازو... وهو صالح نسبياً ولكنه يبلي الأحذية... يسير بعض رفاقنا الآن حفاة.

دب التعب في صفوف المجموعة ولكنهم أبدوا جميعهم استعداداً لتحمل العناء... فقدت حوالي ١٥ ليبرة من وزني ولكنني قادر على السير بكل خفة رغم أن ألم الظهر لا يطاق أحياناً.

لم نجد أثراً حديثاً على طول النهر يدل على مرور آخرين قبلنا... ولكننا سنصادف حتماً مناطق مأهولة بين لحظة وأخرى إذا صدقت الخارطة.

٥ شباط

أخبرتنا الطليعة، صباح هذا اليوم، وبعد خمس ساعات من المسير (١٢ - ١٤ كيلو متراً) أنها شاهدت بعض الحيوانات (تبين أنها فرس ومهرها) وكان ذلك بمثابة مفاجأة لنا. توقفنا، حينئذ، وأصدرت أمراً باستكشاف المنطقة. تجنباً لأي مكان مأهول. ودار بيننا نقاش حول معرفة ما إذا كنا الآن في منطقة (تريبيتي) أو على ملتقى روافد السالاديو كما ورد في الخارطة. عاد باشو ليعلم أنه اكتشف نهراً كبيراً، أكبر بكثير من ناكاهوازو وأننا لن نستطيع اجتيازه. انتقلنا في الحال إلى هناك ووجدنا أنفسنا وراء (ريو غراندي) الحقيقي... الذي كان بالإضافة إلى ذلك طافحاً بالمياه. هناك بعض الدلائل التي تشير إلى وجود الحياة في هذه المنطقة ولكنها آثار

قديمة... ثم إن الطرق المسلوكة تضيع بين الاعشاب والنباتات وتتوقف هناك.

اقمنا مخيماً في مكان رديء على مقربة من ناكاهوازو، بقصد الاستفادة من مياهه، واستقر عزمنا في الغد على استكشاف جانبي النهر (شرقاً وغرباً) للتعرف على المناطق المحيطة به، بينما عهد إلى مجموعة أخرى بعبوره.

٦ شباط

يوم هادئ خصصناه للراحة. خرج جواكين مع والتر والطبيب لاستكشاف ريو غراندي، وساروا مع مجراه وقطعوا مسافة ثمانية كيلومترات فلم يجدوا مكاناً واحداً يصلح للعبور... وكل ما وجدوه ترعة صغيرة مالحة المياه. تقدم ماركوس بمشقة، في وجه التيار، ولم يستطع الوصول إلى الفرياس، وكان يصحبه كل من انيسيتو ولورو. وقد حاول اليخندرو وإنتي وباشو أن يجتازوا النهر سباحة فآخفقوا. أما نحن فقد عدنا أدراجنا إلى الوراء، مسافة كيلومتر واحد، سعياً وراء مكان أفضل لنصب المخيم. ظهرت بوادر المرض على بومبو. سنبدأ غداً ببناء طوف لمحاولة عبور النهر عليه.

٧ شباط

صنعنا طوفاً تحت إشراف ماركوس. وقد تبين أنه كبير جداً ويصعب توجيهه. إنتقلنا في الساعة الواحدة والنصف إلى مكان العبور المحدد، وفي الساعة الثانية والنصف بدأت عملية العبور. انتقلت الطليعة إلى الجانب الآخر من النهر على دفعتين، وفي الرحلة الثالثة تم نقل نصف مجموعة الوسط وكذلك ثيابي باستثناء متاعي. وعندما عاد الطوف لنقل ما تبقى من مجموعة الوسط... اختل توازن الروبيو. فحمل النهر الطوف باتجاه السافلة واستحال بذلك استرجاعه، وما لبث أن تفكك فاضطر جواكين إلى بناء طوف آخر، ولم يفرغ منه حتى الساعة التاسعة مساءً. أجّلنا عملية العبور إلى الغد نظراً لتوقف المطر ولانخفاض منسوب النهر... لم يبق من مجموعة الوسط سوى توما وأوربانو وإنتي واليخاندرو وأنا. نمت وأنا وتوما على الأرض.

٨ شباط

في الساعة السادسة والنصف باشرنا بنقل ما تبقى من الطابور عبر النهر. انطلقت طليعة المقدمة في تمام السادسة، وعند وصول الوسط، انتقلت المجموعة بأكملها. في الثامنة والنصف، تابع الوسط طريقه في حين وصلت المؤخرة من تلك الجهة. كانت مهمتها إخفاء العبارة قبل متابعة سيرها. أصبح الطريق وعراً واضطررنا إلى فتح معبر بواسطة الساطور. في الساعة السادسة من بعد الظهر، وصلنا إلى نهر يوجد قربهِ واحة صغيرة من الماء، وكنا عطشى وجياعاً فقررنا أن نخيم قربهِ، كما شاهدنا آثار أقدام خنازير.

تابع بروليو وانيسيتو وبيرينيو السير جنب النهر مسافة ثلاثة كيلومترات، وعادوا ليخبرونا بأنهم وجدوا آثار صناديل، وآثاراً حديثة ثلاث حيوانات، أحدهم يوجد حديد في قدمه.

٩ شباط

كنا قد مشينا لمدة نصف ساعة، عندما قررت أن أترك الطريق الذي سلكته وأتابع سيرى على الطريق المحاذي للنهر. فجأة ظهر حقل من الذرة. أرسلت إنتي وريكاردو لكي يستكشفوا وفجأة تحول كل شيء إلى جحيم. فالذين جاؤوا لم يشاهدوا العلامة التي تركناها لهم، واعتقدوا بأنني تهت. راحت الدوريات تتجول ذهاباً وإياباً، والمقدمة شاهدت المنزل وبقيت تنتظر وصولي. وجد إنتي وريكاردو العديد من الصبية، وقصدا منزل أحد الفلاحين، وهو أب لستة أولاد، فاستقبلهما بحفاوة بارزة وأعطاهما معلومات كثيرة. وخلال الحديث قال له إنه رئيس المغاورين، واشترى منه خنزيرين، كما طلب منه أن يحضر كوكتيلا بأنش. بقينا هناك، فأكلنا الذرة ولحم الخنزير. كان البانش جاهزاً عندما استقيظنا، ولكننا تركناه لليوم التالي.

١٠ شباط

خرجت للتحدث مع الفلاحين مقدماً نفسي كمساعد لإنتي... لا أعتقد أننا أجدنا التمثيل، بعد أن تبين أن إنتي خجول جداً. تبادلت الحديث مع فلاح صميمي قادر على مساعدتنا، ولكنه يشكل خطراً علينا بالذات لكونه

عاجزاً عن إدراك المخاطر التي يتعرض لها من جراء هذه المساعدة. حصلنا على قدر من المعلومات المتعلقة بحياة الفلاحين، وفشلنا في الحصول على معلومات دقيقة نظراً لتوجسه منا. قام الطبيب بمعالجة الاطفال المرضى وكان أحدهم يشكو من الديدان بينما أصيب آخر برفسة فرس.. وعندها انصرفنا. قضينا بعد الظهر والمساء في إعداد خبز الذرة (ولكنني لم استسغه) وقد أدليت في المساء وبحضور جميع الرفاق ببضعة ملاحظات حول الأيام العشرة المقبلة. إنني اعتزم مواصلة المسير عشرة أيام أخرى باتجاه مازيكوري وبشكل يتمكن فيه الرفاق من مشاهدة الجنود عن كثب. ثم نحاول، بعد ذلك، أن نعود عن طريق الفرياس لاستكشاف طريق آخر. (الفلاح يدعى روياس).

١١ شباط

عيد ميلاد العجوز، ٦٧.

تتبعنا طريقاً واضح المعالم على طرف النهر إلى أن أصبح غير سالك، وكان يغيب في بعض اللحظات، مما يدل على أنه لم يطرق منذ زمن طويل. وصلنا ظهراً إلى مكان مغلق تماماً وقريب من نهر كبير وتساءلنا في الحال إذا كان هذا النهر هو مازيكوري أم لا. توقفنا بقرب جدول بينما خرج ماركوس وميغيل في جولة استطلاعية في النهر، وإنتي وكارلوس في سافلتة لاستطلاع مصبه. وهكذا، فقد تأكد لنا أنه نهر مازيكوري، وكانت أول نقطة لعبوره قائمة في مكان أبعد، على ما يبدو، شوهد هناك بعض الفلاحين وهم على خيولهم. لقد لاحظوا على الأرجح آثارنا وهذا ما يدعونا لاتخاذ احتياطات بالغة.

نحن على مسافة فرسخ أو فرسخين من أرينال، إذا صدق الفلاح. الارتفاع: ٧٦٠.

١٢ شباط

اجتزنا سريعاً الكيلو مترين اللذين قطعتهما الطليعة في البارحة... وبدأت حينئذ معالم الطريق تتضح شيئاً فشيئاً.. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، وصلنا إلى طريق حقيقية تبدو وكأنها الطريق التي نجد في البحث عنها. وقد تراءى، على الجانب الآخر من النهر، وفي مواجهتنا تماماً، أحد البيوت،

ولكننا صرفنا النظر عنه وسعينا وراء بيت آخر على هذا الجانب من النهر يملكه فلاح اسمه مونتانو، كان روياس قد امتدحه لنا. توجه إليه إنتي ولورو ولكنهما لم يجداً أحداً فيه رغم أن الدلائل تشير إلى أنه البيت المقصود.

خرجنا في الساعة السابعة والنصف للقيام بجولة ليلية، وقد تزودنا خلالها بكل ما كنا نفتقر إليه من معلومات. عاد إنتي ولورو في حوالي الساعة العاشرة يحملان أنباء غير مشجعة! كان الرجل ثملاً ولم يكن استقباله ودياً... ولم يجداً عنده سوى الذرة. لقد سكر لدى كاباليرو المقيم في الجانب الآخر من النهر، وهكذا لم تكن نقطة العبور بعيدة، اتخذنا قراراً بقضاء الليل في غابة صغيرة مجاورة... كنت منهكاً للغاية لكوني لم استسغ خبز الذرة، ولم أتناول أي طعام طيلة النهار.

١٣ شباط

هطل المطر بشدة عند بزوغ الصباح، ودام ساعات طويلة مما رفع من منسوب النهر. وصلتنا أنباء مشجعة: أن مونتانو هو ابن مالك البيت وعمره ١٦ عاماً، وقد ذهب والده ولن يعود قبل أسبوع على الأقل. وقد قدم إلينا معلومات دقيقة عن المنطقة الواطنة من القرية التي تقع على بعد فرسخ من هنا.

قال إن هناك درباً صغيراً يتجه نحو اليسار ولكنه ضيق، وفي تلك الزاوية يقطن شقيق بيريز، وهو فلاح صغير خطبت ابنته إلى جندي في الجيش.

انتقلنا إلى مخيم جديد، بجانب جدول وحقل للذرة. وقد فتح ماركوس وميغيل ممراً إلى الطريق الرئيسي.
الارتفاع: ٦٥٠ (الطقس عاصف).

١٤ شباط

يوم هادئ قضيناه في المخيم. زارنا الشاب مونتانو ثلاث مرات وأخبرنا في إحداها أن بعض الأشخاص قد اجتازوا الجانب الآخر من النهر سعياً وراء بعض الخنازير... لم يقل أكثر من ذلك. وقد أجزلنا له العطاء لتعويضه عن الأضرار التي لحقت بحقل الذرة.

لقد فتش المستكشفون طيلة النهار في شتى المسالك دون أن يجدوا

بيتاً واحداً إذا صحت حساباتهم، فإنهم، دونما شك، قد شقوا طريقاً من ستة كيلومترات، أي ما يعادل نصف المسافة التي سنقطعها في الغد. وصلتنا رسالة طويلة من هافانا وشرعنا في فك رموزها، وكان أهم ما جاء فيها هو خبر الحديث الذي أجري مع كولي. قال كولي في هافانا: إننا لم نطلعه على أبعاد المهمة الكبيرة في القارة، وإنه، إزاء هذه الحالة، مستعد مع رفاقه للتعاون معنا في خطة يبحث تفصيلاتها معي شخصياً. وجاء في الرسالة أيضاً أن كولي بالذات، وكذلك سيمون رودريغيز وراميريز في طريقهم إلينا... وأن سيمون قد أبدى رغبته في مساعدتنا، بشكل مستقل عن الحزب. جاء في الرسالة أيضاً، أن الفرنسي المسافر بجواز سفر عادي سيصل إلى لا باز بتاريخ الثالث والعشرين، وأنه سيحل ضيفاً على باريجا أو كيا. هناك قسم بسيط في الرسالة لم نستطع فك رموزه في الحال. سنرى كيف السبيل إلى مجابهة هذه الحملة الهجومية. ومن الأنباء الأخرى أن ميرسي وصل بدون المال، وزعم أنه سرق منه... إننا نشتبّه بأن هناك تلاعباً إن لم يكن شيئاً أخطر. سيطلب ليشين بعض المال ومزيداً من التدريب.

١٥ شباط

عيد ميلاد هيلديتا (١١)

يوم من المسير الهادئ. بلغنا، في الساعة العاشرة صباحاً، المكان الذي توقف عنده المستكشفون، وقطعنا ما تبقى من الطريق ببطء وحذر. وفي الساعة الخامسة من بعد الظهر، وصلتنا أخبار من الطليعة تفيد أنها صادفت حقولاً مزروعة، وقد تاكدنا من صحة هذه المعلومات في حوالي الساعة السادسة. أرسلنا إنتي ولورو وأنيسيتو للتحدث مع أحد الفلاحين، وتبين لنا أنه ميشيل بيريز، شقيق نيكولا، الفلاح الغني الذي استغل شقيقه. شكاً ميشيل من معاملة شقيقه، وأبدى استعداده للتعاون معنا... لم نتناول العشاء نظراً للوقت المتأخر.

١٦ شباط

قطعنا أيضاً بعض الأمطار لتجنب فضول الشقيق، وأقمنا مخيماً على رابية تشرف على النهر، وترتفع عنه بمعدل ٥٠ متراً. سنكون في هذا المكان بمعنى عن المفاجآت المزعجة ولكنه ليس مريحاً. بدأ الرفاق في

تخزين كمية كبيرة من الطعام لعملية اجتياز السيريرا حتى روزيتا. وبعد الظهيرة، سقطت أمطار غزيرة وعنيفة، واستمرت طوال الليل، مما أدى إلى ارتفاع منسوب النهر وإفساد خططنا. لقد عزلنا مرة أخرى... استقر رأينا على تسليف الفلاح مبلغ ١٠٠٠ دولار لشراء بعض الخنازير وتربيتها... إن له تطلعات رأسمالية.

١٧ شباط

هطل المطر طيلة الصباح. حتى الآن، أمطرت السماء طيلة ١٨ ساعة متتالية... تبلل خلالها كل شيء وارتفع منسوب النهر بدرجة كبيرة. أرسلت ماركوس وميغيل وبروليو ليقوموا بالبحث عن طريق يؤدي إلى روزيتا. عاد ماركوس، بعد الظهيرة، بعد أن قطع أربعة كيلومترات، وقال لنا إنه عثر على تل أجرد شبيه بذاك الذي نسميه: (البامبا ديل تيغر). إنتي متوعك الصحة، ولا بد أنه قد أكل كثيراً. الإرتفاع: ٧٢٠ (الشروط الجوية غير طبيعية).

١٨ شباط

عيد ميلاد جوزيفينا (٣٣). فشل جزئي، سرنا ببطء مقتفين اثر الرجال المكلفين بشق الطريق وتطهيره من الاعشاب والنباتات. ولكن هؤلاء وصلوا في الساعة الثانية إلى أرض منبسطة... وقد تأخرنا عنهم قليلاً، وفي الساعة الخامسة أقمنا مخيمنا بقرب نقطة للمياه... املاً باجتياز التل في الغد. حمل إلينا مارتوس وتوما انباء سيئة في صباح اليوم التالي: التل كله مليء بالهضاب الشديدة الانحدار التي يستحيل اجتيازها. لم يبق أمامنا من حل سوى العودة أدراجنا. الإرتفاع: ٩٨٠ متراً.

١٩ شباط

يوم ضائع. نزلنا من التل سعياً وراء النهر؛ وحاولنا أن نصعد من هناك، ولكننا اخفقنا إخفاقاً تاماً. أرسلت ميغيل وإنيسيتو في محاولة لتسليق التلال المواجهة لنا والقيام بمحاولة العبور من الجانب الآخر ولكن بدون جدوى. أمضينا نهارنا في انتظارهما، وعندما عادا لم نتقدم قيد أنملة لكون هذه التلال من الطراز الذي يستحيل اجتيازه.

سنحاول في الغد تسلق الهضبة الأخيرة الواقعة وراء النهر في اتجاه الغرب (تقع الهضاب الأخرى إلى الجنوب).
الإرتفاع: ٧٦٠ متراً.

٢٠ شباط

يوم من المسير البطيء، غني بالحوادث: سلك ميغيل وبروليو الطريق القديم في أثر الجدول الصغير الكائن قرب حقل الذرة، وهناك ضلّا طريقهما، ووصلا إلى النهر مع هبوط الظلام. وما كدنا نصل إلى الفرع التالي للنهر حتى أرسلت رولاندو وبومبو في جولة استطلاعية لاستكشاف الهضبة، ولكنهما لم يعودا حتى الساعة الثالثة فتابعنا سيرنا في الطريق الذي سلكه مارتوس، ووصلنا إلى الجدول في الساعة الرابعة والنصف وأقمنا مخيمنا هناك. ولم يعد المستكشفون.
الإرتفاع: ٧٢٠ متراً.

٢١ شباط

تقدمنا ببطء في طريقنا إلى منبع النهر. عاد بومبو ورولاندو وبجعبتهما نبالاً جديداً وهو أن الفرع الآخر للنهر يمكن اجتيازه، وقد استكشفه أيضاً ماركوس، وخرج بنفس النتيجة. انطلقنا في الساعة الحادية عشرة. في حوالي الساعة الواحدة والنصف صادفنا عيون ماء باردة للغاية يستحيل عبورها. أرسلنا لورو للإستطلاع، وغاب فترة طويلة مما دفعني إلى إرسال بروليو وجواكين في أثره. وقد عاد لورو وأنبأنا أن عرض النهر يزداد اتساعاً على مسافة قريبة منا وأنه يصلح للعبور في تلك الأماكن وقد استقر رأينا على مواصلة المسير دون أن ننتظر أخبار جواكين. وفي الساعة السادسة، وعندما كنا نهم بإقامة المخيم، عاد جواكين وقال إن من الممكن تسلق الهضبة الجرداء... وإن هناك ممرات عديدة سالكة.
أصيب إنتي بمرض الغازات، للمرة الثانية، في أسبوع واحد.

الإرتفاع: ٨٦٠

٢٢ شباط

امضينا النهار كله في تسلق تلال وعرة كثيفة الأعشاب. وقد فاجأنا المساء بقدومه قبل أن ننتهي من مهمتنا فأرسلت حينئذ جواكين وبيدرو

بقصد الوصول إلى الهدف وحدهما، ولكنهما عادة في الساعة السابعة وأخبرانا أن تشذيب الطريق من الأشواك والأعشاب يحتاج إلى ثلاث ساعات على الأقل.

الارتفاع: ١١٨٠. وصلنا إلى منابع الجدول الذي يصب في نهر مازيكوري ولكن باتجاه الجنوب.

٢٣ شباط

قضيت يوماً أسود. وكنت أصرف على أسناني طيلة النهار في محاولة لتحمل العناء الشديد. خرج ماركوس وبروليو وتوما في الصباح لتمعيد الطريق، وجلسنا في انتظار عودتهم في المخيم. وفككنا اثناء ذلك رموز رسالة جديدة تقول إن رسالتي وصلتهم عن طريق صندوق البريد الفرنسي. تحرك مركبنا في الظهيرة تحت شمس تكاد تتشقق الصخور لشدة حرارتها حتى أنه كاد يغمى عليّ حين وصلنا إلى أعلى قمة في التل... جررت أقدامي، منذ تلك اللحظة، بقوة الإرادة وحدها. يبلغ الارتفاع الأقصى للتل حوالي ١٤٢٠ متراً ويشرف منها المرء على منطقة واسعة تغطي الريبو غراندي ومصب ناكاهوازو وجزءاً من روزيتا. إن طبوغرافيا المنطقة تختلف عن مظهرها على الخارطة... فبعد خط فاصل واضح تقع العين على سهل مغطى بالأشجار تتراوح مساحته بين ثمانية وعشرة كيلومترات، ويجري في نهايتها نهر روزيتا ثم تنتصب سلسلة من الجبال ارتفاعها ارتفاع الجبال التي نقف فوقها... وفي البعيد يبدو السهل. تقرر أن ننزل من مكان سالك رغم وعورته ونتتبع الجدول الذي يقود إلى ريبو غراندي، من هناك إلى روزيتا. لا يبدو أي أثر للبيت على الضفة خلافاً لما ورد في الخارطة... وقد أقمنا مخيمنا على ارتفاع ٩٠٠ متر بعد مسيرة مضنية في الظلام نفد فيها الماء. فاجأت البارحة صباحاً ماركوس وهو يُسمع أحد الرفاق الكلام الجارح... وقد تكرر سلوكه هذا مع رفيق آخر. يجب أن أتحدث إليه في هذا الشأن.

٢٤ شباط

عيد ميلاد إيرينستيكو (٢)

قضينا يوماً متعباً وشاقاً. كان تقدمنا بطيئاً بسبب نفاد الماء. تبين أن الجدول الذي نسير في محاذاته قد جفت مياهه. استبدلنا مجموعة الرفاق

المكلفة بشق الطريق بمجموعة أخرى في الظهيرة، وذلك بعد أن هُدها التعب. وقد بدأت السماء تمطر في الساعة الثانية بعد الظهر مما أتاح لنا أن نملأ «المطرات». وبعد اجتياز مسافة عثرنا على نبع ماء وفير، وفي حوالي الخامسة، اقمنا المخيم على سفح هضبة قريبة من الماء. استمر ماركوس وأوربانو في استطلاع المنطقة. عاد ماركوس يحمل أنباء أن النهر أصبح على مسافة كيلو مترين فقط وأن الطريق المحاذي للجدول سيء للغاية لأنه سيتحول عما قريب إلى مجرد مستنقع من الأوحال.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

٢٥ شباط

يوم أسود... تقدمنا ببطء شديد، وزاد الطين بلة أن ماركوس ضل طريقه مما سبب لنا ضياع فترة الصباح سدى. كان قد خرج ميغيل ولورو، وفي الظهيرة أخبرنا بحقيقة الأمر، وطلب منا أن نرسل من ينوب مكانه، والاتصال به باللاسلكي. ذهب بروليو وتوما وباشو في أثره، وفي الساعة الثانية، عاد باشو ليخبرنا بأن ماركوس قد أرسله في أثرنا بعد أن ضعف الاتصال باللاسلكي حتى لم يعد مسموعاً. وفي الساعة الرابعة والنصف، أرسلت بينينيو في أثر ماركوس ومعه أمر بإحضاره إلى المخيم إذا لم يتمكن حتى الساعة السادسة من العثور على النهر. حدثني باشو بعد انصراف بينينيو أن نقاشاً عنيفاً قد جرى بينه وبين ماركوس وأن هذا الأخير قد وجه إليه أوامر تعسفية. كما هدهد بمنجله، وضربه على وجهه، وعندما عاد باشو ليقول له إنه لن يستمر في الإرسال، هُدهد ماركوس من جديد، وجرّه من ثيابه حتى تمزقت.

استدعيت حالاً إنتي ورولاندو لاستفسر عن حقيقة هذا الأمر الخطير، فأكدا لي أن جواً خانقاً يسود في صفوف الطليعة بسبب طباع ماركوس، ولكنهما كذّبا بعض اتهامات باشو.

٢٦ شباط

أجريت تحقيقاً في الصباح مع ماركوس، ومع باشو، وخرجت بالنتيجة التالية: وهي أن ماركوس قد وجّه ولا شك الشتائم إلى باشو وأنه أساء معاملته، ولعله هُدهد بالفعل ولكنه لم يضربه.. أما باشو فقد رد عليه بالشتيمة أيضاً واستفزّه. ليست هذه أول مشاجرة تجري بين الرفاق. وقد

انتهزت فرصة اجتماعهم جميعاً لاتحدث إليهم عن مغزى الجهود التي نبذلها في سبيل الوصول إلى روزيتا. وقلت لهم إن هذا النوع من التضحية ليس سوى مقدمة لما يجب عليهم أن يتحملوه... وقد تحدثت إليهم عن بعض الحوادث المخزية التي تجرى في المخيم بسبب عدم التقيد بالإنضباط، وذكرت لهم، على سبيل المثال، ما جرى بين رفيقين كوبيين وقد انتقدت ماركوس لموقفه وحذرت باشو من أن حادثة أخرى من هذا النوع ستكون سبباً في فصله نهائياً من الفصيلة. ذلك لأن باشو لم يحدثني في الحال عن حقيقة الحادث، كما أنه رفض أن يستمر في الإرسال، ومن المرجح، كما اعتقد، أنه كذب بخصوص اللكمات التي وجهها إليه ماركوس.

وقد طلبت من البوليفيين المترددين أن يعلموني حالاً في حال عزمهم على الانسحاب بدلاً من استخدام الوسائل الملتوية... وقلت لهم إنني سوف أعمل في الحال على تلبية طلبهم بدون أية ضجة.

تابعنا المسير في محاولة منا لبلوغ الريو غراندي وتتبع مجراه، وقد تم لنا ذلك واستطعنا أن نرافق النهر أكثر من كيلومتر واحد، ولكننا اضطررنا بعد ذلك إلى تسلق الهضبة إذ لا سبيل إلى عبور النهر من هذا المكان، لسرعة انحداره. بقي بنجامين في المؤخرة بعد أن لاقى بعض الصعوبات في حمل متاعه، وأنهك جسدياً وعندما التحق بنا أصدرت إليه أمراً بمواصلة المسير ففعل وسار نحو ٥٠ متراً ولكنه فقد أثرنا وصعد إلى قمة صخرة مستوية للبحث عنا. وما كدت أصدر أمري إلى أوربانو لإرشاده حتى تعثرت قدمه وسقط في الماء. لم يكن يجيد السباحة وكان التيار قوياً للغاية فجرفه معه. وأسرعنا نحن لنجده ونصل إليه وحاول أن يغطس اختفى في دوار ماء. سبح رولاندو حتى وصل إليه وحاول أن يغطس ولكن التيار حمله إلى البعيد وبعد خمس دقائق فقدنا الأمل في العثور عليه. كان شاباً ضعيف البنية يفتقر إلى المهارة ولكنه كان يتمتع بإرادة عجيبة ويثق في النصر ثقة تامة. كانت التجربة أقوى منه وخانه جسده الضعيف... وهكذا فقد عرفت فصيلتنا عماد الموت على ضفة ريو غراندي وبشكل لا معنى له. أقمنا المخيم في الساعة الخامسة بعد الظهر دون أن نصل إلى روزيتا، وقد تناولنا آخر وجبة لدينا من الفاصوليا.

٢٧ شباط

وصلنا إلى روزيتا بعد يوم مرهق من تتبع النهر وتسلق الصخور. إنه أكبر من نهر ناكاهوازو ولكنه أقل شأناً من ماريكوري كما أن مياهه تميل إلى الاحمرار. تناولنا ما تبقى من احتياطي الطعام. وعلى الرغم من المناطق المأهولة والطرق... فإننا لم نلمس ما يدل على وجود أثر للمياه في جوارنا. الإرتفاع: ٦٠٠

٢٨ شباط

يوم قضيناه في شيء من الراحة وقد تحدثت بعد الإفطار (تناولنا الشاي) معلقاً على موت بنجامين، وأوردت أيضاً بعض الحكايات عن السيرا ماسترا. ثم بدأت بعد ذلك عمليات الاستطلاع: خرج ميغيل وإنتي ولورو لتقصي منبع الروزيتا، وأصدرت أمري إليهم بالمسير طيلة ثلاث ساعات ونصف الساعة اعتقاداً مني أن هذا الوقت يكفي لبلوغ نهر أبابوزيتو ولكن ظني خاب بسبب عدم وجود طريق. كل شيء يبدو موحشاً وليس هناك ما يدل على الحياة. تسلق جواكين وبيدرو الجبال المواجهة لنا ولكنهما لم يعثرا على شيء، ولم يجدا ممراً أو حتى أثراً واحداً لممر قديم. عبر اليخندرو والروبيو النهر فلم يكن حظهما أفضل من حظ رفاقهما، ويبدو أنهما لم يفتشا كما يجب. أشرف ماركوس على بناء طوف ما كاد ينتهي منه حتى بدأنا عملية العبور في منطقة تقع عند منحني النهر. نقلنا أولاً متاع خمسة رجال من بينها متاع ميغيل، بينما بقي ميغيل، وعبر بينينيو بدون متاعه. ومعا زاد الطين بلة أن بينينيو أضاع حذاءه.

فقدنا الطوف الأول ولم نستطع استرجاعه ولم ينته العمل من الطوف الثاني باكراً فاجلنا عملية العبور إلى الغد.

التحليل الشهري

على الرغم من أنني لا أعرف تفاصيل ما يجري في المخيم، فإن كل شيء يسير على ما يرام... هناك طبعاً الاستثناءات التي لا بد منها ومن

بينها ما هو قاتل.

لم تصلني أية أنباء من الخارج بخصوص الرجلين اللذين سيلتحقان بالفصيلة، ولا بد أن يكون الفرنسي الآن في لا باز وقد يصل إلى المخيم بين يوم وآخر. لم تصلني أية أخبار من الأرجنتين أو من الشينو. إن الاتصالات البريدية تسير على ما يرام ولا يزال موقف الحزب متردداً ومزدوجاً.. إن هذا ما يمكن قوله على الرغم من أن هناك نقطة لا بد من استجلائها حينما سأحدث مع الوفد الجديد وقد تكون لها نتائج حاسمة.

كانت المسيرة ناجحة لولا الحادث المؤسف الذي أودى بحياة بنجامين. لا يزال الرجال ضعفاء ولن يستطيع البوليفيون أن يصمدوا جميعهم أمام هذه التجربة. وقد دلت الأيام الأخيرة التي ساد فيها الجوع على فتور الحماسة بين الرفاق لا سيما والانقسامات ما تزال قائمة. أما الكوبيون فإن اثنين منهم قليلا الخبرة، ولم يظهرها الإستجابة المطلوبة وهما باشو وألروبيو... بعكس أليجنדרو الذي أبدى تعاطفاً تاماً. وبالنسبة للقدامي فإن ماركوس لا يزال مصدر انشغال دائم كما أن ريكاردو لا يؤدي واجبه على الوجه المطلوب.

ستكون المرحلة المقبلة مرحلة القتال، وبالتالي حاسمة.

آذار ١٩٦٧

١ آذار

بدأت السماء تمطر في السادسة صباحاً فاضطررنا إلى تأجيل عملية العبور حتى يتوقف المطر ولكنه ضاعف من حدته واستمر حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر مما رفع منسوب النهر وأجبرنا على الروية والانتظار. وقد تضخم النهر كثيراً ولا يبدو أن منسوبه سينخفض عما قريب. لجأت إلى كوخ مهجور لاتقاء شر المطر، وهناك نصبت مخيماً جديداً. بقي جواكين في مكانه...وعند حلول المساء، وصلتني أنباء تقول أن بولو قد أخذ نصيبه من الحليب وأن أوسيبينو قد أخذ نصيبه من الحليب والسردين معاً بدون إذن. وقد عاقبتهما بحرمانهما من الطعام إذا كان الحليب والسردين ضمن لاثحتهما. إنها بادرة سيئة.

٢ آذار

إنهمرت الأمطار منذ طلوع النهار، وفقد الرجال قدرتهم على الاحتمال من شدة الإنهاك، بدءاً بي أنا. ما تزال مياه النهر مرتفعة، وقد استقر رأينا على إخلاء المخيم بمجرد توقف الأمطار، ومواصلة السير في محاذاة النهر

على نفس الطريق الذي جئنا منه. إنطلقنا، في الظهيرة، بعد أن جمعنا مؤونة طيبة من ثمار الكوروجوس، ولكننا توقفنا في الساعة الرابعة والنصف، بعد أن غيّرنا الطريق، لنختبر درباً قديماً لم نتبين نهايته. لم تصلنا أخبار من الطليعة.

٣ آذار

بدأنا المسير بحماسة كبيرة، وبخطى كبيرة، ولكننا اعتدلنا مع مرور الساعات، وقد اضطررنا إلى تغيير الطريق المؤدي إلى السفح خشية أن تتكرر حادثة بنجامين في المنطقة التي سقط فيها في النهر. قطعنا المسافة في أربع ساعات وهي نفس المسافة التي قطعناها في أقل من نصف ساعة، ووصلنا في الساعة السادسة إلى نهاية الجدول وأقمنا مخيماً هناك... لم يبق معنا سوى اثنتين من جوز الهند، فخرج ميغيل وأوربانو وبروليو سعيّاً وراءها في البعيد وقد عادوا في التاسعة مساءً. تناولنا الطعام نحو منتصف الليل، وقد هذانّا جوعنا بثمار جوز الهند والكوروجوس (ويدعى توتاي في بوليفيا).

٤ آذار

خرج ميغيل وأوربانو في الصباح، وبقياً طيلة النهار في استكشاف المنطقة، ولم يعودا قبل السادسة مساءً. وقد قطعنا خمسة كيلومترات وعثرا على سهل منبسّط يمكن التقدم فيه ولكنه لا يصلح لإقامة المخيم. وهكذا، فقد قررنا البقاء في مكاننا إلى حين تمهيد مسافة أطول من الطريق. قتل الصيادون قردين صغيرين وبيغاء وحمامة أكلناها كلها إلى جانب جوز الهند المنتشرة في هذه المنطقة.

المعنويات ضعيفة والتعب أنك أجسادنا، وأنا أشكو من بداية ارتشاح في ساقِي.

٥ آذار

خرج جواكين وبروليو لتمهيد الطريق تحت المطر، ولكنهما لم يحرزا تقدماً يذكر نظراً لضعفهما. قطعنا ١٢ جوزه هند واصطدنا بعض العصافير فأكلناها لنوفر علب الطعام المحفوظ ليوم آخر كما احتفظنا ببعض حبات جوز الهند.

٦ آذار

يوم من المسير المتقطع حتى الساعة الخامسة بعد الظهر. قام ميغيل وأوربانو وتوما بتمهيد الطريق، وقد تقدمنا قليلاً وأبصرنا في البعيد بعض الهضاب التي تلوح وكأنها هضاب ناكاهوازو. لم نصطد سوى ببغاء صغير وقد أعطيناه لرجال المؤخرة. تألف طعامنا اليوم من جوز الهند، ومن بعض اللحم. لا يزال لدينا احتياطي من الطعام يكفي لثلاث وجبات هزيلة.

٧ آذار

مرت أربعة شهور وتسرب اليأس إلى نفوس الرجال على اثر نفاد المؤن وعدم الوصول إلى نهاية الطريق. اجتزنا اليوم من أربعة إلى خمسة كيلومترات على طرف النهر، وانتهى بنا المطاف إلى درب يبشر بالخير. تألف طعامنا من ثلاثة عصافير صغيرة ومن بقية جوز الهند. لم يبق أمامنا للغد سوى المعلبات، معلبة واحدة لكل ثلاثة رفاق يأكلونها على يومين، ثم يجيء دور معلبات الحليب. لا يزال أمامنا يومان أو ثلاثة لبلوغ ناكاهوازو.

٨ آذار

قطعنا مسافة قصيرة في هذا اليوم المشحون بالمفاجآت والتوتر. غادرنا المخيم في الساعة الثانية صباحاً دون أن ننتظر رولاندو الذي خرج للصيد. ولم نمش سوى ساعة ونصف الساعة حتى التقينا برفاقنا الذين يمهدون الطريق بزملائهم الذين خرجوا للصيد (أوربانو، ميغيل، توما - الطبيب وشنشو على التوالي)... كان بحوزتهم الكثير من الببغاوات وقد عثروا على ينبوع ماء وتوقفوا في جواره. ذهبت لاستطلع المكان بعد أن أصدرت تعليماتي باقامة المخيم ورأيت هناك محطة لضخ النفط. ألقى إنتي وريكاردو بنفسيهما في الماء، وكان عليهما أن يتظاهرا بأنهما من الصيادين. وقد اندفعا إلى الماء بكامل ثيابهما ولكن إنتي أوشك على الغرق وقد ساعده ريكاردو. وبلغا في النهاية الضفة الأخرى واسترعيا انتباه جميع الناس. وقد اختلفوا عن الانظار دون أن يعطيا إشارة الخطر المتفق عليها. لقد عبرا النهر في الظهيرة، ودقت الساعة الثالثة والرابع ولم يعودا.

انتظرت طيلة بعد الظهر... بدون جدوى. وقد انسحبت آخر مجموعة للحراسة في الساعة التاسعة دون أن تظهر أية بادرة تشير إلى أنهما على قيد الحياة.

استبد بي القلق الشديد... فقد تعرض رفيقان شجاعان للمخاطر، ونحن هنا لا نعرف ما حل بهما. استقر رأيي على أن يقوم غداً اليجنדרو ورولان دو وهما من أفضل السباحين باجتياز النهر سعيّاً وراء الرفيقين. طعامنا أفضل من طعام الأيام الأخيرة المنصرمة على الرغم من النقص في جوز الهند لأن ما اصطاده الرفاق من الببغاوات إلى جانب القردين اللذين قتلها ريكارو، كان وافراً.

٩ آذار

بدانا عبور النهر منذ الصباح الباكر.. استغرق بنا الطوف، فترة طويلة، وأعلن رجال الحراسة أنهم شاهدوا على الجانب الآخر، أناساً نصف عراة... كانت الساعة حينذاك تشير إلى الثامنة والنصف فأجلنا المحاولة. قطعنا جزءاً من الطريق المتجه إلى الجانب الآخر، ووصلنا إلى مكان مكشوف يتيح لرفيقينا أن يشاهدانا، ولذا كان علينا أن نبداً بالعبور باكراً جداً وقبل أن ينحسر ضباب النهر.

في حوالي الساعة الرابعة وبعد ترصّد طويل ومُنْهَك جاء دوري فيه منذ الساعة العاشرة والنصف، القى رجال التموين (إنتي وشنشو) بنفسيهما في الماء ووصلوا إلى سافلة النهر وقد أحضرا معهما خنزيراً وخبزاً وأرزاً وسكراً وقهوة وبعض المعلبات والذرة... أقمنا وليمة قوامها القهوة والخبز. وسمح للحاضرين باستهلاك علبة الحليب المجفف التي كنا نحفظ بها كاحتياطي.

شرح لنا الرفاق أنهم قد تناوبوا الخروج في كل ساعة حتى نتمكن من رؤيتهم ولكننا لم نشاهد أحداً من جانبنا. ويبدو أن ماركوس ورجاله قد مروا من هنا منذ ثلاثة أيام وأن ماركوس قد ارتكب أعمالاً جنونية منها إظهار السلاح. ليس لدى المهندسين العاملين في حقول النفط أية فكرة عن المسافة التي تفصلهم عن ناكاهوازو ولكنهم يعتقدون أنها تستغرق خمسة أيام من المسير، وهذا يعني أن لدينا من الطعام ما يكفي للرحلة. أما المضخة فهي تابعة لمحطة ضخ قيد الإنجاز.

١٠ آذار

انطلقنا في الساعة السادسة والنصف. وسرنا حوالي ٤٥ دقيقة إلى أن التقينا برفاقنا الذين يمهدون الطريق. بدأت السماء تمطر في الساعة الثامنة، ودام ذلك حتى الساعة الحادية عشرة. لقد مشينا في الحقيقة ثلاث ساعات، ونصبنا المخيم في حوالي الخامسة. هناك بعض الهضاب البادية للعين، ويبدو أنها هضاب ناكاهوازو. خرج بروليو للاستكشاف ثم عاد ليخبرنا بأنه اكتشف طريقاً وبأن النهر يجري باتجاه الغرب في خط مستقيم.

١١ آذار

بدأنا يومنا ببعض الدلائل المشجعة. سرنا أكثر من ساعة في طريق مثالي ثم ضاع منا فجأة.

خرج بروليو للاستكشاف وتمهيد الطريق وقد باشر عمله بصعوبة كبيرة، وانتهى به المطاف إلى الشاطئ. وقد أفسحت له مزيداً من الوقت لفتح الطريق بمساعدة أوربالو. وما كدنا نهمّ بالمسير حتى ارتفع منسوب النهر نحو المترين وقطع علينا خطة المسير.

إنقطع الاتصال بيننا وبين رفاق الطليعة، واضطررنا إلى التوجه عبر الغابات. توقفنا في الساعة الواحدة والنصف، وأرسلت ميغيل وتوما للحاق بالطليعة وإبلاغهم بضرورة العودة إن لم يكونوا قد عثروا على ناكاهوازو أو على مكان ملائم آخر. عادوا في الساعة السادسة بعد أن قطعوا ثلاثة كيلومترات واصطدموا بإحدى الهضاب الشديدة الانحدار. يبدو أننا على وشك بلوغ غايتنا ولكن الأيام الأخيرة ستكون قاسية إذا لم ينخفض منسوب النهر وهو أمر لا نتوقعه. لقد قطعنا ٤٥ كيلو متراً.

حدث نقص في السكر لدى حرس المؤخرة، وقد تساءل الرفاق إن كان ذلك ناجماً عن تلاعب بروليو أم أن نصيبهم المعهود لم يكن كاملاً. يجب أن اتحدث معه، فهذا أمر مؤسف حقاً.

١٢ آذار

قطعنا في مدة ساعة وعشر دقائق المسافة التي اكتشفناها البارحة، وحين وصلنا كان ميغيل وتوما قد استبقانا في محاولة لتجنب هضبة شديدة الانحدار. دامت محاولتهما طيلة النهار، بينما انصرفنا نحن إلى

الصيد... كانت حصيلتنا أربعة عصافير صغيرة أكلناها مع الأرض. لا يزال عندنا احتياطي من الطعام يكفي لوجبتين فقط. بقي ميغيل في الجانب الآخر، ويبدو أنه وجد طريقاً إلى ناكاهوازو. اجتزنا اليوم من ثلاثة إلى أربعة كيلومترات.

١٣ آذار

تسلقنا بين الساعة السادسة والنصف وبين الظهيرة جبلاً مخيفة متتبعين بذلك الطريق الذي اكتشفه ميغيل... إنه لعمل عملاق. كنا نعتقد أننا وصلنا إلى ناكاهوازو حين التقينا ببعض الممرات الوعرة فلم نتقدم إلا النذر اليسير في مدة خمس ساعات. أقمنا المخيم تحت وابل معتدل من المطر، حوالي الساعة الخامسة... كان التعب قد نال من الرفاق كما كانت روحهم المعنوية ضعيفة. بقي لدينا ما يكفي لوجبة واحدة... قطعنا قرابة ستة كيلومترات. بدون فائدة تذكر.

١٤ آذار ١٩٦٧

وصلنا إلى ناكاهوازو، دون أن نلاحظ، (كنت - ولا زلت - متعباً كما لو أن صخراً قد سقط عليّ). النهر هائج، ولسنا في حالة تسمح لنا أن نحاول عبوره، لكن رولاندو اقترح نفسه كمتطوع، وعبر النهر بسهولة ليتابع طريقه إلى القاعدة في تمام الساعة ١٥,٢٠. أمل أن يصلها خلال يومين.

أكلنا وجبتنا الأخيرة، مع اللحم، والآن يتوقف طعامنا على الصيد. في الساعة التي أكتب هذه الملاحظات سمعنا طلقتين، وحصلنا على عصفور صغير. الصيادان كانا إنتي والطبيب.

سمعنا مقتطفات من خطاب فيديل الذي أُنْب فيه بقساوة الشيوعيين الفنزويليين، وبقوة موقف الاتحاد السوفياتي من المهرجين الأميركيين.

١٥ آذار

عبرت القوة الرئيسية النهر باستثناء الروبيو والطبيب اللذين بقيا لمساعدتنا، وكنا نأمل أن نصل إلى منبع ناكاهوازو ولكننا اصطحبنا معنا ثلاثة رجال لا يجيدون السباحة ثم إننا كنا مثقلين بالأمثلة. جرفنا التيار مسافة كيلو متر واحد ولم يعد الطوف صالحاً للعبور فبقينا نحن (١١)

رجلاً) على هذا الجانب من النهر وسنعيد الكرة غداً لنقل الطبيب والروبيو. اصطدنا أربعة بواشق، وتناولنا بذلك عشاء أفضل مما كنا نتوقع. لقد ابتلت كل حاجياتنا ولا يزال الطقس رطباً. أما معنويات الرجال فضعيفة. التهب قدما ميغيل وهناك عدد آخر من الرجال يشكون من الحالة نفسها.

١٦ آذار

إتخذنا قراراً بأكل الحصان بعد أن تورمت أقدام الرفاق. إن ميغيل وإنتي وأوربانو واليجندرو يعانون نفس الأعراض، أما أنا فقد أصبحت ضعيفاً للغاية. لقد أخطأنا التقدير حين تصورنا أن جواكين يستطيع عبور النهر... وقد حاول الروبيو والطبيب عبور النهر بمساعدتنا ولكن التيار حملهما إلى الساقلة ثم ما لبثا أن اختفيا عن النظر. طلب جواكين السماح له باجتياز النهر ولكنه أضاعهما بدوره. وقد أرسلت بومبو وتوما في أثرهما أيضاً فلم يجدهما وعادا في المساء. أقمنا وليمة قوامها لحم الحصان، وسنرى غداً نتائجها... اعتقد أن رولاندو قد وصل اليوم إلى المخيم. استطعنا أن ن فك كلياً رموز الرسالة رقم ٢٢ التي تنبئنا بوصول بوليفي جاء للإلتحاق بنا وبارسال كمية من الغلوكانتين المضادة للطفيليات (ليزيمانيا) وهذه هي المرة الأولى التي نتسلم فيها مثل هذه الأشياء.

١٧ آذار

حدثت مأساة أخرى قبل بدء القتال: فقد وصل جواكين عند الضحى، وكان ميغيل وتوما قد توجهوا للبحث عنه ومعهما مؤونة من اللحم... كانت الرحلة صعبة للغاية... لم يتمكننا من السيطرة على الطوف الذي جرفه التيار إلى أن أخذ في دوامة مما أدى إلى انقلابه عدة مرات. نجم عن ذلك فقدان متاع ستة أشخاص ومعظم الذخيرة تقريباً، وكذلك ست بنادق ورجل واحد: كارلوس. فقد أخذ هذا الأخير في الدوامة مع بروليو ولكن بروليو نجح في بلوغ الضفة وشاهد من هناك كارلوس مستسلماً لتيار النهر دون أن يبدي أية مقاومة. وكان جواكين قد توجه مع جميع رجاله عبر تلك النقطة فلم يروا أحداً منهم.. لقد كان حتى الآن من أفضل الرجال البوليفيين العاملين في حرس المؤخرة نظراً لجديته وانضباطيه وحماسه. أما الأسلحة المفقودة فهي: برنو واحد (لبروليو) وبندقيتان م - ١

لكارلوس وبيدرو وثلاث بنادق موزر لابليل وأوزيبو وبولو. قال جواكين إنه رأى الروبيو والطبيب على الجانب الآخر، وأنه قد أصدر إليهما أمراً بصنع طوف صغير والعودة إلى المخيم. وقد ظهرا في حوالي الساعة الثانية بعد مغامرات عديدة وشبه عاريين... أما الروبيو فقد أضاع حذاءه. ويبدو أن الطوف قد انهار عند أول دوامة... فسبحا حتى وصلا إلى المكان الذي خرجنا منه تقريباً.

تحدد موعد الانطلاق في الغد الباكر... أما جواكين فسوف يلحق بنا في الظهيرة... وإنني لاتوقع اخباراً جديدة خلال نهار الغد. تبدو معنويات رجال جواكين مرتفعة.

١٨ آذار

إنطلقنا باكراً وتركنا جواكين مستسلماً للقليلة بعد أن التهم نصيبه من لحم الحصان، ومعه أوامر مشددة بأن يلحق بنا حالما يستعيد قواه. وقد كافحت بكل قواي للاحتفاظ ببعض الاحتياطي من اللحم، مخالفاً بذلك رأي أولئك الذين يريدون التهام الحصان كله. تأخر ريكاردو وإنني وأوربانو عن موعد عودتهم الصباحية، واضطررنا إلى انتظارهم خلافاً لاقتراحي بالاستراحة في المخيم الذي كنا قد انطلقنا منه ساعة الصفر. وعلى أية حال نحن نتقدم ببطء. عاد أوربانو في الساعة الثانية والنصف يجر وراءه غزلاً أصطاده ريكاردو... وهذا ما سيتيح لنا أن نتناول مزيداً من الطعام وادخار بعض لحم الحصان للأيام المقبلة. وصلنا في الساعة الرابعة والنصف إلى مكان لقضاء فترة من الراحة ولكننا نمنا هناك. يبدو أن بيننا بعض المتباطئين والمتأقلين ممن ساءت طباعهم مثل شنشو وأوربانو واليخندرو.

١٩ آذار

إنطلقنا في الصباح الباكر وقطعنا مسافة طويلة ثم توقفنا في الساعة الحادية عشرة... كما هو متفق عليه. تأخر ريكاردو وأوربانو مرة أخرى... كما تأخر اليخندرو أيضاً. وقد وصلوا جميعهم في الساعة الواحدة ظهراً بعد أن اصطادوا غزلاً، وكان جواكين معهم. أدى تبادل بعض الالفاظ النابية بين جواكين والروبيو إلى صدام بينهما وقد تدخلت في الحال موجهاً اللوم الشديد إلى الروبيو قبل أن أتأكد من أنه المذنب حقاً.

إتخذت قراراً بمتابعة المسير نحو الجدول مهما كانت الأحوال، ولكن طائفة حلفت في المنطقة وهذا ما يبشر بالخير... ثم إن انقطاع أخبار القاعدة أثار في نفسي مزيداً من القلق. وكنت أعتقد أن الطريق أطول مما كان في الحقيقة، ولكننا وصلنا في الساعة السابعة والنصف رغم تلكوة الرجال وارتخائهم. استقبلنا الطبيب البيروني، النيفرو، وكان قد وصل مع أنشينو وخبير الراديو... وأخبرنا أن بينينيوي في انتظارنا على العشاء وأن رجلين من مجموعة غيفارا قد هربا وأن رجال البوليس داهموا المزرعة. وذكر لنا بينينيوي أنه خرج للقائنا بكميات من الأغذية، وأنه صادف في طريقه رولاندو منذ ثلاثة أيام وأنه يقيم هنا منذ يومين، ولم يجرؤ على مواصلة المسير أمام احتمال تقدم الجيش من جهة النهر... لا سيما أن الطائفة الصغيرة تجوب المنطقة منذ ثلاثة أيام، وقد شهد النيفرو حادثة مدامة المزرعة التي قام بها ستة من رجال الشرطة ولم يكن أنطونيو أو كوكو هناك لأن الأخير قد ذهب إلى كاميري لإحضار مجموعة جديدة من رجال غيفارا بينما خرج أنطونيو ليبلغ عن فرار بعض المتطوعين. تلقت تقريراً طويلاً من ماركوس (د/ ٨) يتضمن وصف مغامراته على طريقته الخاصة، فقد ذهبت إلى المزرعة مخالفاً تعليماتي كما تلقت تقريرين من أنطونيو يشرح فيهما الموقف (د/ ٩ ود/ ١٠).

وصل الفرنسي إلى القاعدة وكذلك الشينو ورفاقه، والبلادو وتانيا وغيفارا مع أول مجموعة من رجاله. خرج ميغيل بعد أن تناول طعاماً دسماً يتألف من الأرز والفاصولياء السوداء ولحم الغزال، في أثر جواكين الذي لم يتمكن، كما يبدو، من العثور على باشو، المتناقل في الطريق مرة أخرى. وقد عاد مع ريكاردو ووصل جواكين في الصباح... وهكذا اجتمع شملنا.

٢٠ آذار

إنطلقنا في الساعة العاشرة بخطى بطيئة، وتقدمنا بينينيوي والنيفرو ومعهما رسالة إلى ماركوس تتضمن تعليمات بأن يتكفل بشؤون الدفاع ويترك الشؤون الإدارية إلى أنطونيو. انصرف جواكين دونما عجلة من أمره بعد أن أزال آثارنا من مدخل الطريق المؤدي إلى الجدول. وكان يصحبه ثلاثة رفاق حفاة... وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، وبينما كنا ننعم

بقيولة طويلة، ظهر باشو ومعه رسالة من ماركوس. كان تقريره مطابقاً لتقرير بينينيو. ويبدو أن الأمور قد تعقدت لأن الجند اتخذوا مواقعهم على طريق فاله غراندي وكان عددهم ستين جندياً، وقد اعتقلوا أحد مراسلينا ويدعى سالوستريو وهو من رجال غيفارا كما استولوا على أحد بغالنا... وعلى سيارة الجيب. لم تصلنا أخبار من لورو الذي كلف بحراسة الكوخ... قررنا أن نصل مهما كانت الظروف إلى معسكر الدب كما أصبح اسمه الآن بعد أن قتل فيه أحد هذه الحيوانات. أرسلنا ميغيل وأوربانو لإعداد عشاء للرجال الجياع ووصلنا مع هبوط المساء. وكان هناك في المخيم كل من دانتون والبيلاو والشينو بالإضافة إلى تانيا وجماعة من البوليفيين الذين يعملون في نقل المؤن وأدوات المخيم. وكان رولاندو قد أرسل لتنظيم عملية الانسحاب ونقل الأشياء الضرورية فبدأ المخيم في حالة من الفوضى التامة.

وصل بعد ذلك بقليل طبيب بوليفي تطوع حديثاً وكان يحمل معه رسالة إلى رولاندو تقول إن ماركوس وأنطونيو قد ينتظرانه عند نقطة قرب المياه. وقد أبلغتهما مع الرسول نفسه أن الحرب تُكسب في المعركة وأن عليهما الانسحاب حالاً إلى المخيم وانتظار قدومي. كل شيء يوحي بفراغ رهيب... إنهم لا يعملون ما يجب عمله.

عقدت حديثاً أولاً مع الشينو. إنه يطلب ٥٠٠٠ دولار شهرياً لمدة عشرة أشهر متتالية وقد أعلم في هافانا أن عليه أن يتفق معي. وحمل معه رسالة لم يستطع أرتورو أن يفك رموزها لكونها طويلة. أخبرته بموافقتي المبدئية على طلبه، على أن يلتحق بالحرب خلال ستة أشهر. قال إنه سيتفرغ لمنطقة أياكوشو على رأس مجموعة تتألف من ١٥ رجلاً وقد اتفقنا بالإضافة إلى ذلك أن يتسلم حالاً خمسة رجال ثم ١٥ رجلاً في وقت لاحق مع كامل أسلحتهم وبعد تدريبهم على القتال. ووعد بأن يرسل إليّ جهازاً إرسال متوسطي المدى (٤٠ ميلاً). وسوف نعمل على وضع شيفرة خاصة بنا بحيث نبقى على اتصال دائم. إنه يبدو في غاية الحماسة. وقد حمل معه أيضاً كمية من المعلومات عن رودولفو، كلها قديم. علمنا بأن لورو قد عاد وبأنه قتل جندياً كما يقول.

قضيت النهار في تبادل الحديث مع الشينو واستيضاح بعض النقاط مع الفرنسي والبيلاو وتانيا. حمل الفرنسي بعض الأنباء القديمة عن مونجي وكولي وسيمون ريس... قال إنه جاء بقصد البقاء ولكنني طلبت إليه أن يعود إلى فرنسا لينظم هناك شبكة تأييد للثورة... وعرضت عليه أن يزور كوبا في طريقه، وكنت أعلم أن ذلك يتفق مع رغبته لأنه يريد الزواج من رفيقته وإنجاب طفل. عليّ أن أكتب رسالة إلى سارتر وإلى برتراند راسل لأطلب منهما تنظيم حملة تبرع دولية لصالح حركة التحرر البوليفية. وقد عهدت إلى الفرنسي بالتحدث مع صديق لي يتولى تنظيم كل ما يمت بصلة إلى المساعدة: وبشكل أساسي المال والأدوية والمعدات الاليكترونية وأعني بذلك إرسال مهندس اليكتروني ومعدات مناسبة.

أعرب البيلاو عن استعداده للعمل تحت إمرتي، ولكنني اقترحت عليه، في الوقت الحاضر، أن يتولى تنسيق الاتصالات مع جماعات جوزامي وجيلمان وستيمبوني... كما طلبت منه أن يرسل خمسة رجال للتدرب معنا على القتال. وقد حملته سلاماً لماريا روزا أوليفر والعجوز، وكذلك مبلغ ٥٠٠ بيزوس، كما أعطيته مائة أخرى لتنقلاته... فإذا وافقنا على العمل هنا فإن عليهما جس النبض في شمال الأرجنتين وتقديم تقرير عن النتائج التي يتوصلان إليها. تولّت تانيا تنظيم الاتصالات بالرجال، ويبدو أنهم لبوا دعوتها ولكنهم اضطروا إلى السفر في سيارة جيب ليقضوا يوماً هنا، بيد أن الأمور تعقدت. لم يستطع جوزامي أن يمكث في المرة الأولى كما لم يتمكن في المرة الثانية من إجراء أي اتصال بسبب غياب تانيا. إنها تتحدث عن إيفان بنوع من الاحتقار ولا أعلم السبب الحقيقي الذي يدفعها لاتخاذ مثل هذا الموقف. تلقينا كشفاً بحسابات لويولا حتى التاسع من شباط: ١٥٠٠ دولار. وقد تحدثت أيضاً عن خلافها مع قيادة الشبيبة كما حمل إليّ البريد تقريرين من إيفان: الأول عادي ويتضمن صوراً لمدرسة عسكرية، والآخر أيضاً لا أهمية له ويتضمن بعض المعلومات. وكان أهم ما جاء في تقريره أنه لا يستطيع أن يفك رموز رسائل الشيفرة (د/ ١٣). وصلني تقرير من أنطونيو وفيه يحاول تبرير موقفه. جاء في أحد أنباء الإذاعة أنهم اكتشفوا جندياً مقتولاً ثم سرعان ما كُذّب هذا الخبر، وأعتقد

أن ما قاله لورو صحيح.

٢٢ آذار

في (١)... أخيلينا المخيم وفيه بعض الطعام الذي لم نستطع إخفائه (). وصلنا إلى أسفل المخيم في الظهيرة وشكلنا مجموعة من ٤٧ رجلاً بمن فيهم الزوار وحين وصل إنتي عرض عليّ عدداً من الأخطاء التي ارتكبتها ماركوس. غضبت غضباً شديداً وقلت لماركوس إنه سيفصل من المجموعة إذا كان ما يقوله إنتي صحيحاً ورد عليّ أنه يفضل أنذاك أن يموت رمياً بالرصاص.

أمرت بنصب كمين من خمسة رجال في أسفل النهر، وكلفت مجموعة أخرى بمهمة استطلاعية تحت قيادة أنطونيو وعضوية ميغيل ولورو. قام باشو بمهمة الرصد في الهضبة الجرداء التي تشرف على بيت أرغاناراز ولكنه لم يلحظ شيئاً. وفي المساء، عاد رجال مجموعة الاستطلاع خلافاً للأمر الصادر إليهم فاستقبلتهم بتعنيف شديد. وقد انفعل لورو بشدة ونفى التهم الموجهة إليه... ولم يثمر الاجتماع الذي عقد... كان عاصفاً وسابقاً لأوانه. لست واثقاً على الإطلاق من أن الأمور قد جرت كما وصفها ماركوس. أرسلت في طلب رولاندو لمعرفة عدد المتطوعين الجدد وكيفية توزيعهم بعد أن تبين أن هناك ٣٠ رجلاً في مجموعة الوسط فتك بهم الجوع.

٢٣ آذار

يوم من الأعمال الحربية. أراد بومبو تنظيم «غوندولاء» لنقل بعض الحاجيات من المخيم القديم ولكنني عارضت هذا المشروع إلى ما بعد البث في مسألة استبدال ماركوس. وصل كوكو مسرعاً بعد الساعة الثامنة بقليل يحمل أنباء وقوع سرية من الجيش في الكمين المعد لها. وكانت النتيجة النهائية حتى هذه اللحظة: ٣ مدافع مورتر من عيار ٦٠ ملميتراً، ١٦ بندقية موزر، ٣ بنادق بي. س. ا. س، رشيش عيار ٣٠، جهازا راديو، وعدد من الأحذية... إلى جانب ٧ قتلى و١٤ أسيراً في حالة جيدة و٤

(١) يشير الفراغ إلى فقرة غير واضحة في النص الأصلي.

جرحى... ولكننا لم نتمكن من الحصول على أية مواد غذائية وقد وقعت في ايدينا خطة العمليات التي تتضمن التقدم من طرفي ناكاهوازو والالتقاء عند وسطه. نقلنا الرجال بسرعة إلى الجانب الآخر ووضعت ماركوس ورجال الطليعة عند نهاية طريق المناورات بينما بقي حرس المؤخرة ومجموعة الوسط للدفاع، وكلّف بروليو بنصب كمين عند نهاية الطريق الآخر للمناورات. سنقضي الليل على هذا الشكل لنرى إذا كان الجنود (المشاهير) سيظهرون غداً في الميدان أم لا، وقد أجاب ضابطان برتبة ميجور وكابتن كالبيغاوات حينما وجهت إليهما الاسئلة.

فككنا رموز رسالة حملها إليّ الشينو. تتحدث الرسالة عن سفر دوبريه وإرسال الـ ٦٠٠٠٠ (دولار) وعن مطالب الشينو كما تشرح لنا سبب انقطاعهم عن الكتابة إلى إيفان. تلقيت أيضاً رسالة من سانشيه تتضمن معلومات عن إمكان انتقال ميتو إلى بعض الاماكن.

٢٤ آذار

الغنائم النهائية هي التالية: ١٦ بندقية موزر، ٣ مدافع مورتير مع ٦٤ قذيفة، ٢ ب ز، ٢٠٠٠ رصاصة موزر، ٣ ي. س. ا. س مع مخزونين لكل واحد، رشيش عيار ٣٠ مع حزامين من الرصاص، هناك: ٧ قتلى و١٤ أسيراً من بينهم ٤ جرحى. أرسلت ماركوس في مهمة استطلاعية ولكنه عاد بدون أن يجد شيئاً. تقوم الطائرات الآن بقصف بيتنا الصغير. أرسلت إنتي للتحديث، للمرة الأخيرة، مع الاسرى وإطلاق سراحهم بعد تجريدهم من ثيابهم العسكرية ومن كل ما يمكن الاستفادة منه. أما الضابطان فقد اخلي سبيلهما مع كامل ثيابهما... بعد أن تم استجوابهما على انفراد. قلت للميجور إنني سأسمح له بنقل القتلى من جنوده حتى ظهيرة السابع والعشرين، وعرضت عليه عقد هدنة تشمل منطقة لاغونيلاس إذا بقي في هذه المنطقة ولكنه أجاب أنه سيستقيل من الجيش. وقال الكابتن إنه قد عاد إلى الجيش منذ سنة فقط تلبية لطلب رجال الحزب وإن له شقيقاً يتابع دراسته في كوبا وقد أعطانا بالإضافة إلى ذلك اسم ضابطين في الجيش قال إنهما مستعدان للتعاون معنا. وعندما شرعت الطائرات بقصف مراكزنا، أصيبا بذعر لا مثيل له.. وقد ذعر أيضاً اثنان من رجالنا: راوول ووالتر

الذي لم يظهر شجاعة كبرى أثناء الكمين.
استطلع ماركوس المنطقة ولم يعثر على أحد فيها، وخرج ناتو وكوكو
مع المتطوعين «المتريدين» للقيام «بغوندولا» ولكنهما اضطرا إلى إعادتهم
بعد أن رفضوا المسير. يجب تسريحهم.

٢٥ آذار

إنقضى النهار بدون أي جديد. أرسلت أوريانو وأرتورو للرصد في
مكان يشرف على المنافذ المؤدية إلى جانبي النهر. وفي الظهيرة انسحب
ماركوس من موقعه، واجتشدوا جميعاً في مكان الكمين الرئيسي. وفي
الساعة السادسة والنصف جمعت الرفاق وقمت بعرض تحليلي للرحلة التي
قطعناها... وشرحت مغزاها وعرضت أخطاء ماركوس، وعزلته من منصبه،
وعينت ميغيل رئيساً لرجال الطليعة. وأعلنت في الوقت نفسه عن تسريح
باكو وبيب وشنغولو وأوزيبو وأخبرت هؤلاء أن الطعام لن يقدم لهم بعد
الآن ما لم يؤديوا الأعمال المطلوبة منهم كما أخبرتهم أن نصيبهم من
التبغ لن يؤول إليهم بعد اليوم، وأنني سأعمل على توزيع حاجياتهم
الشخصية على رفاق أشد عوزاً منهم. وقد لمحت بشكل عابر إلى مشروع
كولي الذي يريد المجيء وفتح الحوار معنا... في الوقت الذي يُفصل فيه
عدد من أعضاء الشبيبة الموجودين معنا. قلت لهم إن الحقائق وحدها هي
التي تهتم... أما الكلام الذي لا يتفق مع الحقائق فلا فائدة منه. وأخبرتهم
بالمساعي المبذولة لإيجاد البقرة وكذلك بانتظام الدراسة من جديد.

تحدثت مع بيدرو والطبيب وامتدحتهما كمحاربين ممتازين.. وامتدحت
أيضاً أبولينار وشجعته. كما وجهت الانتقادات إلى والتر لتخاذله أثناء
الرحلة ولمته على موقفه في القتال وما أبداه من خوف أمام قصف
الطائرات. لم تكن ردة فعله جيدة.

استوضحت بعض التفاصيل من الشينو والبلادو، وقمت بعرض شفهي
طويل للفرنسي عن الوضع.

وقد أطلقنا أثناء الاجتماع على مجموعتنا اسم جيش التحرير الوطني
البوليفي (سنذيع بلاغاً بشأن هذا الاجتماع).

٢٦ آذار

خرج إنتي باكراً بصحبة انطونيو وراوول وبيدرو للبحث عن بقرة في

منطقة نيكوشا وقد صادفوا في الطريق قوات عسكرية على بعد ثلاث ساعات من مواقعنا، وعادوا حالاً قبل أن يراهم الجنود. وقالوا إن هؤلاء قد أقاموا مركزاً للحراسة على هضبة جرداء، وإنهم شوهدوا في منزل يلمع سقفه تحت أشعة الشمس... وراوا بام أعينهم ثمانية رجال يخرجون من هذا البيت. يبدو أنهم منتشرون في المناطق المجاورة للنهر الذي يسميه (ياكي). تحدثت مع ماركوس وأرسلته إلى حرس المؤخرة... لا أعتقد أن سلوكه قد تحسن كثيراً.

قمنا بتجهيز «غوندولا» صغيرة، كما قمنا بالحراسة الاعتيادية. وشاهد الرفاق من مرصدهم المجاور لارغاناراز ثلاثين إلى أربعين جندياً وطائرة هليكوبتر تحط على الأرض.

٢٧ آذار

انفجر النبا اليوم كالعاصفة وشغل اهتمام الإذاعة كما أثار كمية من البلاغات، وحديثاً صحفياً لباريانتوس. ذكر البلاغ الرسمي سقوط عدد من القتلى يزيد قليلاً واحداً عن بلاغنا كما ذكر أن هؤلاء قد جرحوا في البداية ثم أجهز عليهم بعد ذلك.. وقال البلاغ إن خسائرنا قد بلغت ١٥ قتيلاً و٤ أسرى بينهما أجنيبيان، وذكر أيضاً أن أجنيبياً قد انتحَرَ، كما أورد بعض المعلومات عن الثورة. وإنه لمن الواضح أن الفارين من الفصيلة قد تكلموا أو لعلهم الأسرى، ولكننا لا نعلم بالضبط ما الذي قالوه وكيف أوردوه. وتشير الدلائل كلها إلى أن تانيا قد انكشف دورها... ومعنى ذلك أن العمل الشاق والصبور الذي بذلته خلال عامين كاملين قد ضاع سدى. وقد أضى الآن انسحاب الزائرين في غاية الصعوبة، ويخيل إلي أن دانتون لم يُسرَ من هذه النتيجة وسنرى ما ستكشف عنه الأمور. خرج بينينيون ولورو وجوليو لاستشكاف الطريق المؤدي إلى بيريرندا... سيقبضون يومين أو ثلاثة أيام وقد أصدرت إليهم تعليمات صارمة بأن يتواروا عن الانظار في بيريرندا وأن يتوجهوا بعد ذلك إلى غوتيبيريز. ألقت طائرة الاستطلاع ببعض المظليين.. وذكر لنا الرقيب أنهم سقطوا في حقول الصيد. أرسلت انطونيو مع رجلين آخرين لاستطلاع مواقعهم، وأسرههم ولكنهم لم يجدوا أحداً.

عقدنا اجتماعاً في المساء لهيئة الأركان، ووضعنا خلاله، خططنا للأيام

المقبلة: إرسال «غوندولا» منذ الغد إلى كوخنا الصغير لإحضار الذرة، القيام ببعض المشتريات في غوتيريز، القيام بهجوم صغير في الغابات بين بنكال ولوغونيلاس ضد السيارات العاملة على هذا الطريق بقصد تضليل الجنود

إنتهيتا من وضع صيغة البلاغ رقم ١ الذي سنسلمه إلى الصحافيين في كاميري (د / ١٧).

٢٨ آذار

لا تزال الإذاعات تتحدث عن أنباء الحركة المسلحة. وقد أطاحت بنا قوات قوامها ٢٠٠٠ رجل في منطقة قطرها ١٢٠ كليومتراً وبدأ الخناق يضيق علينا مدعوماً بقنابل النابالم التي تلقىها الطائرات. وقد منينا بما بين ١٠ و ١٥ إصابة.

أرسلت بروليو على رأس تسعة رجال سعيًا وراء الذرة وقد عادوا في المساء يحملون سلسلة من الأنباء المثيرة: (١) اختفى كوكو وكان قد خرج لتحذيرنا. (٢) حين وصلوا إلى المزرعة في الساعة الرابعة بعد الظهر وجدوا ما يشير إلى أن الكهف قد تعرض للتفتيش. وما كادوا يتفرقون لقطف الذرة حتى ظهر سبعة رجال من الصليب الأحمر، وطبيبان، وبضعة عسكريين غير مسلحين، فأسروهم جميعهم بعد أن شرحوا لهم أن الهدنة قد انتهت ثم سمحوا لهم بمواصلة طريقهم. (٣) وصلت شاحنة محملة بالجنود... وبدلاً من إطلاق النيران عليهم، أصدروا إليهم الأوامر بالانسحاب. (٤) انسحب الجنود بانتظام ورافق محاربونا المسؤولين الصحيين إلى المكان الذي تنتشر فيه الجثث المتفسخة، ولكن هؤلاء لم يتمكنوا من نقلها، فقالوا إنهم سيعودون غداً لإحراقها. صادر رفاقنا حصانين لأرغاناراز، وعادوا بعد أن تركوا أنطونيو والروبيو وإنيستو في الامكنة التي عجزت فيها الخيول عن مواصلة مسيرها. وقد ظهر كوكو فجأة بينما كنا نهم بالبحث عنه ويبدو أنه قد نام قليلاً.

لم تصلنا حتى الآن أنباء من بينينيو.

تحدث الفرنسي بحرارة قوية عن إيمانه بأنه سيكون ذا فائدة كبرى في الخارج.

لم نعمل كثيراً في هذا اليوم، ولكنه كان مثيراً للغاية بسبب ما تضمنه من أنباء. لقد كشف الجيش عن معلومات كثيرة ستكون، إذا صحت، ذات فائدة كبيرة لنا. وقد أذيعت هذه المعلومات من هافانا. ونقلت تصريح مسؤول رسمي بأن الحكومة ستساند بادرة فنزويلا لبحث قضية كوبا في منظمة الدول الأمريكية. ومن بين الأخبار الواردة، شغل فكري نبأ اشتباك جرى في وادي تيرا بوي وأسفر عن مقتل ثائرين. ذلك لأن هذا الوادي هو الطريق الطبيعي المؤدي إلى بيريرندا... ولأن بينينيوي قد كلف باستطلاع هذه المنطقة وكان عليه أن يعود اليوم... وحتى الآن لم يظهر له أثر. لقد امرته بتحاشي المرور في الوادي ولكن تعليماتي لم تكن تنفذ في الأيام الأخيرة.

إن غيفارا يتقدم ببطء في عمله. زودناه بالديناميت، ولكن رجاله لم يتمكنوا من استخدامها أثناء النهار. ذبح الرفاق حصاناً وأكلوا لحماً كثيراً كان مقدراً له أن يكفي لمدة أربعة أيام.

يبدو أنهم لم يحرقوا الجثث المتفسخة بعد لأن حركة العقبان لم تنقطع. سننتقل من هذا المخيم الذي بات مكشوفاً وغير ملائم حالما يُعد الكهف. وقد طلبت إلى اليخندرو أن يبقى هنا مع الطبيب وجواكين (بدون شك في مخيم اللب). يبدو أن رولاندو أيضاً منهمك للغاية.

تحدثت إلى أوربانو وتوما ولكنني لم أنجح في إفهام توما سبب انتقاداتي له.

استتب الهدوء من جديد. وصل بينينيوي ورفاقه صباحاً، وقد عبروا بالفعل وادي بيرايوي ولكنهم لم يشاهدوا شيئاً باستثناء آثار أقدام شخصين، وقد وصلوا إلى المكان المنشود... على الرغم من مصادفتهم بعض الفلاحين ثم عادوا أدراجهم، وأوضحوا أن الرحلة إلى بيريرندا ستستغرق أربع ساعات، وأن لا خطر يحدق بالوصول إليها.

لم تتوقف الطائرات عن مهاجمة البيت الصغير بمدافعها الرشاشة. أرسلت أنطونيو ومعه رجلان لاستطلاع منطقة النهر العليا، وقد دلت معلوماتهم على أن الجنود لم يتحركوا من مراكزهم.. على الرغم من وجود

بعض الآثار التي تشير إلى قيام بعضهم باستكشاف المنطقة. ويبدو أنهم قد حفروا بعض الخنادق.

عادت الفرس المفقودة، وبات عندنا من اللحم ما يكفينا لاربعة أيام مهما ساءت الأحوال. سنستريح غداً وبعد الغد ستتوجه الطليعة لتنفيذ العمليتين التاليتين: احتلال غوتبيريز، ونصب كمين للجنود على طريق أرغاناراز - لاغونيلاس.

٣١ آذار

لا جديد يستحق الذكر. قال غيفارا إن الكهف سيكون جاهزاً في الغد، وذكر إنتي وريكاردو أن الجنود قد عادوا لاحتلال مزرعتنا الصغيرة تمهيداً لأعمال المدفعية (المورتر) والطيران. إن هذا يعرقل خططنا للوصول إلى بيريرندا والتمون من هناك. أصدرت الأوامر إلى مانويل للتقدم برجاله نحو الكوخ والاستيلاء عليه إذا كان خالياً وإرسال اثنين من رجاله لإبلاغي بذلك حتى نواصل مسيرتنا بغد غداً... أما إذا كان الكوخ في يد العدو ويستحيل استرجاعه بهجوم مفاجئ، فإن عليه العودة لدراسة إمكانية محاصرة مزرعة أرغاناراز من الجانبين ونصب كمين للجيش بين بنكال ولاغونيلاس. لا تزال الإذاعة توالي تعليقاتها بينما تتابعت البلاغات الرسمية عن سير القتال. لقد حددوا موقعنا بدقة تامة بين الياكي وناكاهاوازو وإنني لأخشى أن يقوموا بتطويقنا.

تحدثت مع بينينيو وشرحت له الخطأ الذي ارتكبه بعدم خروجه للبحث عنا، كما عرضت له وضع ماركوس. وفي المساء تحدثت مع لورو وانيستيتو وكان الحديث عاصفاً. قال لورو إن الموقف يتدهور ولما طلبت منه توضيح ما يعنيه بذلك، رغم أنه يخص بكلامه ماركوس وبينينيو، وقد تضامن معه انيسيتو في بعض ما قاله، ولكنه اعترف فيما بعد لكوكو أنهما كانا متواطئين سوية في سرقة بعض المعلبات كما قال لإنتي إنه لا يوافق على كلام لورو بخصوص بينينيو وبوميو، كما لا يوافق جزئياً على حديثه عن «تدهور حرب العصابات بشكل عام»

التحليل الشهري

كان هذا الشهر غنياً بالأحداث، ولكن اللوحة العامة تتميز بالخصائص

التالية: مرحلة تدعيم وتطهير العصابات قد انتهت تماماً. مرحلة من النمو البطيء، وانضمام العناصر القادمة من كوبا والمتمتعة بكفاءة حسنة، كما يبدو، وكذلك انضمام رجال غيفارا الذين تبين أن مستواهم العام ضحل (فرّ اثنان منهما، وقع أحدهما أسيراً وأفشى كل شيء، أبدى ثلاثة منهم رغبتهم في ترك الخدمة، أما الباقيان فضعيفان).

تميزت مرحلة بدء القتال بهجوم دقيق ومدesh أفسدت بعض جوانبه وقبل بدئه وبعده بعض التصرفات الطائشة (انسحاب ماركوس، عمل بروليو)، مرحلة بدء الهجوم المضاد للعدو المتميزة حالياً: أ) باتجاه لإقامة نقاط مراقبة من شأنها عزلنا. ب) بدعاية قوية على المستوى الوطني والدولي. ج) بعدم الفعالية الكلية حتى الآن للتعبئة الفلاحية.

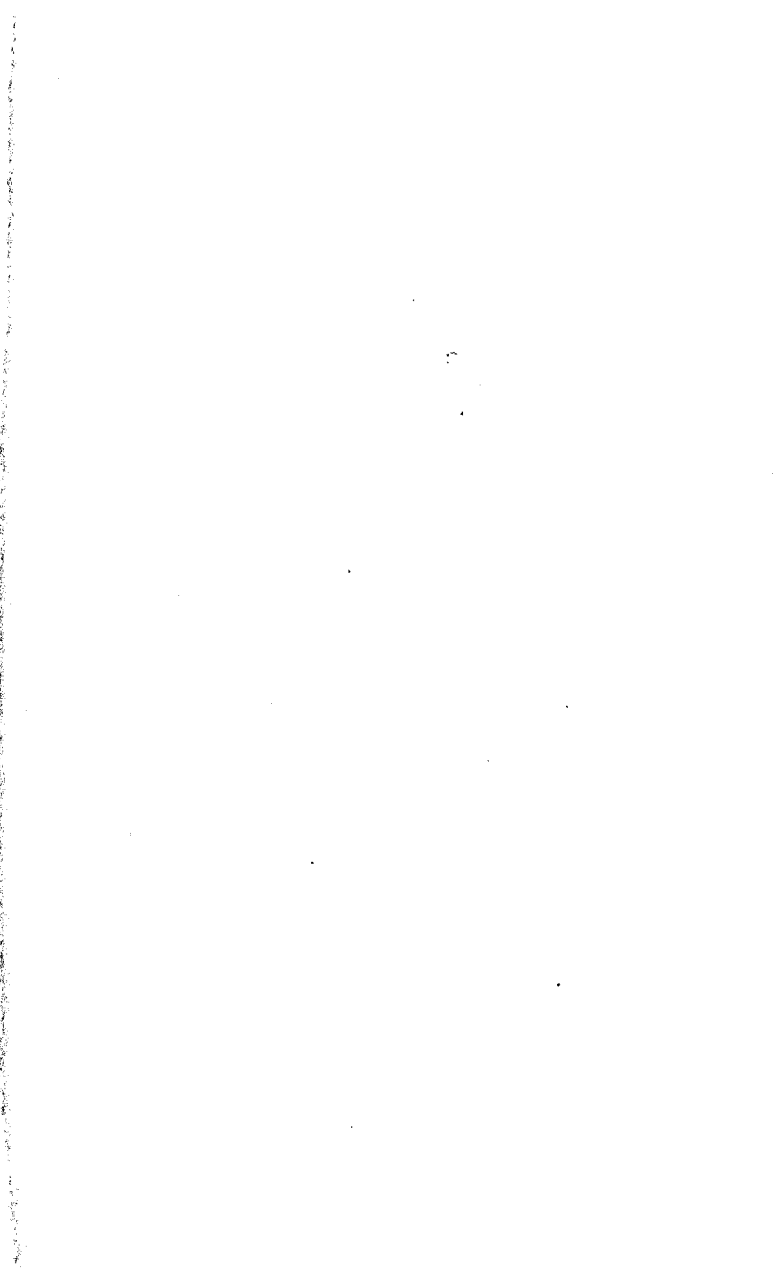
إننا مجبرون بالطبع على بدء المسيرة في وقت أبكر مما تصورناه.. تاركين وراءنا مجموعة لا تقوى على السير، وأربعة وشاة على الأقل. إن الموقف ليس جيداً ولكن مرحلة أخرى لاختبار المحاربين قد بدأت وسوف تعود بالفائدة الكبرى عليهم حالما تنتهي.

نظمت فرقتنا الصغيرة على الوجه التالي:

الطليلة: ميغيل، رئيساً ومعه بينينيو وباشو ولورو وانيسيتو وكامبا وكوكو وداريو وجوليو وبابلينو وبول.

حرس المؤخرة: جواكين رئيساً، بروليو مساعداً له ومعهما روبيو وماركوس وبيدرو والطبيب وبولو والتر وفكتور (بيت، باكو، أوزيبو سنغولو).

الوسط: أنا واليخاندرو ورولاندو وإنتي وبوميو وناتو وتوما وأوربانو ومورو ونيفرو وريكاردو وارتورو وأوستاكيو وغيفارا وويلي ولويس وأنطونيو وليون (ثانياً، دانتون، الشينو زاثرون) وسيرابيو (لاجيء).



نيسان ١٩٦٧

١ نيسان

تأخر رجال الطليعة عن الموعد المحدد لانطلاقهم وخرجوا في الساعة السابعة صباحاً... ولم يكن كومبا قد عاد من رحلته مع ناتو إلى كهف الدب... بقصد إخفاء الأسلحة. عاد توما في الساعة العاشرة من مرصده ليعلن أنه رأى ثلاثة أو أربعة جنود في حقل الصيد. أسرعنا في الحال إلى احتلال مواقعنا، وأخبرنا والتر من مركز المراقبة بأنه رأى ثلاثة جنود معهم بغل أو حمال منهمكين في وضع شيء لا يعرف كنهه، وقد دلني بيده على مكان وجودهم، ولكنني لم أر شيئاً. إنسحبت في الساعة الرابعة بعد الظهر يقيناً مني أنهم لن يهاجمونا... ويخيل إلي أن ما رآه والتر ليس سوى سراب.

إتخذت قراراً بإخلاء كل شيء، منذ الصباح، وكلفت رولاندو بقيادة المؤخرة أثناء غياب جواكين... وصل ناتو وكامبا، في الساعة التاسعة مساءً، بعد أن أخفيا كل شيء باستثناء عشاء الأشخاص الستة الذين سيقفون وهم: جواكين واليخندرو ومورو وسيرابيو وأوستاكيو وبولو. وقد احتج الكوبيون الثلاثة على هذا القرار.

ذبحنا فرساً أخرى بقصد تجفيف لحمها وترك مؤونة للرجال الستة. عاد أنطونيرو في الساعة الحادية عشرة وقال إنه لم يطرأ أي شيء جديد، وقد أحضر معه كيساً من الذرة.

خرج رولاندو في الساعة الرابعة صباحاً ومعه الرجال الضعفاء الأربعة (سنگولو، أوزيبو، باكو، بيب) وقد طلب بيب سلاحاً، وقال إنه سيبقى معنا وكذلك خرج كامبا معهم.

وصل كوكو في الساعة الخامسة وهو يحمل رسالة جديدة تقول إنهم ذبحوا بقرة وإنهم في انتظارنا. وقد اتفقنا على الالتقاء بقرب الجدول الذي ينبع من الجبل، في أسفل المزرعة. وذلك بعد غد، عند الظهيرة.

٢ نيسان

أدّى تراكم تلك الكمية العجيبة من الأشياء والحاجيات إلى قضاء يومنا كله في ترتيبها في الكهوف المعدة لها... وكان نقلها قد انتهى في الساعة الخامسة.. تركنا أربعة رجال للحراسة ولكن الهدوء ظل مخيماً بشكل عجيب ولم تحلق أية طائرة فوق المنطقة. تقول تعليقات الراديو أن «الخناق بدأ يضيق علينا تدريجياً، وإن محاربينا قد بدأوا يستعدون للدفاع عن أنفسهم في وديان ناكاهوازو. وجاء في الأخبار أيضاً أن دون رمبرتو قد أوقف، وأنه اعترف ببيعه المزرعة لكوكو.

إتخذنا قراراً بتأجيل المسيرة هذا اليوم، لفوات الأوان، ولكننا اتفقنا على الانطلاق غداً صباحاً في الساعة الثالثة، واختصار نهار كامل بتوجهنا مباشرة عن طريق ناكاهوازو رغم أن المكان المحدد للالتقاء يوجد في الاتجاه الآخر.

تحدثت إلى مورو وأنهمته أنني لم أسمع في المجموعة التي تضم صفوة الرجال نظراً لما أظهره من ضعف لا سيما نحو الطعام، وميله إلى إثارة أعصاب الرفاق بسخريته. وقد دام الحديث بعض الوقت.

٣ نيسان

نفذنا البرنامج المرسوم بدون مشقة، وانطلقنا في الساعة الثالثة والنصف، بخطى بطيئة، ووصلنا إلى المنعطف في الساعة السادسة والنصف وإلى ضواحي المزرعة في حوالي الثامنة والنصف. وعندما مررنا بالمكان الذي نصب فيه الكمين لم يكن تبقى من الجثث السبع سوى

هياكل عظمية نظيفة للغاية. ويبدو أن العقبان قد قامت بمهمتها على أفضل وجه. أرسلت رجلين (أوربانو وناتو) للإتصال بـبرولاندو وانتقلنا بعد الظهر إلى أودية بيرابوي حيث قضينا الليل بعد أن تناولنا طعاماً من لحم البقر والذرة.

تحدثت مع دانتون وكارلوس وعرضت عليهما ثلاث إمكانات، الاستمرار معنا أو الانسحاب لوحدهما، أو التوجه إلى غوتيريز واختبار حظهما هناك، وقد اختارا الحل الثالث.

سنجرب حظنا غداً.

٤ نيسان

وجدنا قبعة مظلي وآثار طعام أميركي شمالي، وجبات شخصية. قررت أن اقتحم التلة الأولى. وهذا ما فعلناه في الساعة ١٨,٣٠.

خرج عمال كادحون غواراتيون وأخبرونا بأن الجيش، المؤلف من حوالي ١٥٠ رجلاً، انسحب البارحة وأن صاحب المنزل قد ذهب بقطيعه بعيداً. طلبنا إليهم تحضير بعض الطعام من لحم الخنزير واليوكا في حين ذهبنا لكي نحتل المنزل الثاني [].

توجه لورو وكوكو وانيسيتو، وبعدهم، إنتي، إلى المنزل الثاني برفقة فلاحين آخرين.

لم يكن الزوجان موجودين، لكن الفلاح عند وصوله، انتهز حالة الارتباك وهرب. تأكدنا أخيراً من أن كتيبة من الفيلق الثاني البوليفي قد توقفت هنا وغادرت هذا الصباح؛ التعليمات كانت تقضي بأن تسلك الكتيبة مضيق جبل بيرابوي، لكنهم قرروا سلوك طريق آخر، ولذلك لم نصادفهم. في المنزل الأول وجدنا مواد تركها الجنود، قصعات، مطرات، وحتى ذخائر وعتاداً. صادرناها بعد أن أكلنا جيداً، غادرت المؤخرة في الساعة الثالثة، ونحن غادرنا في الساعة ٢,٢٠.

٥ نيسان

يوم خال من الأحداث لكنه مشحون ببعض التوتر. تجمعنا في الساعة العاشرة. ثم غادر ميغيل بعد قليل، حاملاً جعبة ظهره لاحتلال مدخل المضيق، مع أمر بارسال رجال المؤخرة الثلاثة المتمركزين في ذلك المكان، ليستعيدوا جعبهم.

تسهيلاً للحركة، أعطيت تعليمات لاوربانو وايلناتو وليون ليحلوا محل رجال المؤخرة الثلاثة. في تمام الساعة ٢,٣٠ توقفت مع وسط المجموعة لكي ننظم الكمين بهدف إعاقة قوات يمكن أن تنزل عبر المضيق، بينما تحمي المؤخرة والمقدمة منفذي النهر إلى مكان ظهوره. في الساعة ١٤ أرسلت توما ليتفقد عمل الرجال الثلاثة.

في الساعة ١٧ عاد دون أخبار. في الساعة ١٨,١٥ وصل رولاندو. وبما أنه لم يتسلم الرجال الثلاثة، اكتفى بأخذ جعبهم... توضيحات بروليو أثار الشك جدياً حول القدرة القتالية لماركوس الحالية. فكرت بأن أغادر عند الفجر عبر منحدر النهر، ولكني رأيت جنوداً يسبحون على بعد ثلاثماية متر من موقعنا، فقررنا عندئذ أن نعبّر النهر دون أن نترك أي أثر ثم نعود إليه عن طريق آخر.

٦ نيسان

يوم مشوب بالتوتر الكبير. عبرنا ناكاهوازو في الساعة الرابعة ثم انتظرنا طلوع النهار لمواصلة المسير... بدأ ميغيل في استكشاف المنطقة ولكنه اضطر للعودة مرتين بسبب أخطاء كان من نتيجتها أننا اقتربنا كثيراً من الجنود. أعلمنا رولان، في الساعة الثامنة، أن هناك عشرة جنود أمام الوادي الذي غادرناه توأ. مشينا ببطء وفي الساعة الحادية عشرة، وصلنا إلى مرتفع بعيد عن الخطر. ولحق بنا رولان ومعه أنباء أن هناك أكثر من ١٠٠ جندي يتمركزون في الوادي.

وفي المساء، وقبل أن نصل إلى الجدول، سمعنا صراخاً لبعض رعاة البقر... قادماً من النهر. توجهنا إلى المكان وأمسكنا بأربعة فلاحين ومعهم أبقار لأرغاناراز. وكانوا يحملون ترخيصاً من الجيش لإحضار ١٢ رأساً من الماشية. وقد انصرف بعضهم قبل وصولنا ولم نتمكن من اللحاق بهم فاحتفظنا ببقرتين لطعامنا وسحبناهما إلى الجانب الآخر من النهر وربطناهما بقرب الجدول. وقد تبين أن المدنيين الأربعة هم: متعهد وابنه وفلاح من شوكيزاكا وآخر من كاميري بدا متفتحاً نحونا للغاية وقد سلّمناه البلاغ الذي أعدناه ووعد بتوزيعه.

احتفظنا بالرجال الأربعة بعض الوقت، ثم أخطينا سبيلهم مقابل إخراجهم إلى الصمت فوعدونا بذلك.

قضيئا المساء في التهام الطعام.

٧ نيسان

توغلنا في الطريق القائم بمحاذاة الجدول مصطحبين معنا آخر بقرة حية ذبحناها بعد ذلك لتجفيف لحمها تحت أشعة الشمس. عهد إلى رولاندو بنصب كمين قرب النهر مع أمر بإطلاق النار، ولكن لم يحدث أي شيء طيلة النهار. واصل بينينيو وكامبا استكشاف الطريق الذي سيقودنا إلى بيريرندا وأخبرانا أنهما سمعا ما يشبه صوت محرك منشرة في أحد الوديان الضيقة القريبة من جدولنا. بعثت أوربانو وجوليو لنقل رسالة إلى جواكين فانقضى النهار ولم يعودا.

٨ نيسان

لا جديد اليوم. خرج بينينيو لمواصلة عمله ولكنه لم يتمكن من إنهائه، وقال إنه لن يتمكن من ذلك في الغد أيضاً. ذهب ميغيل لاستكشاف وإد كان بينينيو قد لمح من مكانه المرتفع ولكنه لم يعد. وعاد أوربانو وجوليو مع بولو. لقد استولى الجنود على المخيم وهم يقومون الآن بتفتيش التلال. أيد جواكين صحة هذه الأنباء، وأورد لنا بعض المشاكل الأخرى ضمنيتها الوثيقة المرفقة (د/ ١٩). لدينا الآن ثلاث بقرات مع عجولها ولكن بقرة واحدة قد أفلتت، وبقي عندنا أربع دواب فقط. سنخصص دابة أو دابتين لإعداد اللحم المجفف بما تبقى لدينا من ملح.

٩ نيسان

خرج بولو ولويس وويلي لتسليم مذكرة إلى جواكين ومساعدته على العودة مع مجموعته. هناك أمكنة لا بأس بها رغم قربها الشديد من الجدول.. وقد انصرف ناتو وغيفارا لاختيار المكان المناسب من بينها. قال ناتو إن هناك أمكنة صالحة على الرغم من قربها من الجدول على مسافة ساعة من المخيم وهي أبعد بقليل من المكان الذي نقيم فيه حالياً. وصل ميغيل وقال إن الطريق الذي استكشفه يؤدي إلى بيريرندا وإن الوصول إليه بحمولتنا يستغرق يوماً كاملاً. وهكذا أصدرت تعليماتي إلى بينينيو لإيقاف استكشافاته لأنها ستأخذ يوماً كاملاً آخر.

طلع النهار بدون أي جديد. ورحنا نتهياً لمغادرة الجدول بعد أن قمنا بإزالة جميع الآثار التي تدل على مرورنا في هذا المكان. وقد عزمنا على اجتياز طريق بيريرندا - غوتيريز عبر الوادي الذي اكتشفه ميغيل. وصل النيفرو في منتصف الصباح وكان يبدو في غاية الاضطراب وقد حمل إلينا أنباء أن ١٥ جندياً في طريقهم إلى النهر. أرسلت إنتي إلى الكمين لتحذير رولاندو. لم يتبق أمامنا سوى الانتظار فانتظرنا. طلبت من توما إبلاغي بأي تطور. وقد وصلت الأنباء الأولى سريعاً وكانت سيئة. أصيب الروبيو (جيزو سواريز غايول) بجروح خطيرة ومات فور نقله إلى المخيم لإصابته برصاصة في رأسه. جرت الأمور على الوجه التالي:

كان الكمين يتألف من ثمانية رجال من حرس المؤخرة، ومن مجموعة للحماية تتألف من ثلاثة رجال من حرس الطليعة يتوزعون على طرفي النهر. وحين علم إنتي بوصول الجنود أسرع إلى المكان الذي يربط فيه الروبيو، ورأى في الحال أنه غير مناسب لكونه مكشوفاً من ناحية النهر. وكان الجنود يتقدمون بلا حيلة تذكر ولكنهم اصطدموا ببروليو أو بيدرو قبل وقوعهم في الكمين بينما كانوا يتفحصون جوانب النهر بحثاً عن المسالك. دام إطلاق النيران بضع ثوان مخلّفاً على أرض المعركة قتيلًا وثلاثة جرحى وستة أسرى، وقد سقط ضابط صف في الحال وفر أربعة. ووجد الرفاق الروبيو محتضراً إلى جانب أحد الجرحى بعد أن تعطلت بندقيته وكانت بقربه قنبلة يدوية لم تنفجر رغم أن صمام أمانها كان مفتوحاً. لم نتمكن من استجواب الأسير بسبب حالته الصحية الخطيرة وقد مات حالاً كما مات الضابط الذي كان يقود الدورية.

خرجنا من استجوابنا للأسرى بما يلي: كان الجنود الخمسة عشر يتبعون كتيبة تعسكر في أسفل نهر ناكاهوازو وقد عبرت هذه الكتيبة الوادي الضيق وجمعت عظام الجنود الذين سقطوا في الكمين الأول ثم هاجمت المخيم... ويبدو أن رجالها، إذا صدق الأسرى، لم يجدوا شيئاً... رغم أن الإذاعة قد تحدثت عن وثائق وصور عثر عليها هناك. كانت الكتيبة تضم ١٠٠ رجل ذهب منهم ١٥ جندياً لمرافقة فريق من الصحفيين إلى مخيمنا أما هؤلاء فقد كلفوا باستطلاع هذه المنطقة والعودة إلى الكتيبة في

الساعة الخامسة بعد الظهر. وهكذا فقد كانت القوى الرئيسية مرابطة في بنكال... أما في لاغونيلاس فقد كان يعسكر حوالي ٣٠ رجلاً ويعتقد أن المجموعة التي توجهت إلى بيرابوي قد انسحبت باتجاه غونبيريز وروى الأسرى حكاية هذه المجموعة التي ضلّت طريقها في الجبال، بلا ماء كما تحدثوا عن ضرورة إنقاذها. تركت الكمين قائماً تقديراً مني أن الهاربين سيصلون متأخرين. وكان رولاندو قد نقل الكمين مسافة ٥٠٠ متر تقريباً بحيث أصبح بإمكانه أن يعتمد على مساعدة رجال الطليعة كلهم. أصدرت أوامري في البداية بالانسحاب ثم عدت فرايت أن المنطق يقضي ترك الأمور على حالها. جاء في نبأ في الساعة الخامسة بعد الظهر يقول: إن الجيش يتقدم بقوى كبيرة فلم يتبق أمامنا سوى الانتظار. أرسلت بومبو في مهمة استطلاعية من شأنها تقديم فكرة واضحة عن الموقف... وقد سمعت بعض عيارات نارية تدوي بشكل متقطع، خلال لحظة واحدة، وعاد بومبو ليقول إن الجنود قد وقعوا في الكمين مرة أخرى. ويبدو أن هناك عدة قتلى كما أسر ضابط برتبة ميجور.

وقع الحادث هذه المرة على الشكل التالي: تقدم الجنود على طريق النهر منتشرين دونما حذر فكانت المفاجأة كاملة. سقط أربعة قتلى وخمسة جرحى وأسر ٢٢ جندياً. والنتائج الأخيرة هي: (لم أتمكن من حصرها لافتقاري إلى معلومات أكيدة).

١١ نيسان

بدانا منذ الصباح بنقل جميع حاجياتنا. ودفنا الروبوي في حفرة صغيرة تكاد تستوي وسطح الأرض بسبب افتقارنا إلى المعدات اللازمة، وتركنا انتي يرافق الأسرى مع حرس المؤخرة ليعمل على إخلاء سبيلهم ويستعيد، في الوقت نفسه، الأسلحة التي طمرت في التراب. عاد بنتيجة واحدة وهي أسره جنديين جديدين مع بندقيتين من طراز «غاران». سلمنا نموذجين عن البلاغ رقم ١ إلى الميجور حتى يقوم بتوصيلهما إلى الصحافيين. يمكننا توزيع خسائر الجيش على النحو التالي: ١٠ قتلى بينهم ضابطان، ٣٠ أسيراً بينهم ضابط برتبة ميجور وعدة ضباط صف أما الباقون فهم من الجنود، ٦ جرحى أحدهم أصيب في المعركة الأولى... وما تبقى في المعركة الثانية. إن هؤلاء جميعاً يتبعون الفرقة الرابعة ولكن

بصفتهم عناصر من الوية مختلفة. وهناك ضباط ومظليون وجنود من المنطقة ومعظمهم من الفتيان الذين لا تجربة لهم.

انتهينا بعد الظهر من نقل حاجياتنا إلى الكهف المعد لها، ولكننا لم نقوم بترتيبها بعد. لقد ذعرت الأبقار في الفترة الأخيرة وولت الأدبار ولم يبق لدينا سوى عجل واحد.

صادفنا، في الصباح الباكر، وفي ساعة وصولنا إلى المخيم الجديد، كلاً من جواكين واليخاندرو وكيانا قادمين مع رجالهما جميعاً. ويبدو أن الجنود الذين رأهم أوستاكيو من إبداع مخيلته، لذلك غدا انتقلنا إلى المكان الجديد مجرد جهد عقيم.

تحدثت الإذاعة عن اصطدم دام جديد، وعن تسعة قتلى من أفراد الجيش وعن «موت» أربعة من رفاقنا. وقام صحافي تشيلي بوصف دقيق لمخيمنا وقال إنه اكتشف صورة لي بدون لحية وبغليون في فمي. سأجرى تحقيقاً واسعاً حول هذا الموضوع إذ ليس هناك ما يثبت انكشاف الكهف الأعلى... رغم بعض الدلائل التي تشير إلى ذلك.

١٢ نيسان

جمعت شمل المحاربين في الساعة السادسة والنصف باستثناء الرجال الأربعة الذين تركونا ليقعوا في الأسر أو الموت.. وقد دعوتهم لاتحدث إليهم قليلاً عن ذكرى الروبيو، ولأوضح لهم أن أول دم أريق في سبيل بوليفيا كان دماً كوبياً. وقد استرعت انتباههم إلى اتجاه بدأ يظهر في وسط الطليعة ويستهدف الاستهانة بالكوبيين.. وكان أول ما تبلور أمس حين صرّح كامبا أن ثقته بالكوبيين تتزعزع في كل يوم، على أثر مشاجرته مع ريكاردو. وقد ناشدتهم من جديد الاتحاد الكامل والوثيق فهو شرط أساسي لنمو جيشنا... هذا الجيش الذي يضاعف من قوة نيرانه وعزيمته في القتال دون أن يزداد عدداً، بل على العكس من ذلك، فقد انخفض عدده في الأيام الأخيرة.

إنطلقنا في الساعة الثانية بعد الظهر بخطى بطيئة بعد أن قمنا بترتيب غنائمنا في كهف أعده ناتو... كان تقدمنا بطيئاً للغاية بحيث أننا نمنا بقرب نبع ماء صغير، من الماء قبل أن نقطع مسافة تذكر. ارتفع عدد القتلى في بلاغ الجيش إلى ١١ جندياً.

يبدو أنهم وجدوا أحد جنودهم قتيلاً أو أن أحد جرحاهم قد مات.
القيت محاضرة قصيرة عن كتاب دوبريه.
وصلتنا رسالة بالشفيرة وفككتنا رموزها، ولا يبدو أنها هامة.

١٣ نيسان

قسمت المجموعة إلى فريقين بقصد التقدم سريعاً. ولكن محاولتي لم
تُجد إذ أننا لم نحرز تقدماً يذكر. وصلنا إلى المخيم في الساعة الرابعة بعد
الظهر... أما المتخلفون فقد وصلوا في الساعة السادسة والنصف. كان
ميفيل قد وصل إلى المخيم منذ الصباح... إن الكهوف على حالها ولم
يكتشفها أحد، كل شيء في مكانه: المقاعد والمطابخ والفرن والمذرات.
خرج أنيسيتو وراوول في جولة استطلاعية ولكنها لم تكن موفقة ولا بد
من القيام بجولة أخرى في الغد تغطي نهر ايكيرا. أعلن الأمريكيون -
الشماليون أن تزويد بوليفيا بالخبراء مشروع قديم ولا علاقة له بحرب
العصابات التي نشبت في البلاد. قد يكون هذا التدخل من جانبهم المرحلة
الأولى في فيتنام جديدة.

١٤ نيسان

أحضرنا بعض الحاجيات من الملجأ المخصص للمرضى تكفي مؤونة
لمدة خمسة أيام. وقد أحضرنا من الكهف الأعلى معلبات حليب مركّز
واكتشفنا اختفاء ٢٣ علبة بشكل غامض... كان مورو قد ترك في الكهف
٤٨ علبة ولم يُتَح لاحدنا الوقت الكافي لإخراجها. إن الحليب هو أحد عوامل
فسادنا. أخذنا من الكهف الأعلى مدفع مورتر ومدفع رشاش لتعزيز
مواقعنا حتى وصول جواكين.

لم تتوضح في ذهني تماماً خطة العمليات المقبلة، ولكن يخيّل لي أن
خير ما نفعله هو أن يتوجه جميع المحاربين للعمل في منطقة ميوبامبا،
وبعد ذلك نترجع في اتجاه الشمال. وأرى أن نرسل دانتون وكارلوس
لتفقد طريق «السوكر - كوشابامبا» بحسب الظروف الممكنة.

إنتهينا من تحرير البلاغ رقم ٢ الموجّه إلى الشعب البوليفي. وكذلك
التقرير رقم ٤ الموجّه إلى مانيل... والذي سيتولى الفرنسي تسليمه. د/
٢١.

١٥ نيسان

وصل جواكين مع رجال المؤخرة كلهم واتخذنا قراراً باستئناف المسيرة غداً. ومما قاله إن المنطقة كلها كانت مسرحاً لاستكشاف الطائرات التي اطلقت مدافعها الرشاشة باتجاه الغابات. انقضى النهار بدون أي جديد. واكتمل تسليح المجموعة كلها بعد تخصيص مدفع رشاش من عيار ٣٠ لحرس المؤخرة (ماركوس).

وجهت في المساء تحذيرات بخصوص الرحلة، وأخرى أقسى بخصوص اختفاء علب الحليب.

فككنا جزءاً من رسالة طويلة ووصلتنا من كوبا... ومما جاء فيها أن ليشين يعلم بمكان وجودي وأنه سوف يذيع بياناً بتأييد الحركة ويعود إلى البلاد خلسة خلال عشرين يوماً على الأكثر.

كتبت مذكرة إلى فيديل (رقم ٤) ضمّنتها آخر التطورات. كتبتها بالشفيرة وبالحبر السري.

١٦ نيسان

انطلق رجال الطليعة في السادسة والربع، ولحقنا بهم في الساعة السابعة والربع... وقد قطعنا مسافة طويلة إلى أن وصلنا إلى نهر ايكيرا ولكن تانيا واليخندرو تخلّفوا عن الركب. وصلا متعبين فأخذنا حرارتهم، فكانت حرارة تانيا أكثر من ٣٩ درجة وحرارة اليخاندرو ٣٨ درجة. وقد أدى تاخرهما إلى الإخلال ببرنامج المسيرة. تركناهما تحت إشراف النيفرو وسيرابيو على مسافة كيلو متر واحد من الايكيرا وواصلنا مسيرتنا عن طريق القرية المسماة بيلا فيستا حيث صادفنا أربعة فلاحين، وابتعنا منهم كمية من البطاطا والذرة وكذلك خنزيراً واحداً. كانوا من الفلاحين الفقراء، وقد ذعروا لرؤيتنا في هذه المنطقة.

قضينا الليل في إعداد الطعام وتناول العشاء، ولم نتحرك قيد أنملة من مخيمنا... بانتظار الليلة المقبلة كي ننتقل إلى تيكوشا دون أن يلحظنا أحد.

١٧ نيسان

تضاربت الأنباء ومعها تغيرت القرارات... قال الفلاحون أن تيكوشا مضيعة للوقت، وأن هناك طريقاً مباشراً إلى ميوبامبا (فاكا غوزمان) اقصر

بكثير من الاول ويمكن قطع القسم الاخير منه في السيارات. اتخذنا قراراً بمواصلة طريقنا مباشرة إلى ميوبامبا بعد أن ترددت في الواقع كثيراً. أرسلت في طلب المتخلفين الأربعة حتى يلزموا جواكين، وأصدرت أمراً إلى هذا الأخير ليقوم بمناورة تضليل في المنطقة لمنع الحركة الزائدة ثم ينتظرنا ثلاثة أيام أيضاً لا يبارح فيها المنطقة متحاشياً الاشتباك المباشر مع العدو في انتظار عودتنا. وعلمنا في المساء، بأن أحد أبناء الفلاحين قد اختفى من القرية وأنه ذهب على الأرجح للإبلاغ عنا لدى السلطات، ومع ذلك فقد قررنا مواصلة المسيرة مهما كانت الظروف حتى نمكّن الفرنسي وكارلوس من الخروج. إلتحق موازيس بمجموعة المتخلفين لما يعانيه من آلام شديدة في الكبد.

إن موقفنا الآن هو كما يلي:

إذا عدنا من نفس الطريق، فإننا نتعرض لخطر صدام مع الجيش المستنفر في لاغونيلاس أو مع رتل قادم من تيكوشا... فلا بد من أن نسلك هذا الطريق حتى لا نقطع عن حرس المؤخرة.

مضينا في الساعة العاشرة مساءً وسرنا بخطى كبيرة مع الإخلاء للراحة من وقت لآخر... وتوقفنا أخيراً في الساعة الرابعة والنصف صباحاً لقضاء فترة من النوم بعد أن اجتزنا حوالي عشرة كيلو مترات.

بين الفلاحين الذين تحدثنا إليهم يبدو سيمون أكثرهم تجاوباً ولكنه خائف.. وهناك فلاح آخر يتودد إلينا واسمه فيدس ولكنه بدا خطيراً. إنه الرجل «الغني» في المنطقة. ويجب ألا ننسى أن ابن كارلوس روداس اختفى من القرية وقد يشي بنا تحت تأثير فيدس الذي يعد سيد المنطقة من الناحية الاقتصادية.

١٨ نيسان

سرنا حتى انبلاج النهار، ونمنا فترة قصيرة في الساعات الأخيرة من الليل والبرد قارس. وفي الصباح ذهب رجال الطليعة لاستطلاع المنطقة وعثروا على بيت هندي ولكن أصحابه لم يدلوا بمعلومات تذكر. أوقف الحرس فارساً تبين أنه أحد أبناء كارلوس روداس (غير الاول) وكان في طريقه إلى ياكوندي فأخذوه أسيراً. تقدمنا ببطء ووصلنا في الساعة الثالثة إلى ماتاغال، إلى بيت ١. باديلا وهو شقيق معدم لفلاح آخر يقيم على مسافة

فرسخ من هنا... وكنا قد لجأنا إلى منزله. زعر الرجل وحاول بثشتي الوسائل إقناعنا بمغادرة بيته ولكن المطر تساقط بشدة واضطربنا إلى الاحتماء في الداخل.

١٩ نيسان

لم نبارح مكاننا طيلة النهار، واحتجزنا جميع الفلاحين القادمين من الاتجاهين... فتسنى لنا بذلك أسر خليط من الناس. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، أحضر لنا رجال الحرس هدية تليق باليونانيين: إنه صحافي إنكليزي يدعى روث وكان يتعقبنا برفقة بعض فتيان لاغونيلاس. كانت أوراقه صحيحة ومع ذلك فقد كان في موقفه ما يثير الشبهة: فالجوا يشير إلى أنه طالب ثم شطبت هذه الكلمة لتستبدل بصحافي (وهو يدعى أنه مصور)... والجواز يحمل تاشيرة إلى بورتوريكو...

وحين طرحنا عليه بعض الأسئلة بخصوص بطاقة لمنظم مدينة بونس آيرس وجدت بين أوراقه، إعراف بأنه كان مدرساً للغة الإسبانية في إحدى الفرق العسكرية. وذكر أنه زار المخيم وأنه أطلع هناك على يوميات بروليو التي تتضمن رحلاته وتجاربه... وهكذا فإن المشكلة التي عاينها ما تزال قائمة وأعني بها اللا انضباطية واللامسؤولية السائدتين عند رفاقنا. لم نحصل من الفتیان الذين رافقوا الصحافي على أية معلومات تذكر ويبدو أن خبر وصولنا إلى هنا قد انتشر في الليلة نفسها في لاغونيلاس بسبب المعلومات التي قدمها أحد الأشخاص. وحين ضغطنا على ابن روداس اعترف هذا الأخير بأن أخاه واحداً من رجال فيدس قد ذهباً إلى لاغونيلاس للإبلاغ عنا بقصد كسب الجائزة التي تتراوح بين ٥٠٠ و١٠٠٠ دولار. صادرنا منه الحصان كإجراء انتقامي، وكشفنا أمره للفلاحين الأسرى.

إقترح علينا الفرنسي أن نطلب من الإنكليزي، كدليل على حسن نيته، أن يساعد المتخلفين على الخروج من هنا وقد قبل كارلوس بالأمر بعد التردد. أما أنا فقد رفضت يدي من كل مسؤولية. وصلنا الساعة التاسعة () وواصلنا رحلتنا إلى بامبا... حيث كل شيء هادئ على حد قول الفلاحين. وافق الإنكليزي على الشروط التي تقدم بها إنتي بما فيها تسليم تقرير صغير كنت قد كتبتة... وفي حوالي منتصف الليل (١١,٤٥) وبعد

توديع الرفاق العائدين، بدانا مسيرتنا للإستيلاء على القرية.. وبقيت مع بومبو وتوما وأوربانو. كان البرد قارساً فأشعلنا ناراً خفيفة. وفي الساعة الواحدة صباحاً عاد ناتو يقول إن القرية في حالة استنفار وإن ٢٠ جندياً من الجيش اتخذوا مواقعهم فيها إلى جانب دوريات من الأهليين أنفسهم. ويبدو أن إحدى هذه الدوريات قد فاجأت كشافتنا ولكن جندييها المسلحين ببندقيتين م - ٣ وبمسدسين قد استسلما بدون قتال. طلبت من الرفاق أن ينسحبوا لأن الوقت كان متاخراً وتركت للصحافي الإنكليزي وكارلوس مهمة اتخاذ القرار المناسب لهما. باشرنا بالعودة في الساعة الرابعة صباحاً دون أن نحقق هدفنا ولكن كارلوس فضل البقاء، ثم تبعه الفرنسي في شيء من التردد هذه المرة.

وصلنا قرابة الساعة السابعة إلى منزل نيميزيو كارابالو الذي صادفناه مساء البارحة وقدم لنا القهوة. كان قد غادر البيت تاركاً المفتاح فوق الباب وبعض الخدم المذعورين. قمنا بإعداد الطعام حالاً بعد أن ابتاع الرجال ذرة وقرعاً... وفي حوالي الواحدة بعد الظهر، شامدنا شاحنة ترفع علماً أبيض وتقل في داخلها مساعد الحاكم والطبيب والكاهن في ميوبامبا. وهو من أصل الماني. لقد جاؤوا يطالبون بالسلاح شرط أن يكون على مستوى قومي. وأبدوا استعدادهم للوساطة. وعرض عليهم إنتي تجنب ميوبامبا ويلات القتال مقابل لائحة من البضائع يحملونها إلينا قبل الساعة السادسة والنصف، لكنهم لم يعدوا بشيء لأن القرية تقوم بإطعام الجيش. وكل ما طلبوه هو تمديد المهلة المحددة فرفضنا ذلك.

حملوا إلينا، دليلاً على حسن نيتهم «رزميتين» من السجائر ونبأ اعتقال رفاقنا الثلاثة في ميوبامبا وضبط أوراق مزورة مع اثنين منهما. موقف سيء بالنسبة لكارلوس... أما دانتون فقد يتوصل إلى إخراج نفسه من هذا المأزق.

وصلت ثلاث طائرات من طراز ات - ٦، في الساعة الخامسة والنصف وقامت بقصف المنزل الذي كنا نهيء فيه الطعام. سقطت قنبلة على بعد ١٥ متراً فقط وأصيب ريكاردو بجرح طفيف. كان هذا جواب الجيش. يجب أن نطلع على الأخبار حتى نتمكن من بث الذعر والارتباك في صفوف الجنود الذين تفاقم تدمرهم... على حد قول المراسلين. إنطلقنا في الساعة العاشرة والنصف ليلاً نجر وراءنا حصانين، حصان

الصحافي والحصان المصادر، وسرنا باتجاه تيكوشا... وقد استمرت
المسيرة حتى الساعة الواحدة والنصف حيث توقفنا لأخذ قسط من النوم.

٢٠ نيسان

وصلنا حوالى الساعة السابعة عند نيميزيو وكاراباللو الذي التقيناه في
المساء، وقدم لنا القهوة. كان قد غادر تاركاً المفتاح في الباب وبعض
الخدم الخائفين. حضرنا الطعام في المكان ذاته حين اشترينا من الفلاح
قليلاً من الذرة واليقطين: حوالى الساعة الثالثة عشرة ظهرت شاحنة
صغيرة تحمل علماً أبيض وتقل وكيل الحاكم والطبيب وكاهن مويوبامبا
وهو الماني. تكلم إنتي معهم. جاؤوا حاملين اقتراحاً بالسلام، لكنه سلام
ذو طابع وطني يقترحون أنفسهم وسطاء له. اقترح اينتي عليهم السلام
لمويوبامبا مقابل لائحة من البضائع يجب أن يؤمنوها قبل الساعة
١٨,٣٠، الامر الذي لم يتعهدوا بتحقيقه، لأن الجيش يتولى حسب قولهم
الاشراف على القرية، وطلبوا بتمديد المهلة حتى الساعة السادسة من
صباح الغد، الامر الذي لم يقبل ايضاً.

حملوا لنا كبادة حسن نية، رزمتين من السجائر وخبراً عن الثلاثة
الذين ذهبوا! فقد اعتقلوا في مويوبامبا. اثنان منهم اعتقاد بسبب حيازتهما
على أوراق مزورة. آفاق سيئة لكارلوس، دانتون سينجو من هذا المازق.

في الساعة ١٧,٣٠ وصلت ثلاث A T-6 وقدمت لنا حفلة قصف صغيرة
للمنزل نفسه الذي سبق أن حضرنا الطعام فيه. سقطت قذيفة على مسافة
١٥ متراً، أصيب ريكاردو بجرح طفيف نتيجة شظية. كان هذا رد الجيش.
يجب سماع الاخبار حتى نتوصل إلى اضعاف معنويات الجنود الذين
سنموا القتال حسب اقوال الميعوثين.

غادرنا عند الساعة ٢٢,٣٠ مع حصانين، حصان الصحافي والحصان
الذي صادرناه، اتجهنا إلى تيكوشا. توقفنا الساعة ١,٣٠ كي ننام.

٢١ نيسان

سرنا قليلاً ووصلنا إلى بيت روزا كاراسكو الذي استقبلنا بحرارة
وباعنا كل ما نحتاج إليه. وسرنا في المساء حتى نقطة تقاطع طريق

ميوبامبا - مونتيفودو في مكان يدعى تابيريلاس. كانت الفكرة السائدة هي البقاء بجانب نبع ماء واستطلاع المنطقة لتحديد مكان الكمين. وكان هناك سبب آخر يدعونا إلى البقاء وهو النبأ الذي أذاعه الراديو عن مصرع ثلاثة من المرتزقة: الأول فرنسي والثاني إنكليزي والثالث أرجنتيني. لا بد من تحري صحة هذا النبأ حتى نوقع عقاباً بالفاعلين يكون عبرة للجميع. زرنا العجوز روداس قبل تناولنا العشاء وكان أباً لفارغاس الذي قتل في ناكاهوازو. شرحنا له ظروف الحادث وبدو أنه قد اقتنع بكلامنا. لم يستوعب رجال المقدمة التعليمات الصادرة إليهم، وواصلوا طريقهم مما يقض الكلاب التي راحت تنبح بشدة.

٢٢ نيسان

بدأت الأخطاء منذ الصباح: خرج رولاندو وميغيل وأنطونيو لاستطلاع المناطق المجاورة ونصب الكمين بعد أن توغلنا في أعماق الغابات ولكنهم فاجأوا عدداً من الرجال في شاحنة صغيرة من طراز ب.ف.ب يتعقبون آثارنا ويستجوبون أحد الملاحين عن تحركاتنا في ليلة البارحة. فقررنا أسرهم جميعاً مما اضطرنا إلى تغيير خططنا... ومع ذلك، اتخذنا قراراً بنصب كمين أثناء النهار واسر الشاحنات التي تمر بمضائقها، وبنصب كمين آخر للجيش إذا تقدم في هذه الناحية.

احتجزوا شاحنة واستولوا على حمولتها من الموز، كما احتجزوا عدداً كبيراً من الفلاحين ولكنهم تركوا فلاحاً في حال سبيله، وكان قد جاء بالفعل لمراقبتنا. كما تركوا شاحنات صغيرة عديدة تعمل في الحقول... وقد أخرجنا الطعام عن المسير وبشكل خاص إغراء الخبز الذي عرض الفلاحون تقديمه إلينا ولم نر له أثراً.

اتجهت نيتي إلى تحميل شاحنة صغيرة تابعة للحقول بكل ما جمعناه من أغذية وأطعمة والتقدم مع رجال الطليعة إلى نقطة تقاطع الطرق في تيكوشا الكائنة على بعد أربعة كيلومترات. وعند هبوط الظلام بدأت الطائرة الصغيرة تحوم فوق مواقعنا وازداد حدّة نباح الكلاب في البيوت المجاورة لنا. وحينما أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة كنا قد استكملنا استعدادنا للسفر على الرغم من اكتشاف وجودنا بلا ريب... وفجأة سمعنا أصواتاً تطالب بالبقاء السلاح والاستسلام. عقدت المفاجأة سنتنا ولم يكن لدي

اية فكرة عما يجري في الحقيقة، إنما لحسن حفظنا، كانت حاجياتنا والبضائع المصادرة قد أصبحت في الشاحنة. انتظمت الأمور في الحال من تلقاء نفسها، وكنا جميعاً حاضرين باستثناء لورو... وكان كل شيء يحمل على الاعتقاد بأنه لم يصب بمكروه لأن الصدام قد حدث مع ريكاردو الذي فاجأ دليل الجنود وهم يتسلقون الهضبة لتطويقنا. ويبدو أن الدليل قد أصيب برصاصة. إنطلقنا في الشاحنة وعلى ظهور الخيول المتوفرة (بلغ عددها ستة) وتناوب الرجال ركوب الخيل ثم أصدعناهم جميعاً على ظهر الشاحنة وأعطينا الخيول لرجال الطليعة. وصلنا إلى تيكوشا في الساعة الثالثة والنصف صباحاً وإلى ميزون - وهي مزرعة الكاهن - في الساعة السادسة والنصف، وقبعنا جميعنا بدون حراك في مكان مجوف. كانت نتائج عملنا سلبية: عدم الانضباط والتبصر من ناحية، وفقدان رجل (أمل أن يكون مؤقتاً) من ناحية أخرى... فقدان المؤن التي اشتريناها ولم نتمكن من تحميلها... إضاعة رزمة من الدولارات سقطت من جيب بونيو... تلك هي نتائج هذا العمل... هذا إذا أسقطنا من الاعتبار أننا قد فوجئنا وهزمنّا... على يد مجموعة قليلة العدد. ما زالت أماننا جهود كبيرة ينبغي بذلها لتحويل رجالنا إلى قوة مقاتلة على الرغم من معنوياتهم مرتفعة.

٢٣ نيسان

خصصنا هذا اليوم للراحة، ولم يحدث ما يستحق الذكر. وفي منتصف النهار قامت الطائرة الصغيرة (أ.ت - ٦) بالتحليق فوق المنطقة. أصدرت أوامري في الحال بتعزيز الحراسة ولكنه لم يحدث أي شيء جديد. وحينما حل المساء أصدرت تعليماتي بشأن يوم غد. سيذهب بينينيو وأنيسيتو للبحث عن جواكين وقد أمهلتها مدة أربعة أيام للعودة. أما كوكو وكامبا فسيقومان باستطلاع الطريق المؤدي إلى ريو غراندي وتجهيته ليصبح سالكاً: مدة المهمة أربعة أيام. ونبقى نحن قرب حقول الذرة ننتظر قدوم الجيش... إلى أن يلحق بنا جواكين... الذي تلقى أمراً بالعودة مع جميع رجاله.. وألا يترك أحداً إلا إذا كان مريضاً.

لا أخبار من دانتون والبيلاو ولا من الصحافي الإنكليزي. أخضعت الصحافة للرقابة وأعلنت الإذاعة عن مقابلة أخرى مع ثلاثة أو خمسة أسرى.

٢٤ نيسان

خرج المستكشفون، وأقمنا مخيمنا على مسافة كيلو متر واحد من أعلى النهر، وفوق سفح هضبة صغيرة تستطيع فيها العين أن ترى حتى بيت الفلاح الأخير الكائن قبل مزرعة الكاهن بمسافة تقرب من ٥٠٠ متر (عثرنا على حشيشة الماريهوانا مزروعة في الحقول). عاد الفلاح ولم ينصرف هذه المرة... حدث عجيب! أطلقت طائفة من طراز اب - ٦ مدافعها الرشاشة على البيت الصغير... بعد الظهر.. واختفى باشو بشكل غامض. كان مريضاً فبقي في المؤخرة بعد أن دلّه أنطونيو على الطريق. خرج أنطونيو لملاقاته والعودة به خلال خمس ساعات... ولكنه لم يعد... سنجد غداً في البحث عنه.

٢٥ نيسان

يوم أسود. عاد بومبو في الساعة العاشرة من مركز المراقبة ليحذرنا من أن ٣٠ جندياً يتقدمون الآن باتجاه البيت الصغير. وبقي أنطونيو لرصد تحركاتهم. وبينما كنا نستعد لملاقاتهم جاء هذا الأخير ليعلم أنه رأى ٦٠ جندياً وأن آخرين يتهيأون للحاق بهم. لقد أثبت رجال المراقبة عدم فعاليتهم واتضح أنهم لا يقومون بعملهم كما يجب كما أن تحذيرهم يأتي دوماً متأخراً. قررنا أن ننصب لهم كميناً في الحال في الطريق المؤدي إلى المخيم فاخترنا على وجه السرعة درباً شديد الوعورة على طرف الجدول نستطيع منه الرؤية على بعد ٥٠ متراً. تمركزت هناك مع أوربانو وميغيل ومعنا مدفع رشاش واحتل الطبيب وأرتورو وراؤول جهة اليمين لمنع كل محاولة للهرب أو التقدم من هذه الناحية.. واحتل رولاندو وبومبو وأنطونيو وريكاردو وخوليو وبابلو وداريو وويلي ولويس وليون موقعاً متأخراً على الجانب الآخر من مجرى الجدول لمهاجمة من يحاولون الالتجاء إليه. أما ناتو وأرستاكيو فقد كلفا بالرصد والانسحاب حالاً إلى المؤخرة متى بدأ إطلاق النار. وعهد إلى الشينو بالبقاء في المؤخرة لحراسة المخيم. لقد نقص عدد رجالي ثلاثة هم: باشو الذي ضل طريقه وتوما ولويس اللذان خرجا للبحث عنه.

بعد ذلك بقليل ظهرت طليعة العدو، وكانت تتألف، إزاء دهمشتنا الكبيرة من ثلاثة كلاب المانية مع دليلها. كانت الحيوانات هائجة ولا يبدو عليها

أنها قد اكتشفت مكاننا، ومع ذلك فقد استمرت في تقدمها. أطلقت النار على الكلب الأول وأخطأته، وعندما صوبت النار إلى الدليل تعطلت بندقيتي م ٢- ولم تنطلق الرصاصة. ورأيت ميغيل يقتل الكلب الثاني، وأنا لا أجزم بذلك، ثم انتهى الأمر ولم يقع أحد في الكمين. بدأ إطلاق الرصاص بصورة متقطعة من جانب الجيش، وحين توقف، أرسلت أوربانو إلى الرفاق ومعه أمر بالانسحاب.. جاءني نبأ وقوع رولاندو جريحاً وقد حملوه إلي بعد فترة قصيرة مغطى بالدم ومات قبل أن يتمكن الطبيب من حقنه بالبالازما. لقد اخترقت إحدى الرصاصات عظم الفخذ وبلغت الشرايين والأعصاب ففقد معظم دمه قبل أن نتمكن من إسعافه. فقدنا بذلك أفضل رجل في المجموعة المحاربة وأحد أركانها بالطبع، فقدت رفيقي الذي كان منذ حداثته مراسلاً في الطابور رقم ٤ حتى يوم الغزو ثم إلى هذا اليوم من مغامرتنا الثورية.. إننا كل ما نستطيع أن نقوله عن موته الغامض من أجل مستقبل غامض: «لقد غطت جثتك الصغيرة كقائد شجاع الفضاء الشاسع كله، وكان الباقي عملية انسحاب بطيء تم خلالها إحضار كل شيء ونقل جثة رولاندو إلى (سان لويس) وقد انضم إلينا باشو فيما بعد. كان قد أخطأ طريقه والتحق بكوكو فاستغرقت عودته الليل كله. دفنا الجثة في الساعة الثالثة في حفرة تكاد تستوي مع الأرض. وفي الساعة الرابعة، وصل بينينيو وأنيسيتو يحملان نبأ وقوعهما في كمين (أو بالأحرى اصطدام) للجيش ففقدنا متاعهما ولكنهما عادا سالمين. ويبدو أن هذا الحادث قد تم، إذا صدقت حسابات بينينيو، في أثناء وصولنا إلى ناكاهوازو، لقد سُدَّ علينا الآن المنفذان الطبيعيان، ولا بد لنا من تسلق الجبال لأن الطريق الوحيد إلى ريو غراندي ليس سالكاً لسببين: أولاً لأنه طريق طبيعي. وثانياً لأنه يبعدنا عن جواكين الذي انقطعت أخباره. وصلنا في المساء إلى ملتقى طريقنا ناكاهوازو وريو غراندي وقضينا ليلتنا هناك على أن ننتظر كوكو وكامبا لنجمع شمل فرقتنا الصغيرة.

كانت نتائج العملية سلبية للغاية، فقد مات رولاندو... ثم إن الخسائر التي أوقعتها بالجيش لا تتجاوز رجلين وكلباً لأن موقع الكمين لم يدرس أو يهيأ بعناية، ولأن الرماة لم يتمكنوا من رؤية العدو. وأخيراً، كانت

الرقابة في غاية السوء ولم تتح لنا أن نستعد كما يجب.
حطت طائرة هيليكوبتر مرتين بقرب منزل الكاهن، ولا نعلم إن كان
ذلك بقصد نقل أحد الجرحى. وعادت الطائرات أيضاً لقصف مواقعنا
القديمة، وهذا ما يثبت أن العدو لم يتقدم على الإطلاق.

٢٦ نيسان

سرنا بضعة أمتار، وأصدرت تعليماتي إلى ميغيل بالبحث عن مكان
صالح لإقامة المخيم، بينما أرسلت رجلاً آخر للبحث عن كوكو وكامبا.
ولكن ميغيل عاد في الظهيرة مع الغائبين. ويبدو أنهما قد مهّدا الطريق
لأربع ساعات من المسير، وأن هناك إمكانية لمحاولة تسلق الهضبة. وعلى
أية حال، فقد أرسلت بينينيو وأوربانو لدراسة إمكانية القيام بالتسلق من
طريق آخر بالقرب من وادي النهر الذي يصب في ناكاهوازو ولكنهما عادا
عند الغروب بأنباء سيئة للغاية.

اتخذنا قراراً بمواصلة المسير في الطريق الذي شقه كوكو حتى نعثر
على طريق آخر يقودنا إلى إيكيري. لدينا الآن تعويذة، شادن أطلق عليه اسم
لولو، سنرى إن كان مقدراً له أن يعيش.

٢٧ نيسان

قطعنا الطريق الذي مهّده كوكو في ساعتين ونصف الساعة. ووصلنا إلى
مكان تنتشر فيه أشجار البرتقال ذات الثمار المرة... ويبدو أن هذا المكان
يقابل في الخارطة مازيكو. استمر أوربانو وبينينيو في شق الطريق ومهّدا
لمسافة ساعة من المسير. البرد قارس في الليل.

نقلت الإذاعات البوليفية بلاغات للجيش تعلن عن مصرع دليل مدني،
ومدرب للكلاب، وكلب واحد اسمه ريو، وعن مقتل اثنين من رجالنا يعتقد
أن أحدهم كوبي وهو الملقب روبيو والآخر بوليفي. وصلتنا أنباء مؤكدة
عن اعتقال دانتون بقرب كاميري. ومن المؤكد أن الآخرين أحياء وهم
معتقلون معه أيضاً.

الارتفاع: ٩٥٠ متراً.

٢٨ نيسان

سرنا ببطء حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. وفي هذه الساعة كانت مياه

الجدول قد جفت، واتخذ اتجاهأ آخر فتوقفنا قليلاً. لم يكن بوسعنا استطلاع المنطقة نظراً للوقت المتأخر فعدنا إلى نقطة يتوفر فيها الماء لنصب المخيم. بقي لنا من الطعام ما يكفي لاربعة أيام. سنحاول غداً أن نصل إلى ناكاهوازو عن طريق الإيكيري بعد تمهيد الطريق طبعاً.

٢٩ نيسان

قمنا بمحاولات عديدة للخروج، مستعينين ببعض الشقوق التي رأيناها، ولكن بدون جدوى. ومما طُيّب نفوسنا أننا على الأقل في وادٍ بعيد عن الأخطار. قال كوكو إنه رأى وادياً معترضاً ولم يبق باستطلاع بعد. سنقوم جميعنا غداً بهذه المهمة. فككنا كلياً، ولكن بتأخر كبير، الرسالة رقم ٣٥ وأهم ما جاء فيها فقرة تستأذن تذييل إسمي على نداء من أجل فييتنام بمبادرة من برتراند راسل.

٣٠ نيسان

بدانا في تسلق الهضبة، وما كنا نظنه وادياً إنتهى بنا إلى سفح شديد الوعورة. ولكننا وجدنا ممراً صغيراً يمكننا من مواصلة التسلق. فاجأنا الليل بقرب القمة فنمنا هناك دون أن نشعر ببرد قارس. مات لولو ضحية لطباع أوربانو العنيفة فقد أطلق عليه هذا الأخير رصاصة في رأسه.

أعلنت إذاعة هافانا أن بعض الصحفيين الشيليين قد صرحوا بأن حروب العصابات قد اشتدت لدرجة أنها تحبط مشاريع المدن وبأن المحاربين قد استولوا مؤخراً على شاحنتين عسكريتين محملتين بالأغذية. ونشرت صحيفة «سيميبر» مقابلة مع باريانتوس اعترف خلالها بأن هناك مستشارين عسكريين يانكيين في الجيش وبأن الثورة المسلحة قد اندلعت نتيجة لظروف بوليفيا الاجتماعية.

التحليل الشهري

تبدو الأمور طبيعية تقريباً على الرغم مما منينا به من خسارتين فادحتين اليمتين: روبيو ورولانودو. إن موت هذا الأخير ضربة اليمه لي لأنني كنت أفكر بتسليمه القيادة في حال فتح جبهة ثانية. قمنا بأربع

عمليات جديدة وكانت نتائجها ايجابية بشكل عام بل إن إحداها كانت ناجحة للغاية: وأعني بها معركة الكمين التي سقط فيها الروبيو قتيلاً. ومن نواحي أخرى، لا تزال عزلتنا كلية، وقد اجتاحت الأمراض بعضاً من رفاقنا مما اضطرنا إلى تقسيم قوانا. وشُلّ بذلك حيز كبير من نشاطنا. لم نستطع، حتى الآن، تجديد الاتصال مع جواكين... والقاعدة الفلاحية لا تنمو أيضاً على الرغم من أن هناك ما يدل على أننا سوف نتوصل إلى عزل قسم كبير من الفلاحين عن الحكومة بفضل الاتصال المنظم... ومتى تمت هذه العملية فإن الفلاحين سوف يسارعون إلى مساندتنا. لم يلتحق بالحرب أي متطوع جديد وقد فقدنا إلى جانب موتانا... لورو الذي اختفى بعد اشتباك تابيريلاس.

وتلك هي ملاحظاتي حول الاستراتيجية العسكرية:

١ - لم تكن الرقابة المفروضة علينا فعالة حتى الآن. إنها تسبب لنا بعض الضيق، ولكنها لا تعيقنا عن التنقل نظراً لضعف قوات العدو وعدم قدرتها على الحركة. ويعتقد أنها لن تخاطر بدخول الغابات بعد الكمين الأخير ضد الكلاب والمدرّب.

ب - لا تزال أعمال التفتيش قائمة على جانبي النهر، وأعتقد أن وجودي هنا قد تأكد لدى السلطة وخاصة بعد نشر مقال لي في هافانا. ومما لا شك فيه أن الأمريكيين الشماليين سوف يتدخلون بشراسة وقد باشروا الآن بإرسال طائرات هليكوبتر ومظليين رغم أننا لم نشاهد أثراً لهؤلاء الجنود في المنطقة.

ج - لقد حسّن الجيش (أو على الأقل كتيبة أو كتيبتان) من تقنيته. فقد فاجأنا في تابيريلاس ولم تتداع معنوياته في الميزون.

د - التعبئة الفلاحية مفقودة تماماً إلا في بعض نواحي نشاطنا الاستعلامي عن تحركات العدو ومع ذلك فهذا النشاط ليس جريئاً ولا فعّالاً، وأعتقد أن بإمكاننا الإستغناء عنه.

تغيير وضع الشينو وسوف يصبح مقاتلاً إلى حين فتح جبهة ثانية أو

ثالثة. سقط دانتون وكارلوس ضحيتين لتسرعهما ورغبتهما الياثسة في

السفر وكذلك لعدم قيامي بمنعهما من ارتكاب هذه الخطوة... وباعتقائهما،
قطعت مواصلاتنا مع كوبا (دانتون) كما ضاعت خطة العمل في الأرجنتين
(كارلوس).

وباختصار، إنه شهر جرت فيه الأمور بشكل طبيعي، هذا إذا ما أخذنا
بعين الاعتبار المفاجآت التي تتمخض عنها حرب العصابات. المغنويات
مرتفعة لدى جميع المقاتلين الذين اجتازوا بنجاح التجربة التمهيديّة
كمحاربين.

أيار ١٩٦٧

١ أيار

إحتفلنا بعيد الأول من أيار ونحن نمهد الطريق متقدمين فيه ببطء شديد، ولم نستطع حتى الآن الوصول إلى الخط الفاصل بين النهرين. القى «الميدا» خطاباً في هافانا مشيداً بي وبمشاهير المحاربين البوليفيين، كان خطابه طويلاً ولكن جيداً. بقي لنا من الطعام ما يكفينا لثلاثة أيام. أصاب ناتو عصفوراً بمقلعه... ودخلنا عصر الطيور.

٢ أيار

يوم من التقدم البطيء والارتباك بالنسبة للوضع الجغرافي. سرنا في الحقيقة، مدة ساعتين فقط، بسبب صعوبة الطريق المليء بالاشواك والنباتات التي انهمك الرفاق في قطعها، واستطعت أن أرى من إحدى المرتفعات مكاناً قريباً من ناكاهوازو، مما يدل على أننا قد اتجهنا كثيراً إلى الشمال، ولكنني لم أر أثراً للإيكيري. أصدرت أمراً إلى ميغيل وبينينيو بتمهيد الطريق طيلة النهار في محاولة للوصول إلى إيكيري أو على الأقل إلى أحد الينابيع لأننا نشكو من نقص في المياه. بقي لنا من الطعام ما يكفي خمسة أيام... وبحدود وجبات خفيفة. لا يزال راديو هافانا يتابع حملته

الإعلامية على بوليفيا ولكن أنباءه لا تخلو من المبالغة.
الإرتفاع: ١٧٦٠ متراً وقد نمت على إرتفاع ١٧٣٠ متراً.

٣ أيار

قضينا يوماً كاملاً في تمهيد الطريق، وهكذا أتيح لنا أن نسير مدة ساعتين أو أكثر بقليل، وقد وصلنا إلى جدول يبدو أنه يتجه نحو الشمال. سنقوم في الغد باستطلاع المنطقة لنرى ما إذا كان الجدول يحافظ على اتجاهه بينما كان الرفاق يتأهبون على شق الطريق. بقي طعام يكفي ليومين فقط وبحدود وجبات خفيفة. نحن الآن على إرتفاع ١٠٨٠ متراً وعلى إرتفاع ٢٠٠ متر عن مستوى نهر ناكاهوازو. سمعنا صوت محرك آتياً من بعيد، ولكننا لم نستطع تحديد مصدره.

٤ أيار

استمر العمل في شق الطريق، منذ الصباح، بينما توجه كوكو وأنيسيتو لاستشكاف الجدول وقد عادا في الساعة الواحدة بعد الظهر ليؤكدوا أنه ينعطف إلى الشرق وإلى الجنوب، وقد يكون هو الإيكيري. أصدرت، حينئذ، أمراً بإحضار الرفاق الذين يمهدون الطريق واتباع مجرى الجدول في انحداره. انطلقنا في الساعة الواحدة والنصف، وتوقفنا في الساعة الخامسة بعد أن تأكدنا، هذه المرة، من أن اتجاهه العام هو اتجاه شرقي - شمالي - شرقي، وأنه بالتالي لا يمكن أن يكون نهر إيكيري ما لم يغير مجراه. قال الرفاق الذين يمهدون الطريق إنهم لم يجدوا ماء ولم يصادفوا سوى أراضٍ قاحلة... فاتخذنا قرارنا، حينئذ، بمواصلة المسير في اتجاه ريو غراندي. لم نصطد سوى «كاكاري» واحد^(١) كان من نصيب رجالنا الذين يشقون الطريق وذلك لصغر حجمه. بقي لنا طعام هزيل يكفي ليومين.

أعلنت الإذاعة نبأ اعتقال لورو بعد أن جرح في ساقه. تبدو تصريحاته حتى الآن جيدة، وكل الدلائل تشير إلى أنه لم يجرح في البيت وإنما في مكان آخر، وعلى الأرجح، في أثناء محاولته الفرار.

الإرتفاع: ٩٨٠ متراً.

(١) عصفور صغير يصوت حين يقترب منه البشر أو الحيوانات.

٥ أيار

سرنّا مدة خمس ساعات فعلية وقطعنا من ١٢ إلى ١٤ كيلومتراً ووصلنا إلى مخيم أعدّه كل من إنتي وبينينيّو. نحن الآن على ضفاف جدول كونغري الذي لا يظهر على الخارطة، بعيداً إلى شمال المكان الذي توقعناه فيه. وهذا ما أثار التساؤلات التالية: أين نهر إيكيري؟ أو لم تتم مفاجأة بينينيّو وأنيسيتو في الإيكيري؟ اليس المعتدون من رجال جواكين؟ قررنا في الوقت الحاضر التوجه إلى مخيم الدب، حيث يوجد من الطعام ما يكفي ليومين... ثم ننطلق بعد ذلك إلى المخيم القديم. إصطدنا اليوم طيرين كبيرين وطير «كاكاري» مما أتاح لنا توفير بعض الطعام وتخزين احتياطي ليومين: حساء في أكياس صغيرة ولحوم محفوظة. وقد عُهد إلى إنتي وكوكو والطبيب بمهمة الصيد.

جاء في الأخبار أن دوبريه سيحال إلى محكمة عسكرية في كاميري بتهمة تزعم حرب العصابات وتنظيمها. ستصل أمه غداً، ولا تزال هذه القضية تثير ضجة كبيرة. لا نبأ من لورو.
الإرتفاع: ٨٤٠ متراً.

٦ أيار

تبين أن تقديراتنا لمدة وصولنا إلى مخيم الدب كانت خاطئة لأن المسافة إلى بيتنا الصغير القائم عند الجدول كانت أطول مما توقعناه، كما كان الطريق مسدوداً واضطربنا حينئذ إلى شق ممر. وصلنا إلى الكوخ في الساعة الرابعة والنصف بعد أن اجتزنا جبلاً يبلغ ارتفاعها ١٤٠٠ متر وبعد أن سثم رجالنا طول المسير، تناولنا العشاء قبل الأخير وكان هزياً للغاية. اصطاد رفاقنا جبلاً واحداً أعطيناه إلى بينينيّو ليتقاسمه مع الرجلين اللذين كانا في أثره وفقاً لترتيب القافلة.

لا تزال الأخبار تولي قضية دوبريه اهتماماً بالغاً.
الإرتفاع: ١١٠٠ متر.

٧ أيار

وصلنا في ساعة مبكرة إلى مخيم الدب، ووجدنا في انتظارنا ثماني علب من الحليب... أعددنا منها إفطاراً شهياً. وأخرجنا بعض الحاجيات من

الكهف المجاور ومن بينها موزر لناتو سيفيدنا كبازوكا وكذلك خمس قنابل مضادة للدروع. ساءت صحة ناتو على إثر نوبة من التقيؤ. ما كدنا نصل إلى المخيم حتى خرج بينينيو وأوريانو وليون وإنيسيتو وبابلو لتفقد المزرعة الصغيرة. أكلنا آخر حساء لدينا وآخر وجبة من اللحم، ولكننا اكتشفنا مؤونة من الشحم في الكهف، وعثرنا هناك أيضاً على آثار خطي، وبعض الأضرار الطفيفة مما يدل على أن بعض الجنود قد زاروا المكان. عاد المستكشفون، عند الفجر، وأيديهم فارغة: فالجنود يقيمون في المزرعة وقد قطفوا الذرة (انقضت ستة شهور حتى اليوم على وصولي إلى هنا واندلاع حرب العصابات رسمياً).
الإرتفاع: ٨٨٠ متراً.

٨ أيار

طلبت من الرفاق ترتيب الكهوف في وقت مبكر، وإخراج تنكة الشحم حتى يتسنى لنا تعبئة بعض الزجاجات منها... فهذا كل ما تبقى لنا من طعام. وحوالي الساعة العاشرة والنصف، سمعنا بعض العيارات النارية المتقطعة في مكان الكمين، وقد تبين أن جنديين غير مسلحين كانا يصعدان نهر ناكاهوازو فاعتقد باشو أنهما من طليعة الجيش وأطلق عليهما الرصاص، وأصابهما بجروح في الساق وخدوش في البطن. قال لهما إنه أطلق النار عندما رفضا الإستجابة لأوامره بالتوقف... أما هما فلم يسمعا شيئاً من ذلك بالطبع. لم يكن الكمين معداً كما يجب، كما أن باشو تصرف بعصبية. تحسن الموقف عندما أرسلت انطونيو وآخرين إلى الجانب الأيمن من الكمين.

قال الجنديان إن قوات الجيش ترابط قرب إيكيري ولكنهما لم يكونا صادقين. وعند الظهر، أسرنا جنديين آخرين كانا يركضان على طريق نهر ناكاهوازو وقد صرّحا بأنهما خرجا إلى الصيد، وعند عودتهما عن طريق الإيكيري لم يشاهدا أثراً لكتبتيتهما فأسرعا للبحث عنها والالتحاق بها... كانا يكتبان أيضاً. كان الجنود معسكرين في الحقيقة في حقل الصيد وقد أرسلوا هذين الرجلين لإحضار الطعام من مزرعتنا بعد أن توقفت طائرة الهيليكوبتر عن تموينهم. صادرنا من الجنديين الأوليين أربع علب من الذرة المجففة والخضراء وأربع علب من السمك بالإضافة إلى السكر

والقهوة. وهكذا أسكتنا بطوننا الجائعة في هذا اليوم بالشحم الذي التهمنا منه كميات كبيرة حتى أن بعضهم وقع مريضاً.

وفي وقت متأخر، أبلغنا رجال المراقبة بتكرار تسلل الجنود الذين يصلون إلى منعطف النهر ثم يعودون أدراجهم. وبلغ التوتر حده الأعلى عندما وصل ٢٧ جندياً ويبدو أنهم اشتبهوا بوجودنا فتقدموا بقيادة الملازم لوريدو... فتح لوريدو النار ولكنه سقط في الحال قتيلاً مع جنديين آخرين. وكانت الظلمة قد بدأت تحجب كل شيء فتقدم رجالنا وأسروا ستة جنود، أما الآخرون فقد انسحبوا.

نتيجة الكمين: ٣ قتلى و ١٠ أسرى منهم جريحان، ٧ بنادق م - ١ و ٤ موزر مع حاجيات شخصية وذخائر وكميات من الطعام... أخدمنا جوعنا الشديد بمساعدة الشحم أيضاً. وقد نمنا في مكاننا.

٩ أيار

نهضنا في الساعة الرابعة (لم يغمض لي جفن طيلة الليل) وأخلينا سبيل الجنود بعد أن قمنا باستجوابهم. صادرننا منهم أحذيتهم وملابسهم العسكرية، وأعطيناهم، في المقابل، بعض الثياب العادية... وأما أولئك الذين كذبوا علينا فإننا لم نترك لهم سوى السراويل... وقد توجهوا إلى المزرعة يحملون جرحاهم. أما نحن فانسحبنا في السادسة والنصف إلى جدول القروء بعد أن عرّجنا على الكهف وأخفينا فيه غنائمنا. لم يبق لنا ما نأكله سوى الشحم... شعرت بتعب شديد، وأخلدت للنوم ساعتين كاملتين لأواصل الطريق بعد ذلك بخطى بطيئة متثاقلة... ويبدو أن هذه هي حال جميع الرفاق. تناولنا حساء مع الشحم عند أول نقطة للمياه وقد بدأ الرجال الضعفاء وآخرون أيضاً يشكون من ألم الارتشاح.

أصدرت قيادة الجيش بلاغاً في المساء يتضمن عدد القتلى والجرحى الذين سقطوا نتيجة للإشتباك ولكنه لم يذكر أي شيء عن الأسرى... وقد أعلن البلاغ أيضاً عن وقوع معارك كبيرة وخسائر جسيمة في جانبنا.

١٠ أيار

واصلنا تقدمنا ببطء. وحين وصلنا إلى المخيم الذي يضم رفات الروبيو وجدنا اللحم المجفف الذي تركناه هناك في حالة سيئة، كما وجدنا شحماً أيضاً، فجمعنا كل ما وقع تحت أيدينا. لم نثر على أثر للجنود.

اجتازنا ناكاهوازو بحذر شديد وبدانا المسيرة إلى بيريرندا مروراً بواو كان ميغيل قد استكشفه من قبل وكانت مسالكة بحاجة إلى تمهيد في بعض الأحيان. توقفنا في الساعة الخامسة، واكلنا قطعة من اللحم المجفف مع الشحم.
الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

١١ أيار

إنطلق رجال الطليعة في المقدمة، وبقيت أنا أترقب أنباء الإذاعة. وبعد ذلك بقليل جاء أوربانو ليقول لي إن بينينيو قد اصطاد خنزيراً برياً وأنه يطلب السماح له بإشعال النار وإعداد الشواء. قررنا حينئذ أن نبقى في مكاننا لاكل الحيوان بينما كلف بينينيو وأوربانو وميغيل بمواصلة شق الطريق في اتجاه البحيرة. عاودنا المسير في الساعة الثانية بعد الظهر، ثم نصبنا المخيم في الساعة السادسة. أما ميغيل والرفاق الآخرون فقد استمروا في تمهيد الطريق.

لا بد لي أن أتحدث بجدية إلى بينينيو وأوربانو. فقد اكل الأول معلبة واحدة يوم القتال ونفى أن يكون قد فعل ذلك، أما أوربانو فقد اكل قسماً من اللحم المجفف في مخيم الروبيو.

جاء في الأنباء أن الكولونيل روشا، قائد الفرقة الرابعة العاملة في المنطقة، قد أعفي من منصبه.

١٢ أيار

سرنا ببطء وقام أوربانو وبينينيو بفتح الطريق. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر رأينا البحيرة التي تقوم على مسافة ما يقرب من خمسة كيلومترات ثم عثرنا، بعد ذلك، بقليل على طريق قديم. وبعد ساعة من المسير، وصلنا إلى حقل شاسع من الذرة والقرع، ولكننا لم نجد فيه أثراً للماء. أعددنا طعاماً من القرع المحمر والمقلي بالشحم، ومن الذرة المشوية وقمنا بتخزين بعض الذرة الخضراء، وقدعنا المستكشفون يحملون نبأ عثورهم على بيت شيشو، وهو نفس البيت الذي يشير إليه الملازم هنري لوريديو في يومياته، ويتحدث عن صاحبه كإنسان وصديق طيب. لم يكن شيشو في منزله، ولكننا وجدنا فيه أربعة عمال وخادمة جاء زوجها ليعيدها إلى البيت فمنعناه من ذلك. اكلنا خنزيراً مع الأرض وقوادم مقلية بالإضافة إلى القرع.

وبقي بومبو وأرتورو وويلي وداريو لحراسة العتاد ولكننا لم نجد لسوء الحظ ماء سوى ماء البيت:

إنسحبنا في الساعة الخامسة والنصف بخطى بطيئة، وشكا الرفاق جميعاً من حالتهم الصحية. ولم يكن صاحب البيت قد عاد من سفره فتركنا له مذكرة بقيمة الأضرار والأشياء التي حملناها ودفعنا للخادمة ولكل من العمال مبلغ عشرة دولارات لقاء عمله.
الإرتفاع: ٩٥٠ متراً.

١٣ أيار

يوم من التجشوء والرياح (رياح الجوف) والتقويء والإسهال... كونسيرتو أرعن حقيقي. بقينا في مكاننا بلا حراك علنا نستطيع هضم الخنزير ونطفئ ظمأنا بعلبتين من الماء. وشعرت بألم شديد لم يبارحني حتى تقيأت. وفي المساء، أعددنا عشاء من الذرة المقلية والقرع المشوي ومن بقايا وليمة البارحة للذين تحملت معدتهم لحم الخنزير. رددت جميع الإذاعات في نشراتها الإخبارية أن إنزالاً قد فشل في فنزويلا وأن حكومة ليوني قد أذاعت على الملأ أسماء ورتب جميع الرجال المشتركين في العملية. لم أتعرف على أي منهم ولكن الدلائل تشير إلى وقوع عملية غير ناجحة.

١٤ أيار

إنطلقنا في ساعة مبكرة بدون حماسة كبيرة، في محاولة للوصول إلى بحيرة بيريرندا مروراً بطريق كان بينينيو وكامبا قد اكتشفاه أثناء جولة استطلاعية... وقد عقدت اجتماعاً للرجال قبل تحرك الركب وأبدت لهم بعض الملاحظات بخصوص المعضلات التي قد نواجهها وبشكل أساسي مشكلة الطعام. انتقدت بينينيو لأكله معلبة دون سائر الرفاق ثم لإنكاره ذلك، كما انتقدت أوربانو لأكله اللحم المجفف خلسة وأنيسيتو لما يديه من حماسة في كل ما يمت بصلة إلى الطعام، بينما يرفض التعاون في مجالات أخرى. وأثناء الاجتماع سمعنا هدير شاحنات تقترب منا فأخفينا في مخبأ مجاور قرابة ٥٠ قرعة وكنتالين من حبوب الذرة احتياطاً لأيام الحاجة.

تركنا الطريق باتجاه بعض الحقول لقطف الفاصوليا. وفجأة دوت

انفجارات شديدة بالقرب منا وأبصرنا الطائرات وهي «تقصفنا بوحشية» ولكن قنابلها سقطت على بعد كيلو مترين أو ثلاثة من مواقعنا. واصلنا تسلق مرتفع صغير وظهرت لنا البحيرة بينما كان الجنود لا يزالون يلاحقوننا بنيرانهم. وحين غابت الشمس وصلنا إلى بيت مهجور، وتبين لنا أن أصحابه قد أدخلوه منذ فترة قصيرة وكان يحوي مؤناً وافرة إلى جانب الماء.

تناولت عشاء شهياً قوامه دجاج محمر مع الارز وبقينا هناك حتى الساعة الرابعة.

١٥ أيار

لا شيء يستحق الذكر.

١٦ أيار

تعرضت منذ بدء المسير لمغص شديد يرافقه تقيؤ وإسهال، وقد تم التغلب عليه بالدومورول بعد أن فقدت وعيي كلياً. حملني الرفاق إلى أرجوحة... وعندما استيقظت كان الوجع قد زال ولكنني «تبرزت» في ثيابي كالطفل الرضيع تماماً. أغارني أحد الرفاق بنظالاً ولم أستطع تنظيف نفسي بسبب عدم وجود الماء. قضينا طيلة النهار في مكاننا وكنت شبه مخدر. وقد خرج كوكو وناتو لاستشكاف المناطق المجاورة وعثرا على طريق يتجه جنوباً - شمالاً. فسلكناه في المساء إلى أن غاب ضوء القمر، وحينئذ، توقفنا للإستراحة.

تلقينا الرسالة رقم ٢٦ التي تشير إلى العزلة الكلية المحيطة بنا.

١٧ أيار

واصلنا المسير حتى الساعة الواحدة بعد الظهر... فتوقفنا في منشرة هجرها أصحابها منذ ثلاثة أيام مضت كما تشير الدلائل. عثرنا فيها على سكر وذرة وشحم وطحين وماء مخزن في البراميل حُمل من بعيد كما يبدو. بقينا هناك لنصب المخيم بينما خرج الرجال لاستكشاف الطرق التي تنطلق من المنشرة وتضيق في الغابات. شكا راوول من التهاب في ركبته يسبب له ألماً شديداً ويمنعه من المسير. فأعد له الطبيب لزقة من دواء قوي مضاد للحويوات، وسوف يقوم غداً بتفريغ القيح. قطعنا قرابة ١٥

كيلو متراً.

الإرتفاع: ٩٢٠ متراً.

١٨ أيار

روبرتو جوان مارتن

قضينا اليوم في كمين نصبناه احتراساً من قدوم عمال المنشرة أو الجنود ولكن أحداً لم يظهر. خرج ميغيل مع بابلو وعشرا على ينبوع ماء في نقطة تبعد حوالي ساعتين من المخيم ويمكن الوصول إليها بطريق جانبي. أفرغ الطبيب القيح من ركبة راوول وسحب منها ٥٠ سنتيمتراً مكعباً من السائل المتقيح وطلب إليه اتباع علاج مضاد للإلتهابات. إنه لا يستطيع أن يخطو خطوة واحدة. قمّت بخلع السن الأولى خلال هذه الحرب وكانت الضحية المتقدمة هي كامبا، ولكن الأمور جرت على خير ما يرام. أكلنا خبزاً أعدناه في فرن صغير، وفي المساء، تناولنا حساء مخيفاً مرضت على أثره مرض كلب مسعور.

١٩ أيار

خرج رجال الطليعة في ساعة مبكرة لأخذ مواقعهم في كمين نصبناه على مفترق طرق، وجاء دورنا للحلول مكان قسم من هؤلاء الرجال الذين عهدت إليهم حينئذ بالبحث عن راوول وإحضاره إلى مكان قريب منا. أما بقية الوسط فقد واصلت مسيرتها إلى نقطة الماء التي تم اكتشافها لتضع هناك أكياس المؤن وقد عادت أدراجها ومعها راوول الذي بدأ يتماثل للشفاء. قام أنطونيو باستطلاع سريع نحو السافلة ووجد مخيماً مهجوراً للجنود وبعض الأطعمة المجففة. لم يعد ناكاهوازو بعيداً وقدرت أننا سنصل عما قريب إلى أسفل نهر كونغري. أمطرت السماء طيلة الليل خلافاً للتنبؤات. ولدينا الآن مؤن تكفينا لعشرة أيام كما يوجد في جوارنا قرع وذرة.

الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

٢٠ أيار

لم نبرح مخيمنا هذا اليوم. نصبت مجموعة الوسط كميناً، في الصباح، وحلت مكانها الطليعة بعد الظهر بقيادة بومبو الذي وجد أن المكان غير

مناسب. قام ميغيل باستطلاع سافلة الجدول، وعثر على نهر ناكاهوازوا على مسيرة ساعتين ولكن بدون حمل المتاع. سمعنا بوضوح طلقة نارية لم نعرف مصدرها وعثرنا بقرب ضفاف ناكاهوازوا على آثار لمخيم عسكري ثان كان قد أعد لسريتين. حدث أمر يؤسف له حين قام لويس بتمثيل دور المحتضر، وقد عاقبته وحرمته من الاشتراك في الكمين فانفعل كثيراً على ما يبدو.

رفض باريانتوس في حديثه الصحفي أن يقر الصفة الصحفية لدوبريه وأعلن أنه سيطلب من الكونغرس استصدار قانون لتثبيت الحكم بالإعدام، وقد وجه إليه معظم الصحافيين الأجانب أسئلة حول دوبريه، فدافع عن موقفه بحجج واهية للغاية. إنه أعجز إنسان على ظهر البسيطة.

٢١ أيار

الأحد. لم نتحرك من مكاننا وعدنا إلى نصب الكمين في ساعة الظهيرة بتناوب كل عشرة رجال. بدأت حالة راوول الصحية تتحسن ببطء، وقام الطبيب، مرة أخرى، بشق الجرح وسحب هذه المرة ٤٠ سنتيمتراً مكعباً من السائل المتقيح. نزلت حرارته، ولكنه لا زال متألماً كما أنه عاجز عن السير... إنه يشغل فكري في الوقت الحاضر. تناولنا عشاء رائعاً يتألف من الحساء والطحين واللحم المجفف المفروم والقرع مع صلصة الذرة المسلوقة.

٢٢ أيار

صدق حدسي. فقد وصل ظهراً غوزمان روبلز، صاحب المنشرة في سيارة جيب متأكلة يرافقه سائقه وابنه. كان يبدو في أول الأمر أنه جاء بإيعاز من الجيش ليرى ما يجري في المنطقة ولكنه أخذ شيئاً فشيئاً يطمئن لوجودنا ويطلعنا على مكنونات نفسه، وقد وافق على أن يذهب مساء إلى غوتيريز تاركاً ابنه رهينة على أن يعود في الغد. تقرر أن تبقى الطليعة مرابطة في الكمين طيلة الليل وأن ننتظر نحن عودة الرجل حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر. كان علينا أن ننسحب بعد ذلك لأن الموقف قد يصبح خطيراً. كل شيء يحملنا على الاعتقاد بأن الرجل لن يخوننا ولكننا لم نعلم إن كان سيتمكن من ابتياع حاجياتنا الضرورية بدون إثارة الشبهات. وقد عوّضناه عن الخسائر التي لحقت بأرضه وأقضى إلينا

بمعلوماته عن الموقف في تاتارندا وليمون وايبيتا... ويبدو أن هذه الامكنة خالية من الجنود باستثناء (ايبيتا) حيث يوجد ضابط برتبة ملازم اول... وقال لنا إنه لم يذهب قط إلى تاتارندا وإن معلوماته عنها مستقاة من الآخرين.

٢٣ أيار

يوم متوتر. لم يظهر صاحب المنشرة طيلة النهار. وعلى الرغم من الهدوء الذي يسود المنطقة فقد قررنا الانسحاب مساء مصطحبين معنا الصبي الذي كان في السابعة عشرة من عمره. سرنا مدة ساعة كاملة مهتدين بضوء القمر، ثم نمنا في الطريق. وقد حملنا معنا من الاغذية ما يكفينا لعشرة أيام.

٢٤ أيار

وصلنا بعد ساعتين من المسير إلى ناكاهوازو وكان يبدو مقفراً. وفي حوالي الرابعة انطلقنا نحو سافلة نهر كونغري. سرنا ببطء نظراً لخطي ريكاردو ومورو المتثاقلة. ووصلنا إلى المخيم الذي لجأنا إليه في أول يوم من رحلتنا الاولى. ولم نخلف وراءنا أي أثر، ولم نر بدورنا أية آثار حديثة. وقد جاء في أنباء الإذاعة أن الطلب المقدم من هابياس كوربوس بخصوص دوبريه قد رفض. قدرت أننا على مسافة ساعة أو ساعتين من سالاديو وحين نصل إلى القمة سنقرر ما يجب عمله.

٢٥ أيار

وصلنا إلى سالاديو بعد ساعة ونصف الساعة من المسير المتواصل دون أن نترك وراءنا أي أثر. سرنا صعوداً ما يقرب الساعتين، حتى عثرنا على منبع النهر. وهناك أكلنا، وواصلنا صعودنا في الساعة الثالثة والنصف، وسرنا أيضاً حوالي ساعتين... وحين أشارت عقارب الساعة إلى السادسة أقمنا مخيمنا على ارتفاع ١١٠٠ متر ولم نكن قد بلغنا القمة، وإذا صدق الصبي فإن أمامنا فرسخين حتى نصل إلى مزرعة الجد الغنية بمنتوجاتها الزراعية. ويعتقد أنينيبيو أن أمامنا مسيرة يوم كامل قبل أن نبلغ بيت فارغاس، على الديوغراندي. سنرى ما ينبغي عمله في الغد.

٢٦ أيار

بعد ساعتين من المسير، بلغنا خلالها القمة التي ترتفع قرابة ١٢٠٠ متر، وصلنا إلى مزرعة تخص جد الصبي، وكان يعمل فيها فلاحان فتوجهنا لملاقاتنا حالما وقعت أنظارهما علينا. كانا متصاهرين مع العجوز الذي تزوج من شقيقة لهما. ابلغانا أن والد الصبي قد اعتقل وأنه اعترف بكل شيء. وقال إن هناك ٣٠ جندياً يرابطون في ابييتا ويفتشون المنطقة باستمرار. اكلنا خنزيراً مقلياً وقرعاً مشوياً مع الشحم. كانت المنطقة خالية من الماء، كذلك كانوا ينقلونه من (ابييتا) ويخزنوه في البراميل. توجهنا في المساء نحو أراضي الشقيقين، واجتزنا مسافة ثمانية كيلومترات: أربعة كيلو مترات باتجاه ابييتا وأربعة أخرى باتجاه الغرب. ووصلنا قرابة الفجر.
الإرتفاع: ١١٠٠ متراً.

٢٧ أيار

يوم من الاسترخاء والتشاؤم. لم نجد في المنطقة من بين جميع الحاجيات البديعة الموعودة سوى القليل من قصب السكر كما كانت المعصرة بدون فائدة. وقد صدق حدسنا حينما قدم مالك الأرض العجوز في الظهيرة يجر عربته المحملة بالماء للخنازير. وقد لمح شيئاً غريباً... أثناء عودته باتجاه المكان الذي نصب فيه رجال المؤخرة كمينهم فأسره هؤلاء كما أسروا فلاحاً يعمل معه. بقيا في الأسر حتى الساعة السادسة وحينئذ أطلقنا سراحهما وسراح أحد الشقيقين، وأوصيناهم جميعاً بعدم مغادرة المنطقة حتى يوم الإثنين، وبالتزام الصمت. سرنا مدة ساعتين باتجاه كاراغواترندا، ثم نمنا في حقل من حقول الذرة.

٢٨ أيار

الأحد. نهضنا باكراً وتابعنا طريقنا إلى أن وصلنا بعد ساعة ونصف الساعة إلى مزارع كاراغواترندا فأرسلنا بينينيوكو وكوكو لاستطلاع المنطقة، ولكن أحد الفلاحين رأهما فاضطرا لأسره. وبعد ذلك بقليل، تجمع لدينا عدد كبير من الأسرى الذين لم يبدوا شعوراً بالخوف. وأخذت امرأة عجوز تصرخ مع أولادها لإثارة إنتباه الناس ولكن باشو وبابلو لم

يطاوعهما قلبهما على احتجازهما ففرت إلى القرية. قمنا باحتلال القرية في الساعة الثانية بعد الظهر بعد أن اقمنا مراكزنا على طرفيها. واستولينا على سيارتي جيب وشاحنتين، بعضها للأهلين وبعضها الآخر لحقول النفط. أكلنا قليلاً، وشربنا قهوة، وبعد مناقشات عديدة لا تحصى، انطلقنا في الساعة السابعة والنصف باتجاه «ايبيتاسيتو» وهناك اقتحمنا مخزناً واشترينا منه بضائع بقيمة ٥٠٠ دولار وضعناها باحتفال مهيب تحت حراسة الفلاحين... ثم واصلنا الطريق إلى أن انتهينا إلى إيتاي حيث استقبلنا بحفاوة في بيت اتضح أن صاحبه هو أيضاً صاحب مخزن ايبيتاسيتو. استعرضنا عنده لائحة الأسعار، وأجريت معه نقاشاً، وخيل إلي أنه قد عرفني... كان لديه شيء من الجبن والخبز فقدمهما إلينا مع قليل من القهوة ولكنني توجست شراً من هذه الحفاوة. واصلنا طريقنا باتجاه إيسبينو الكائنة على سكة حديد سانتاكروز ولكن الشاحنة (وهي من طراز فورد) تعطلت على بعد ثلاثة فراسخ من إيسبينو فأمضينا الصباح كله في إصلاحها، وما كادت تتحرك، مرة أخرى حتى تعطلت من جديد وقضيت نحبها نهائياً هذه المرة على بعد فرسخين... استولى رجال الطليعة على المزرعة، وقامت سيارة الجيب بأربع رحلات متتالية لنقلنا جميعاً.

الإرتفاع: ٨٨٠ متراً.

٢٩ أيار

تبدو بلدة «إيسبينو» حديثة إلى حد ما، لأن البلدة القديمة قد غمرها فيضان ٥٨. إنها بلدة هندية وسكانها خجولون وهم لا يجيدون الإسبانية أو إنهم يتظاهرون بذلك. رأينا على مقربة منا عمال نفط منهمكين في العمل كما رأينا شاحنة أخرى تستطيع أن تقلنا جميعاً، ولكن الفرصة أفلتت من أيدينا بعد أن غرُست في الوحل، وعجز ريكاردو عن إخراجها. كان الهدوء مطلقاً كما لو أننا نعيش في عالم منفصل. كُلَّف كوكو بالاستعلام عن الطريق المجاورة، وحينما عاد كان يحمل في جعبته معلومات متضاربة وغير كافية، حتى أننا عندما هممنا باتباع طريق خطر يقودنا إلى جوار ريوغراندي، ضللنا طريقنا وسلكنا طريقاً آخر إلى موشيري، حيث تتوفر المياه. وقد غادرنا المنطقة في الساعة الثالثة والنصف نظراً لمشاكل التنظيم، واستقلت الطليعة سيارة جيب (سته أشخاص وسبعة مع كوكو)

بينما سار الباقون على أقدامهم.

جاء في أخبار الإذاعة أن لورو قد فرّ من سجنه في كاميري.

٣٠ أيار

وصلنا أثناء النهار إلى سكة الحديد واكتشفنا أن الطريق الذي سيقودنا إلى موشيري لا وجود له. وعثرنا أثناء تفتيشنا عنه على طريق يخترق حقول النفط بخط مستقيم على مسافة ٥٠٠ متر من مفترق الطرق فسلكه رجال الطليعة على متن سيارة الجيب. وحدث أن شاباً صغيراً قد وصل فجأة ومعه بندقية وكلب، بينما كان أنطونيو يهم بالانسحاب... فطلبت إليه أن يتوقف ولكن الشاب فرّ مسرعاً. وعلى أثر هذا الحادث كُلف أنطونيو بنصب كمين في مدخل الطريق بينما ابتعدنا نحن حوالي ٥٠٠ متر. وفي الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً ظهر ميغيل وقال إنه سار ١٢ كيلومتراً باتجاه الشرق دون أن يجد مسكناً أو ماء. وجلّ ما وجدته هو طريق ينحرف نحو الشمال. أصدرت أمراً إليه باستخدام سيارة الجيب والتوجه مع ثلاثة رجال لاستكشاف هذا الطريق بحدود عشرة كيلومترات نحو الشمال والعودة قبل هبوط الليل. وقد كنت أغط في نمو عميق عندما استيقظت في حوالي الثالثة على صوت عيارات نارية انطلقت من الكمين. وجاءتني الأنباء سريعاً: تقدم الجيش، ووقع في الفخ المنصوب له، والنتيجة هي: ثلاثة قتلى وجريح واحد. اشترك في هذا الكمين أنطونيو وأرتورو وناتو ولويس وويلي وراوول ولكن هذا الأخير كان ضعيفاً. انسحبنا سيراً على الأقدام، وقطعنا مسافة ١٢ كيلومتراً حتى ملتقى الطرق دون أن نجد أثراً لميغيل، وعلمنا بعد ذلك أن سيارة الجيب لم تستطع اجتياز الطريق بعد أن نفذ الماء منها. وقد عثرنا عليها على بعد ثلاثة كيلومترات فتبولنا جميعاً في خزان المياه واستطعنا بفضل «مطرة» إضافية أن نبلغ المرحلة الأخيرة من المرحلة حيث كان خوليو وبابلو في انتظارنا. إتمام الشمل في الساعة الثالثة حول نار طيبة وشواء يتألف من ثلاثة طواويس ومن لحم خنزير. وقد احتفظنا من قبيل الحيلة بحيوان كي يشرب من المياه التي نجدها على الطريق خوفاً من أن تكون مسممة. بدأنا النزول وارتفاعنا يتراوح الآن بين ٧٥٠ و٦٥٠ متراً. استمرت سيارة الجيب في نهب الطريق بكل شجاعة بما تجمع في خزانها من بول وماء.

ولكن حادثتين طارئتين قد أفسدتا خططنا فقد توقف الطريق باتجاه الشمال واضطر ميغيل إلى إيقاف المسيرة... ثم إن إحدى مجموعات المراقبة أوقفت الفلاح غريغوريو فارغاس الذي جاء راكباً دراجته لنصب بعض الفخاخ ويبدو أن هذه هي مهنته. لم يكن موقف الرجل واضحاً على الإطلاق ولكنه زودنا بمعلومات ثمينة عن مواقع الماء. قال إن أقربها يقع وراءنا... وقد أرسلت عدة رجال لإحضار الماء وإعداد الطعام تحت إشراف الدليل. وعندما وصلوا إلى المكان المقصود شاهدوا شاحنتين للجيش فنصبوا كميناً عاجلاً لهما. ويبدو أنهم قد قتلوا جنديين وأن ناتو أطلق في البداية رصاصة من تلك التي تستخدم في التدريب... بدون جدوى طبعاً فاستبدلها برصاصة حقيقية وحين هم بإطلاقها انفجرت قنبلته اليدوية المضادة للدروع أمام أنفه، وفجرت معها بندقيته... ولكنه لم يصب بأذى. واصلنا انسحابنا دون أن يتدخل الطيران وقطعنا مسافة ١٥ كيلومتراً قبل أن نجد نقطة الماء الثانية. وكان الليل قد خيم على المنطقة بينما لفظت سيارة الجيب آخر أنفاسها بسبب النقص في المحروقات. وقضينا العشية في تناول الطعام.

أصدر الجيش بلاغاً يعترف فيه بمقتل ملازم وجندي مساء أمس، ويشير إلى عدد من القتلى «شوهدوا» يتساقطون من جانبنا. إنني عازم غداً على اجتياز سكة الحديد بحثاً عن الجبال.
الإرتفاع: ٦٢٠ متراً.

التحليل الشهري

كانت النقطة السلبية هي عدم استطاعتنا الإتصال بجواكين... رغم تجوالنا المستمر في الجبال.

أما من الناحية العسكرية فقد جرت ثلاث معارك جديدة أوقعت خسائر في صفوف الجيش دون أن نصاب نحن بخسارة واحدة... ثم إن دخولنا إلى بيريرندا وكاراغواترندا دليل على التقدم وقد تبين للجيش أن كلابه عاجزة عن ملاحقتنا فسحبها من مسرح العمليات.

وتلك هي أهم الخصائص:

(١) فقدان الاتصال بمانيلا وجواكين وهذا ما يجعل عدداً لا يزيد عن

٢٥ رجلاً يشكّلون المجموعة كلها.

(٢) غياب كلي للإلتزام الفلاحي.. رغم أن الفلاحين لم يعودوا يبدون ذلك الخوف الشديد، وأتينا أصبحنا محط إعجابهم.

(٣) يبدو أن الحزب يعرض مساعدته بدون تحفظ عن طريق كولي.

(٤) إن إثارة قضية دويريه قد أضفت من القيمة الحربية على حركتنا أكثر من عشر معارك ظافرة.

(٥) إن المحاربين يكتسبون شيئاً فشيئاً معنويات عالية وأكيدة ستضمن لنا النصر، إن أحسنّا استخدامها.

(٦) لم يتوصل الجيش إلى تنظيم نفسه، كما أن تقنيته لم تتحسن بشكل محسوس.

إن نبي الشهر هو اعتقال لورو وقراره من الآن ولا بد أن يكون الآن في طريقه للإلتحاق بنا أو إلى لا باز لتنظيم الاتصالات. أعلن الجيش أنه قد اعتقل جميع الفلاحين الذين تعاونوا معنا في منطقة مازيكوري وستأتي الآن مرحلة يمارس فيها الإرهاب على الفلاحين من الجانبين في آن واحد، ولو بشكل مختلف. إن أنتصارنا سيكون التغيير النوعي الذي لا بد منه من أجل تطوير حرب العصابات تطويراً جديداً.

حزيران ١٩٦٧

١ حزيران

أرسلت رجال الطليعة لاتخاذ مواقعهم على الطريق واستطلاعهم. حتى نقطة تصالبه بالطريق المؤدي إلى حقول النفط... على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً. وقد بدأت الطائرات في التحليق فوق المنطقة، وهذا ما يؤكد صحة الأنباء التي وردت في الإذاعة عن سوى الأحوال الجوية التي حدثت من نشاط الطيران في الأيام المنصرمة ويبدو أنهم سيعودون الآن إلى قصف مواقعنا. صدر بلاغ عسكري غامض عن مقتل جنديين وجرح ثلاثة... ولا ندري إذا كان هؤلاء من القدامى أم من الجدد. وبعد أن تناولنا الطعام في الساعة الخامسة، واصلنا المسيرة باتجاه الطريق وقطعنا سبعة أو ثمانية كيلومترات بدون حادثة تذكر. ثم سرنا ساعة ونصف الساعة لنسلك بعد ذلك درباً ضيقاً مهجوراً يقودنا إلى مزرعة كائنة على مسافة سبعة كيلومترات. ولكن الجميع هدهم الإعياء فنمنا في منتصف الطريق. ولم نسمع طيلة الرحلة سوى عيار ناري واحد، ومن بعيد.

٢ حزيران

الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

قطعنا الكيلو مترات السبعة التي ذكرها غريغوريو، ووصلنا إلى المزرعة. وهناك، أمسكنا بخنزير كبير وذبحناه... وفي هذه اللحظة بالذات، وصل راعي بروليو روبلز وابنه وفلاحان تبين أن أحدهما هو ابن زوجة صاحب المزرعة، وكان يدعى سيموني. صادرننا منهم خيولهم لاجتياز الكيلومترات الثلاثة التي تفصلنا عن الجدول ونقل الخنزير الذي تم تقطيعه واحتجزناهم هناك بعض الوقت حتى نبعد غريغوريو عن الأنظار وكانت أخباره قد انتشرت في المنطقة. وما كادت تصل مجموعة الوسط حتى مرت شاحنة عسكرية محملة بالجنود والبراميل... كانت فريسة سهلة ولكن اليوم كان يوم إبفة والتهام للخنزير. أمضينا المساء في إعداد الطعام، وفي حوالي الساعة الثالثة والنصف أطلقنا سراح الفلاحين الأربعة بعد أن دفعنا لكل منهم عشرة دولارات مقابل نهارهم الضائع. وفي الساعة الرابعة والنصف، انصرف غريغوريو بعد أن انتظر الطعام والتمس عبثاً تجديد عقده... وقد أعطيناه ١٠٠ دولار. كان ماء الجدول مرا.

٣ حزيران

إنطلقنا في الساعة السادسة والنصف صباحاً في محاذاة الضفة اليسرى للجدول ومشينا حتى الظهيرة، وبعدها أرسلنا بينينيو وريكاردو لاستطلاع الطريق فعثرا على مكان مناسب للكمين. وفي الساعة الواحدة، اتخذنا مراكزنا وقُدنا أنا وريكاردو مجموعتين من الوسط فيما تمركز بومبو في أحد الأطراف وميغيل مع رجال الطليعة كلهم في نقطة مثالية. وفي الساعة الثانية والنصف، مرت شاحنة محملة بالخنزير فلم نتعرض لها وفي الساعة الرابعة والدقيقة العشرين، مرت شاحنة صغيرة محملة بالقناني الفارغة، وفي الساعة الخامسة مرت شاحنة عسكرية، بل لعلها نفس شاحنة البارحة، وكانت تقل جنديين متمددين على المقاعد في الداخل ومدثرين بالأغطية. لم يطاوعني قلبي على إطلاق النار، واختلطت عليّ الأمور فترة قصيرة فلم أوقف الشاحنة ومرت بذلك بسلام. وفي الساعة السادسة غادرنا الكمين وواصلنا عملية النزول بحثاً عن الجدول مرة أخرى. وما كدنا نصل إلى الماء حتى مرت أربع شاحنات، واحدة تلو الأخرى ثم لحقت بها ثلاث أخرى... ويبدو أنها كانت بدون جنود.

٤ حزيران

واصلنا المسير في محاذاة الجدول وقررنا نصب كمين آخر إذا كانت الظروف مؤاتية، ولكننا عثرنا على طريق يتجه إلى الغرب فتبعناه ثم سرنا بعد ذلك في مجرى جدول يتجه إلى الجنوب وقد جفت مياهه. وفي الساعة الثالثة إلا ربعاً توقفنا لنشرب قهوة وعصير الشوفان، واستعنا لذلك بمياه بركة آسنة ولكن القيلولة طالت فقررنا أن نقيم مخيمنا هنا. وفي المساء، هبت ريح جنوبية يرافقها مطر خفيف... هطل طيلة الليل.

٥ حزيران

تركنا الدرب، وفتحنا طريقاً في الغابات تحت رذاذ الريح الجنوبية، ومشينا حتى الساعة الخامسة بعد الظهر وقد سرنا فعلياً ساعتين وربع الساعة بعد أن اصطدمنا بغابات كثيفة تغطي تماماً جوانب أعلى جبل في هذه المنطقة. وكانت النار ملاذنا الوحيد طيلة هذا اليوم... الذي قضيناه بدون طعام يذكر. ما زلنا نحتفظ بالماء الصالح للشرب لإفطار الصباح في «مطرات» صغيرة.
الإرتفاع: ٧٥٠ متراً.

٦ حزيران

خرج ميغيل وبينينيو وبابلو بعد إفطار هزيل لتمهيد الطريق واستطلاع المنطقة. وقد عاد بابلو نحو الساعة الثانية يحمل نبأ عثورهم على مزرعة مهجورة مع قطيعها، بدانا حينئذ المسير متتبعين مجرى الجدول فاجتزنا المزرعة في طريقنا إلى ريوغراندي. ومن هناك، أرسلنا رجلاً للاستطلاع ومعه امر بالعثور على بيت قريب ومنعزل. وهذا ما تم بالفعل، وقد دلت المعلومات الأولى التي جمعناها أننا على مسافة ثلاثة كيلو مترات من بويرتو كاماشو حيث يرباط ٥٠ جندياً وقد استدليناه على الطريق المؤدي إليها. وأمضينا طيلة الشهر في إعداد لحم الخنزير. وحساء «الوكرو»^(١)، لم يحمل إلينا هذا اليوم ما ننتظره فانطلقنا في الصباح بعد شروق الشمس، ونحن مرهقون.

(١) حساء يتألف من الأرز واللحم المقرّر والحبوب الخاصة بالمنطقة الشرقية من بوليفيا.

٧ حزيران

مشينا بحذر ونحن نتجنب المراعي المهجورة إلى أن أعلن لنا الدليل، وهو أحد أبناء الفلاحين، أننا تجاوزنا منطقة المراعي. وقد واصلنا المسير في طريق رملي حتى وصلنا إلى مزرعة أخرى كان قد جرى الحديث عنها، غنية بالقرع وقصب السكر وأشجار الموز والفاصولياء. نصبنا مخيمنا هناك. بدأ الصبي الذي كان يقوم بدور الدليل... يشكو من ألم شديد في بطنه ولا نعلم إن كان ذلك صحيحاً أم أنه من قبيل التمثيل.
الارتفاع: ٥٦٠ متراً.

٨ حزيران

أبعدنا المخيم قرابة ٣٠٠ متر لنتجنب مراقبة الفضوليين في المنطقة الرملية والمزروعة في آن. وعلمنا بعد ذلك أن الفلاح لم يسلك هذا الطريق، في يوم من الايام، وإنما جاء في الزورق. خرج بينيني و بابلو وأوربانو وليون لشق طريق في منطقة صخرية؛ ولكنهم عادوا بعد الظهر ليؤكدوا استحالة ذلك. وقد اضطررت إلى توجيه تحذير آخر لأوربانو لوقاحتها المتكررة. إتخذنا قراراً بأن نصنع في الغد طوقاً على مقربة من الشاطئ الصخري.

جاء في أنباء الإذاعة أن حالة الطوارئ قد أعلنت في البلاد وأن أعمال المناجم يهددون بالثورة... ثم خمد كل شيء بعد فترة قصيرة.

٩ حزيران

مشينا ساعتين لكي نصل إلى صخرة الشاطئ. هنا، كان الناتو يجد صعوبة كبيرة لصنع عبّارته؛ استغرق ذلك وقتاً طويلاً دون نتيجة. لم نختبره بعد. أرسلت ميغال لاستكشاف منفذ آخر لكنه لم ينجح. اصطدنا سمكة كبيرة ذهبية اللون (بينيني). الارتفاع: ٥٩٠ متراً.

١٠ حزيران

لا تستطيع العبّارة، كما توقعنا، أن تحمل سوى ثلاث جعب للظهر، وحتى هذا مشكوك فيه... نزل السباحون إلى الماء ولم يستطيعوا فعل أي شيء بسبب البرد. قررت إرسال من يجلب قارباً من منزل الأسير، وأرسلت معه كوكو وبوشو وانيسيتو وإيلناتو. سمعنا بعد وقت قصير،

طلقات قذائف هاون، عاد ايلناتو ليخبر بأنه صادف الجيش الذي كان يتواجد على الضفة الأخرى. حسب كل الدلائل كان رجالنا يسيرون دون احتياطات وقد شاهدوهم. بدأ الحراس باطلاق النار كالعادة، ورد عليهم كوكو وبومبو دون تفكير، فحذروهم. قررنا البقاء في المكان نفسه والشروع بايجاد طريق للخروج. سيكون الوضع صعباً قليلاً إذا قرر الجيش مهاجمتنا بقوة، لأنه، في أحسن الحالات، علينا أن نعبر عبر الصخور والجبل، وبدون ماء.

١١ حزيران

يوم من السكينة التامة. نصبنا كميناً للجيش ولكنه لم يتقدم لملاقاة وقد حُلقت طائرة صغيرة لمدة بضع دقائق فوق المنطقة. لعل الجيش ينتظرنا الآن على ضفاف الروزيتا. تم تمهيد طريق على الهضبة يكاد يقود إلى القمة تقريباً. على أية حال سنواصل المسيرة غداً. وقد بقي لنا من الطعام ما يكفي لخمسـة أيام أو ستة.

١٢ حزيران

إعتقدنا في بادئ الأمر أن بإمكاننا الوصول إلى الروزيتا، أو على الأقل، إلى ريوغراندي من جديد. فواصلنا مسيرتنا على هذا الأساس. ولكننا حين وصلنا إلى نقطة صغيرة قرب المياه صغيرة، تبين لنا أن الأمر ليس كما تصورناه من السهولة، فعسكرنا هناك بانتظار الأنباء. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، جاء من يقول إن هناك نقطة أخرى أهم من الأولى ولكن الوصول إليها يستحيل في الوقت الحاضر. إتخذنا قراراً بالبقاء في مكاننا وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب بينما هبَّت ريح الجنوب لتحمل لنا رذاذها وبردها.

أعلنت الإذاعة نقلاً عن صحيفة «بريزنسيا» نبأ سقوط قتيل وجريح من جانب الجيش أثناء صدام السبت... إن هذا دلالة طيبة، وهو نبأ أكيد ولا ريب... وهكذا، فإن صداماتنا مع العدو لم تتوقف وهي توقع فيه الخسائر تلو الخسائر. وجاء في بلاغ آخر أن الجيش قتل ثلاثة من محاربينا، من بينهم أحد المترعمين للحركة وهو المعروف باسم إنتي وقد أورد البلاغ هذا التركيب العجيب لقواتنا: ١٧ كوبياً، ١٤ برازيلياً، ٤ أرجنتينيين، ٣ بيروفيين، إن عدد الكوبيين والبيروفيين صحيح، ولا بد لي أن أقوم

بتحقيق لاعرف الطريقة التي اكتشف بها العدو هذه الأرقام.
الإرتفاع: ٩٠٠ متر.

١٣ حزيران

لم نمش سوى ساعة واحدة... أي إلى نبع الماء التالي ذلك لأن المستكشفين لم يصلوا إلى روزيتا ولا إلى ريو. البرد قارس جداً. قد نصل غداً إلى هدفنا، بقي لنا من الطعام ما يكفي لخمسة أيام بحدود وجبات معقولة.

إن ما يثير اهتمامي هو ذاك الانقلاب السياسي في البلاد، وتلك الكمية الهائلة من الاحلاف المضادة... المنتشرة في كل مكان... إننا لم نلمس الدور المحرك لحرب العصابات بوضوح مثل ما لمسناه في بوليفيا.
الإرتفاع: ٨٤٠ متراً.

١٤ حزيران

سيليتا - (٩٤)

قضينا يوماً معسكرين بقرب نبع الماء البارد... وحول نار طيبة بانتظار أنباء ميغيل وأوربانو اللذين كانا يمهدان الطريق. كان عليهما أن يعودا في الساعة الثالثة ولكن أوربانو وصل بعد هذا الوقت ليقول لنا إنهما قد عثرا على جدول كما لمحا بعض الصوى فاستدلا من ذلك على أن (ريوغراندي) لم يعد بعيداً عنا. بقينا في مكاننا وتناولنا آخر حساء... ولم يتبق لدينا سوى وجبة قوامها فستق العبيد وثلاث وجبات من «الموت». بلغت اليوم التاسعة والثلاثين، وبدأت أنحدر بقلب لا يلين نحو ذات العمر الذي سافكر فيه ملياً بمستقبلي كمحارب ثوري.. ولكنني ما زلت حتى الآن «جيداً».
الإرتفاع: ٨٤٠ متراً.

١٥ حزيران

سرنا أقل من ثلاث ساعات حتى وصلنا إلى مشارف ريوغراندي، وإلى مكان مألوف لدينا، اعتقد أنه يبعد ساعتين عن الروزيتا. وقد قال نيكولا الفلاح إنه يبعد ثلاثة كيلو مترات. أعطينا الفلاح مبلغ ١٥٠ بيزوس وسمحنا له بالانصراف... فانسحب مسرعاً كالصاروخ. سنقيم المخيم هنا،

وقد خرج انيسيتو للاستكشاف ثم عاد بعد قليل ليقول إنه من الممكن عبور النهر. تناولنا حساء من فستق العبيد وملأنا بطوننا بقلوب التوتاي المسلوقة ثم المعقلى بالسمن. بقي لنا من «الموت» ما يكفي لثلاثة ايام فقط.

الإرتفاع: ٦١٠ أمتار.

١٦ حزيران

بعد أن قطعنا كيلو متراً واحداً رأينا رجال الطليعة على الضفة الثانية للنهر. وكان باشو قد عبر النهر لاستكشاف المنطقة وعثر على نقطة العبور. نزلنا في الماء الشديد البرودة حتى وصل إلى الخاصرة... وقاومنا التيار ولم يكن لحسن الحظ قوياً. وبعد ذلك بساعة واحدة، وصلنا إلى الروزيتا حيث وجدنا آثار أحذية عسكرية ولكنها قديمة. وتبين لنا أن نهر الروزيتا طافح بالماء أكثر مما يجب، فلم نر أثراً للطريق الموجود على الخارطة. سرنا ساعة في الماء المتجمد، وقررنا أن نخيم هناك للإفادة من قلوب التوتاي ومن خلية نحل كان ميغيل قد عثر عليها في استكشاف سابق... ولكننا لم نجد الخلية، هذه المرة، واقتصر طعامنا على «الموت» وجوز الهند المعقلى بالشحم. بقي لنا من «الموت» ما يكفي لغد وبعد غد، وقد اجتزنا حوالي ثلاثة كيلومترات باتجاه الروزيتا وثلاثة أخرى باتجاه ريوغراندي.

الإرتفاع: ٦١٠ أمتار.

١٧ حزيران

مشينا ١٥ كيلو متراً على طول الروزيتا في خمس ساعات ونصف الساعة. واجتزنا في طريقنا أربعة جداول رغم أن الخارطة لا تشير إلا إلى جدول واحد: أبابوسيتو. وجدنا آثاراً كثيرة تدل على أن بعضهم قد عبر المنطقة حديثاً. قتل ريكاردو حيوان «الهوشي» (حيوان قارض) فاكلناه مع «الموت» طيلة اليوم. بقي لنا شيء من «الموت» للغد... ولكن أملنا قوي في العثور على أحد البيوت.

١٨ حزيران

قطع الكثيرون منا خط الرجوع على انفسهم، واكلوا بقية «الموت» على

مائدة الإفطار. وفي الساعة الحادية عشرة وبعد ساعتين من المسير صادفنا مزرعة مليئة بالذرة واليوكا وقصب السكر والقرع والأرز وفيها معصرة لقصب السكر. أعددنا طعاماً خالياً من الآحين (بروتين) وأرسلنا بينينيو وبابلو لاستطلاع المنطقة. عاد بابلو في الساعة الثانية يحمل نبأ التقائهما بفلاح تبعد مزرعته عن مخيمنا حوالي ٥٠٠ متر، ويبدو أنهما عثرا على مزارع أخرى، كما أسرا بعض الفلاحين. نقلنا في المساء مخيمنا إلى مكان آخر. ونمنا في مزرعة يمتلكها بعض الفلاحين الشباب، وتقوم بالضبط في أول الطريق المتجه من أباو على مسافة سبعة فراسخ من هنا. وكانت بيوت هؤلاء كاثنة على مسافة تتراوح بين ١٠ و ١٥ كيلو متراً من المكان الذي يلتقي فيه فرعاً الموسكيرا والأوسكورا وعلى طرف هذا النهر الأخير.

الارتفاع: ٦٨٠ متراً.

١٩ حزيران

مشينا ببطء خلال ١٢ كيلومتراً، ووصلنا إلى قرية صغيرة تتألف من ثلاثة بيوت ومن ثلاث أسر. وعلى بعد كيلومترين منها في منطقة واطئة تقيم أسرة غالفيز... وعلى وجه التحديد في المكان الذي يلتقي فيه نهرا الموسكيرا والأوسكورو. كان لا بد لنا من مطاردة الأهليين حتى نستطيع التحدث معهم؛ فهم أشبه ما يكونون في تصرفاتهم بالحيوانات الصغيرة. إستقبلنا آل غالفيز بحفاوة ولكن كالكستو الذي عين مختاراً بفضل جهود لجنة عسكرية كانت تجوب المنطقة، بدا متحفظاً وعارض حتى بيعنا بعض الأشياء الصغيرة. وعند هبوط الليل وصل ثلاثة من باعة الخنازير مسلحين ببنادق موزر فاحتجزناهم، وطلبنا من إنتي أن يتولى استجوابهم. لم يجزدهم إنتي من أسلحتهم ولكن ريكاردو الذي كان يراقبهم أقدم على هذه المبادرة الحمقاء. وأكد لنا كالكستو أنهم تجار من بوسترر فالي وأنه يعرفهم.

الارتفاع: ٦٨٠ متراً.

٢٠ حزيران

هناك نهر آخر يصب في الروزيتا من الجهة اليسرى، ويدعى سوسبيرو،

وهو يبدو موحشاً ولا يقيم أحد على طول مجراه. أبلغنا بولينو في الصباح، وهو من شبان المزرعة الواقعة في المنطقة الواقنة، أن الاشخاص الثلاثة لم يكونوا تجاراً وأن أحدهم ضابط برتبة ملازم في الجيش. وقد حصل على هذه المعلومات من ابنه كاليكستو وخطيبته في الوقت نفسه. توجه إنتي في الحال إلى المزرعة مصطحباً معه بعض الرجال وأنذرهم بتسليم الضابط قبل الساعة التاسعة وإلا فإنهم سوف يعدمون جميعاً رمياً بالرصاص. خرج الرجل مسرعاً وهو ينتحب وقال إنه ضابط صف في الشرطة أرسل في مهمة استطلاعية مع أحد القناصة ومع معلم بوستريو فاله الذي تطوع للعمل. وقال أيضاً إن قائدهم ضابط برتبة كولونيل وهو يقيم في القرية المذكورة مع ٦٠ رجلاً ومهمتهم القيام برحلة طويلة خلال أربعة أيام واستكشاف مناطق واسعة تمتد على طول الأوسكورا. فكرنا بقتلهم في بادئ الأمر، ولكنني قررت بعد ذلك إطلاق سراحهم بعد أن وجهت إليهم تحذيراً شديداً بوجوب التقيد بشرائع الحرب. تبين لي أن انيسيتو قد ترك مركز الحراسة فترة قصيرة لإحضار خوليو وأنهم تسلموا في هذه اللحظة بالذات.. وبالإضافة إلى ذلك فقد وجد انيسيتو ولويس ناثمين في مركز الحراسة. عاقبتهم جميعاً بتعيينهم مساعدين للطباخ طيلة أسبوع كامل وبحرمانهم وجبة لحم الخنزير طيلة اليوم وكذلك من اللحوم المشوية والبطاطا المقلية... وحددت لهم كمية الحساء التي يمكنهم تناولها. أما الأسرى فقد قررنا تجريدهم من جميع حاجياتهم.

٢١ حزيران

العجوز

بعد يوم كامل من اقتلاع أسنان المرضى... خلدت فيه اسم فيرناندو ساكا مويلاس (الياس) شاكو، أغلقت غرفة العيادة، وانطلقنا بعد الظهر، ومشينا أكثر من ساعة كاملة. امتطيت ظهر البغل للمرة الأولى منذ اندلاع هذه الحرب. أما الأسرى فقد ساقهم الرجال خلال ساعة كاملة على طريق موسكيرا وجردوهم من كافة حاجياتهم بما فيها ساعاتهم اليدوية وصنادلهم القروية. وكنا ننوي أخذ كاليكستو، المختار لدينا مع بولينو ولكنه كان مريضاً أو متظاهراً بالمرض فتركناه هناك بعد تحذيره بشدة،

ولكن ذلك لن يجدي شيئاً على الأرجح. تطوع بولينو للذهاب إلى كوشابمبا ونقل رسالتي. سنسلمه رسالة إلى زوجة إنتي ورسالة بالشفيرة لمانبلا بالإضافة إلى بلاغاتنا الأربعة. والبلاغ الأخير يشرح تركيب مجموعتنا المقاتلة ويكذب موت إنتي، إنه (١). سنرى الآن إذا كان بإمكاننا تجديد الاتصالات بالمدينة. وقد تظاهر بولينو أمام الآخرين في المزرعة أنه جاء معنا مرغماً وبصفته أسيراً.

الإرتفاع: ٧٥٠ متراً.

٢٢ حزينان

سرنا بفعالية طيلة ساعات كاملة مخلفين وراءنا الأوسكورا أو موروكوس حتى وصلنا إلى نبع ماء يدعى باسيونيس. نظرنا إلى الخارطة فإذا الدلائل تشير إلى أننا أصبحنا عن مسافة ستة فراسخ من فلوريدا أو من أول مكان مأهول وأعني به (بيراي) حيث يقيم صهر بولينو ولكنه لا يعرف الطريق إلى بيته. وكنا ننوي مواصلة المسير في ضوء القمر، ولكننا وجدنا أن ذلك لا يستحق المجازفة بسبب اقترابنا من الأماكن المأهولة.

٢٣ حزينان

لم نمش سوى ساعة فعلية واحدة. فقدنا أثر الطريق وقضينا طيلة الصباح، وقسطاً من بعد الظهر، في البحث عنه، وحين وجدناه كرسنا بقية الوقت لتمهيد مسيرة الغد. لم تكن ليلة السان - جان باردة كما كنا نتوقع وكما يتناقله الناس عن برودتها...

الإرتفاع: ١٠٥٠ متراً.

بدأ مرض الربو يهددني بشكل خطير، وأنا لا أملك في جعبتي إلا القليل من الأدوية.

٢٤ حزينان

قطعنا مسافة ١٢ كيلومتراً في أربع ساعات فعلية. كان الطريق صالحاً وواضحاً في بعض الأماكن ولكنه يختفي فجأة ويضيع فنجد في البحث عنه. نزلنا منحدرًا شديد الوعورة متتبعين آثار رعاة مروا فيه مع مواشيهم

(١) فراغ في الأصل.

واقمنا مخيمنا بقرب نبع ماء ينحدر من جبل (دوران). أوردت الإذاعات بعض الانباء عن النضال القائم في المناجم. إزدادت حدة الربو الذي أعاني منه.

الإرتفاع: ١٢٠٠ متر.

٢٥ حزيران

واصلنا المسير في الطريق الذي شقه الرعاة ولكننا لم نستطع اللحاق بهم. وعند الفجر رأينا مرجاً تلتهب فيه النيران والطائرات تحلق فوق المنطقة. وقد تساءلنا عما إذا كان هناك صلة وارتباط بين هاتين الحادثتين. تابعنا طريقنا ووصلنا إلى بيراي حيث تقيم أخت بولينو. ووجدنا في هذا المكان ثلاثة منازل من بينها منزل مهجور وآخر خال من السكان، أما الثالث فقد كان يخص أخت بولينو وأطفالها الأربعة وكان الزوج غائباً عن الدار، إذ خرج مع جاره بانياغا إلى فلوريدا. كان كل شيء يوحى بالطمأنينة والهدوء. وعلى مسافة كيلومتر واحد من هذا المكان كانت تقيم ابنة لبانياغا وقد اخترنا منزلها لقضاء الليل. إشترينا عجلأ وذبحناه في الحال وعهد إلى كوكو وخوليو وكامبا وليون بالتوجه إلى فلوريدا لابتياح بعض الحاجيات ولكن الجيش كان منتشراً في المدينة. وكان هناك ٥٠ جندياً ومن المتوقع أن يزداد هذا العدد حتى يصل إلى ١٢٠ - ١٣٠ جندياً.

تبين أن صاحب المنزل الذي نقيم فيه رجل عجوز يدعى فيلنيلون كوكا.

تحدثت الإذاعة الأرجنتينية عن سقوط ٨٧ قتيلاً بين أفراد الجيش.. أما البوليفيون فإنهم يخفون الرقم الحقيقي لقتلاهم (سيغلو). ربوي في ازدياد وهو الآن يمنعني عن النوم.
الآرتفاع: ٧٨٠ متراً.

٢٦ حزيران

قضيت يوماً أسود. كان الهدوء يسود كل شيء، وكنت قد أرسلت خمسة رجال ليحلوا محل أولئك الذين يرابطون في الكمين على طريق فلوريدا عندما دوت فجأة طلقات نارية. توجهنا سريعاً إلى المصدر على ظهور الخيل، ووجدنا انفسنا أمام مشهد غريب: كانت جثث أربعة جنود

ملقاة على رمال النهر وتحت أشعة الشمس، وسط السكينة التامة. لم يكن بإمكاننا انتزاع أسلحتهم لأننا كنا نجهل موقع العدو وكانت الساعة تشير إلى الخامسة فانتظرنا هبوط الليل حتى نقوم بالمهمة، وفجأة أبلغنا ميغيل أنه سمع صوت أغصان تنكسر على شماله. توجه انطونيو وباشو نحو المكان المعين ومعهما أمر بعدم إطلاق النار قبل التحقق من وجود العدو. وما هي إلا دقائق معدودة حتى تُبديل إطلاق الرصاص من الجانبين وبشكل شامل هذه المرة. أصدرت أمراً بالانسحاب يقيناً مني أن الحظ لن يسعفنا في مثل هذه الشروط. تأخر الانسحاب وجاءني نبأ سقوط جريحين: بومبو وقد أصيب في ساقه وتوما في بطنه. نقلناهما بسرعة إلى البيت لإخراج الرصاصتين منهما بما نملكه من وسائل. كان جرح بومبو طفيفاً ولا محذور منه سوى التأخير الذي سببه لنا. أما الرصاصات التي أصابت توما فقد مزقت كبده واخترقت الأمعاء فتوفي أثناء إجراء العملية. لقد فقدت بموته رفيقي الذي لازمني طيلة هذه السنوات الأخيرة. تحدى إخلاصه كل تجربة ومحنة ويخيل إلي أنني فقدت ابناً لي. وحين سقط يتخبط في دمايته طلب أن تسلم ساعته إلي ولما كان الرفاق منهمكين في إسعافه ولم يلبوا رغبته حالاً فقد انتزعها بنفسه وسلمها لارتورو. إن هذه اللقطة من جانبه تجسد رغبته الدفينة في أن أرسل ساعته إلى ابنه، ذكرى من أب لم يعرفه بعد، وذلك على غرار ما كنت أفعله بالنسبة لجميع الرفاق الذين سقطوا في ساحة القتال. سأحملها في معصمي طيلة الحرب. وقد نقلنا الجثة على الجواد لندفنها في مكان بعيد عن البيت. أوقفنا جاسوسين جديدين من سلاح القناصة أحدهما ضابط برتبة ملازم أول. وقد وبخناهما بشدة ثم أطلقنا سراحهما بعد تجريدهما من ملابسهما. غير أن رجالي بالغوا في تفسير الأمر الصادر إليهم فلم يتركوا على جسديهما سوى السروال. غادرنا المنطقة ومعنا ٧ جواد.

٢٧ حزيران

بعد أن انتهينا من تلك المهمة المؤلمة وأعني بها دفن توما، استأنفنا المسير ووصلنا في منتصف النهار إلى تيجيريا الحقيقية. وخرجت الطليعة في الساعة الثانية في رحلة لمسافة ١٥ كيلو متراً... أما نحن فقد تابعنا طريقنا في الساعة الثانية والنصف. كانت الرحلة طويلة بالنسبة للفريق

الآخر. فقد فاجأهم الليل واضطروا إلى انتظار طلوع القمر، ووصلوا أخيراً في الساعة الثانية والنصف إلى باليزا حيث كان يقيم ادلاؤنا. الإرتفاع: ٨٥٠ متراً.

٢٨ حزيران

اعدنا جوادين إلى صاحب البيت في تيجيريا ليوصلهما إلى بانياغا بعد أن تبين أنه حفيد العجوز. وجدنا دليلاً لقاء ٤٠ دولاراً وقد عرض علينا أن يقودنا إلى منعطف الطريق الذي يتجه إلى بيت دون لوكاس ولكننا توقفنا قبل ذلك أمام بيت يتوفر فيه الماء. إنطلقنا في ساعة متأخرة ولكن مروو وريكاردو تخلفا كثيراً ولم أتمكن من سماع الاخبار. قطعنا معدل كيلو متر واحد في الساعة. جاء في الأنباء أن الجيش (أو إحدى إذاعاته) قد كشف النقاب عن وقوع ثلاثة قتلى وجريحين أثناء صدام مع المحاربين في منطقة الموسكيرا. إن هذا البلاغ يشير بكل تأكيد إلى معركتنا الأخيرة ولكننا رأينا بأم أعيننا جثث أربعة من الجنود... اللهم إلا إذا كان أحدهم قد تظاهر بالموت وبطريقة عجيبة حقاً.

وجدنا بيتاً مهجوراً لرجل يدعى زيا ولكن بعض الأبقار كانت تسرح في جواره بينما كانت عجولها في الحظيرة. الإرتفاع: ١١٥٠ متراً.

٢٩ حزيران

اجريت حديثاً جدياً مع مروو وريكاردو بسبب تاخرهما، وقد اتجه القسط الأوفر منه لريكاردو. خرج كوكو وداريو وهما من رجال الطليعة، مصطحبين مروو، لنقل متاعنا على ظهور الخيل. وقد احتفظ ناتو بمتاعه لانه المسؤول عن كافة الدواب. ثم نقل متاعي ومتاع بومبو على أحد البغال واستطاع بومبو أن يصل بسهولة على ظهر فرس طيعة وقد بات ليلته في بيت دون لوكاس الذي يقيم في أعلى الجبل، على ارتفاع ١٨٠٠ متر مع ابنتيه وإحدهما تعاني من تضخم الغدة الدرقية. كان هناك أيضاً بيتان آخران، أحدهما خال تقريباً ويعود لعامل موسمي والثاني حسن الاثاث. كانت الليلة ماطرة وباردة... وإذا صحت المعلومات التي جمعناها فلننا نستطيع الوصول إلى بارشيلون في نصف يوم. لكن فلاحين وصلا مؤخراً من هذا الطريق قالوا لنا إنه سيء للغاية. أما صاحب البيت فله رأي مخالف

وهو يدّعي أن بالإمكان تمهيده بسهولة. جاء الفلاحون لرؤية الشخص الذي نزل في البيت الآخر فاحتجزوا كمشبهين.

تحدثت أثناء الطريق إلى فرقتنا الصغيرة التي باتت تتألف من ٢٤ محارباً وذكرت للرجال مثلاً آخر، وأعني به مثال الشينو وشرحت لهم ما تمثله الخسائر، وما يمثل بالنسبة لي شخصياً موت توما الذي كان بمثابة ابن لي. وقد انتقدت الاخلال بالانضباط وبطء السير ووعدهم بتزويدهم بمعلومات إضافية حتى لا يتكرر ما حدث في الكمان الماضية وأعني إزهاق أرواح دونما مبرر لأن قواعد الحرب لم تراعى.

٣٠ حزيران

زودنا لوكاس العجوز ببعض المعلومات عن جيرانه. تبين منها أن الجيش قد مرّ في هذه المنطقة لتهيئة الجو. قال إن أحدهم، ويدعى أندولفو دياز، هو السكرتير العام للنقابة الفلاحية في المنطقة وهي نقابة مخصصة لباريانتوس... أما الآخر فهو ثشار عيجوز أطلق سراحه بعد أن أصيب بالشلل... وهناك ثالث، جبان على حد قول رفاقه، وقد «يتكلم» ليجنب نفسه المشاكل. وعد العجوز بأن يرافقنا ويساعدنا في فتح طريق نحو باشيلون. وأما الفلاحان الآخران فسوف يلحقان بنا. قضينا اليوم في الراحة، وكان الطقس مائلاً وعاصفاً.

أما على المستوى السياسي، فيعتبر تصريح أوفاندو الذي يشير إلى وجودي هنا، أهم حدث في الوقت الحاضر. قال إن الجيش يواجه محاربين مدربين تماماً على حرب العصابات يعدون في صفوفهم قادة من القبيتكونغ أوقعوا الهزيمة بأفضل ألوية الجيش الأمريكي - الشمالي. واستند في مزاعمه إلى تصريحات دوبريه الذي تكلم أكثر مما يجب، كما يبدو، على الرغم من أننا لا نستطيع أن نقدر قيمة هذه التصريحات ولا الظروف التي دفعته لقول ما ذكر على لسانه. سرت إشاعة مفادها أن لورو قد قتل وهم يدعون أنني حرّضت عمال المناجم على الثورة، وأن ذلك كله كان جزءاً لا يتجزأ من خطة نسقت بدقة مع الحرب القائمة في ناكاهوازو. الأمور تسير هنا، على الوجه المناسب، وقد انتهى «فيرناندو ساكا مويلاس» من أداء مهمته.

تلقينا رسالة من كوبا يشرحون فيها مدى ضعف الحركة الثورية

المسلحة في بيرو وافتقارها للأسلحة والرجال رغم إنفاق ثروة طائلة عليها... ويتحدثون في الرسالة عن منظمة يقال إنها ثورية يقودها باز ايستانسورو والكولونيل سيون والمسمى روبن خوليو، وهو ثري كبير، ومعرض في منطقة باندو. يبدو أنهم الآن في غواباميرين () إنه ().

التحليل الشهري

النقاط السلبية هي: استحالة الاتصال بجواكين والخسائر المتتالية في الرجال... لأن كل رجل يموت بمثابة هزيمة لنا رغم جهل الجيش حقيقة هذا الأمر. لقد قدنا بعض المعارك الصغيرة أثناء الشهر المنصرم وأوقعنا في صفوف الجيش أربعة قتلى وثلاثة جرحى حسب بلاغات الرسمية.

وتلك هي أهم الخصائص:

(١) النقص في الاتحاد لا يزال كلياً وهذا يعني أننا لم نستطع أن نزيد من عدد قواتنا البالغة ٢٤ رجلاً، في الوقت الذي نعاني فيه من شخص جريح (بومبو) ومن تباطؤ في الحركة.

(٢) إن اتخاذ الفلاحين موقف عدم الالتزام ما يزال مستمراً. ونحن ندور في حلقة مفرغة. ولكي نتمكن من دفعهم إلى الالتزام بالحرب الثورية، علينا أن نمارس نشاطنا بشكل مستمر في المناطق المأهولة، وهذا ما يتطلب عدداً أكبر من الرجال المحاربين.

(٣) إن أسطورة الحرب الثورية تتخذ أبعاداً خيالية. فقد تحولنا إلى رجال فوق مستوى البشر لا يمكن قهرهم.

(٤) ليس هناك أي اتصال بالحزب رغم أننا قمنا بمحاولة بوساطة بولينو قد تعطي ثمارها البائنة.

(٥) لا يزال دوبريه يحتل مركز الصدارة في الاخبار، ولكن قضيتة ربطت بشخصي، وقد غدوت في نظر العالم قائد هذه الحركة. سنرى نتائج هذه المناورة من خلال ردود فعل الحكومة: وهل ستكون إيجابية أم سلبية بالنسبة لنا.

(٦) إن معنويات الرجال قوية وتصميمهم على النضال يتعاضم، والكوبيون جميعهم قدوة للآخرين في ساحات القتال وليس هناك من الضعفاء سوى بوليفيين أو ثلاثة.

(٧) ما يزال الجيش عاجزاً عن تحقيق مهمته العسكرية، ولكنه بدأ يمارس نشاطاً مستمراً في أوساط الفلاحين. يجب أن نحتاط له تماماً لأنه يحول جميع أعضاء الامة إلى وشاة، سواء بتأثير الخوف فيهم أو بخداعهم وتضليلهم عن أهدافنا الحقيقية.

(٨) إن المجازر التي وقعت في المناجم تعطينا فكرة جلية عن الوضع السائد فإذا ما توصلنا إلى توزيع بياننا الموجه إلى الشعب فإن ذلك سيساهم كثيراً في توضيح الموقف.

إن مهمتنا العاجلة تتمثل في إعادة الاتصال مع لابات وتجديد معداتنا العسكرية والطبية وتعبئة ٥٠ إلى ١٠٠ رجل في المدينة رغم أن عدد المقاتلين الذين يشتركون فعلياً في الحرب لا يتجاوز ١٠ إلى ٢٥ شخصاً.

تموز ١٩٦٧

١ تموز

خرجنا قبل أن ترتفع الشمس في السماء، لنتجه إلى برشيلون أو بارسينا كما ورد في الخارطة، وساعدنا العجوز لوكاس على تمهيد الطريق الذي بقي مع ذلك وعراً وزَلِقاً. خرج رجال الطليعة في الصباح. أما نحن فقد لحقنا بهم ساعة الظهيرة وقضينا طيلة ما بعد الظهر في نزول الوادي وصعوده من الجهة الأخرى. ونمنا في أول مزرعة صادفناها في طريقنا، بينما كان رجال الطليعة يتابعون المسير. وجدنا في المزرعة ثلاثة أطفال خجولين للغاية ويبدو أنهم ينتسبون إلى أسرة يبيز.

أقر باريانتوس مبدأ وجودي في بوليفيا في حديث صحفي له، ولكنه تنبأ بمصرعي في الأيام المقبلة المعدودة. وقد انتهز هذه المناسبة ليثرثر كعادته ويطلق حماقاته المعروفة فوصفنا بالفقران والشعابين. وأعلن مرة أخرى عن عزمه على إنزال العقوبة الصارمة بدوبريه.

الإرتفاع: ١٥٥٠ متراً.

أوقفنا فلاحاً يدعى أندريس كوكا وقد عثرنا عليه في الطريق. كما سقنا أمامنا الفلاحين الآخرين: روك وابنه بيدرو.

٢ تموز

إلتحقنا صباحاً برجال الطليعة الذين خيموا في أعلى المرتفع، وحلّوا في بيت دون نيكوميديس أوتاجا حيث توجد شجرة برتقال. إبتعنا، من هناك، بعض السجائر وكان البيت الرئيسي قائماً في الأسفل، على (الببوجيرا)، فتوجهنا إليه وملأنا بطوننا الجائعة. يجري الببوجيرا في وادٍ صغير وعر الجانبين ولا يمكن إقتفاء أثره سيراً على الأقدام إلا في السافلة وباتجاه أنغوستورا. يقع مخرج الوادي في الجونتا وهو مكان آخر على النهر نفسه ولكن لا بدّ للوصول إليه من اجتياز هضبة شبه مرتفعة. ويعتبر هذا المكان هاماً وهو يشكّل ملتقى عدة طرق كما أن ارتفاعه لا يتجاوز ٩٥٠ متراً، ومناخه معتدل للغاية... فهنا يختفي قراد الخراف ليحل محله «الماريغي». تتألف القرية هنا من مسكن (اتيغا) ومن مساكن بعض أبنائه وهم يملكون حقلاً صغيراً زرع بأشجار البن وفيه يعمل من وقت لآخر بعض معارفهم المقيمين في الجوار. وكان يعمل فيه عندئذ ستة فلاحين من ضواحي سان جوان.

لم تبرأ ساق بومبو بالسرعة الكافية وسبب ذلك تلك الرحلات المتواصلة على ظهور الخيل.. ولكن نحمد الله على أن ليس من مضاعفات في الوقت الحاضر.

٣ تموز

بقينا في المخيم طيلة النهار كي نتيح أطول فترة ممكنة من الراحة لساق بومبو. وقد قمنا بتسديد أثمان مشترياتنا بأسعار مرتفعة مما أدى إلى تجاذب الفلاحين بين الخوف والمصلحة إلى تقديم ما نحتاج إليه. أخذت بعض الصور، استرعت انتباه جميع الرفاق. وسنرى فيما بعد كيف نعمل على تحميصها وتكبيرها وتوزيعها: ثلاثة مشاكل جديدة. حلقت طائرة بعد الظهر، وتكلم أحدهم في المساء عن خطر القصف الليلي، مما حدا بجميع السكان إلى مغادرة المنطقة في الليلة نفسها ولكننا ثنيناهم عن عزيمتهم بعد أن شرحنا لهم أنهم لا يتعرضون لأي خطر. لا يزال الربو يضيق عليّ الخناق.

٤ تموز

عبرنا ببطء الفرسخين اللذين يفصلاننا عن لاونتا، التي وصلناها في الساعة ١٥,٣٠. هنا يعيش فلاح اسمه مانويل. كاريو استقبلنا برعب مخيف. أكلنا جيداً، كعادتنا في الأيام الأخيرة، ونمنا في كوخ مهجور. أصابني الربو بشدة، ولأول مرة يمنغني من النوم. منذ يومين، مرّ جنديان، آتيان من الفيلو ومتوجهان نحو برميخو.

٥ تموز

تهرب العائلات، مع ممتلكاتها، من المنطقة خوفاً من انتقام الجيش. نحن نسير وسط البقر والخنازير والدجاج والناس حتى لاغونياس، تاركين نهر لابيوخيرا لنسلك بمحاذاة راقده، اللاغونياس، على مسافة كيلومتر واحد. مرشدنا، فلاح تيس، اسمه رامون، عائلته تخاف من هذه المنطقة خوفاً خرافياً. نمنا على جانب الطريق. خلال سيرنا صادفنا شخصاً من ساندوئال مورون يعيش في سان لويس وهو أكثر وعياً على ما يبدو العلو: ١١٦٠ متراً.

٦ تموز

انطلقنا في ساعة مبكرة باتجاه بينا كولورادو واجتزنا في طريقنا منطقة ماهولة بالسكان الذين استقبلونا بذعر شديد. وصلنا عند العصر إلى منطقة تشرف على باليرمو مرتفعة بمعدل ٦٠٠ متر ثم بدأنا النزول نحو القرية حيث اشترينا حاجياتنا من حانوت صغير. كان الليل قد أسدل ستاره حين انتهى بنا المطاف إلى الطريق وهناك وجدنا بيتاً منعزلاً لأرملة عجوز. لم تنجح الطليعة المترددة في احتلاله وكانت الخطة تقضي بالاستيلاء على إحدى السيارات القادمة من سومايباتا والاستعلام عن الأوضاع السائدة فيها والوصول إليها مع سائق العربة. وتقضي بعد ذلك بمهاجمة «الديكو» وشراء بعض الأدوية من الصيدلية والاستيلاء على المستشفى وابتياح بعض المعطبات والحلويات ثم مغادرة المكان في الحال. اضطررنا إلى تغيير خطتنا نظراً لعدم قدوم أية سيارة من سومايباتا ثم لاننا علمنا بأن السيارات لا تتوقف هناك... وبعبارة أخرى، لقد كان الطريق مفتوحاً. عهدت إلى ريكاردو وكوكو وباشو وأنيسيتو بتنفيذ

العملية... فأوقفوا شاحنة قادمة من سانتاكروز، بدون صعوبة تذكر، ولكن ماحدث هو أن شاحنة أخرى قد وصلت توأ وتوقفت تضامناً مع الأولى فحجزت بدورها. ويبدو أن الرفاق قد اضطروا للتفاوض طويلاً مع سيدة كانت في الشاحنة مع ابنتها بعد أن رفضت إنزال ابنتها. توقفت شاحنة ثالثة لترى حقيقة ما يجري ثم توقفت رابعة أمام تردد الرفاق... وسُدَّ الطريق. تم ترتيب الأمور بعد ذلك: فاصطفت الشاحنات الأربع على جانب الطريق وردَّ أحد السائقين على أسئلة الفضوليين قائلاً إنهم قد توقفوا لاخت قسط من الراحة. خرج رجالنا في إحدى الشاحنات ووصلوا إلى سومايباتا وأسروا اثنين من القناصة ثم الضابط الملازم فاكافلور، رئيس المخفر. وحصلوا على كلمة السر من الرقيب، واحتلوا المخفر، وبدخله عشرة جنود في هجوم خاطف وبعد تبادل نيران عنيفة مع جندي أبي إلا أن يقاوم. وقد نجحوا في بيع ٥ بنادق موزر ومدفع رشاش من عيار ب - ٣٠، كما أحضروا معهم عشرة أسرى ثم تركوهم عراة تماماً على مسافة كيلومتر واحد من سومايباتا. كانت العملية فاشلة على المستوى التمويني: فقد خدع الشينو بكلام باشو وخوليو ولم يشتر شيئاً مفيداً. ولم أجد حاجتي بين الأدوية التي أحضروها كما أن هذه الأدوية بالذات ليست ضرورية للمحاربين فهناك ما هو أكثر منها ضرورة. وقد جرت العملية أمام جميع السكان وأمام جميع المسافرين فانتقلت أخبارها بسرعة البارود. وحين أشارت عقارب الساعة إلى الثانية كنا قد ابتعدنا مع غنائمنا.

٧ تموز

مشينا بدون توقيف إلى أن وصلنا إلى حقل مزروع بقصب السكر حيث استقبلنا أحد الرجال بحفاوة، في المرة الماضية، على مسافة فرسخ من بيت رامون. كان الخوف بادياً على السكان وقد رضي الرجل بكل لطف أن يبيعنا خنزيراً ولكنه حذرنا من وجود ٢٠٠ جندي في لوس أجوس و ١٠٠ جندي في سان خوان وقد حصل على هذه المعلومات من شقيقه الذي زار مؤخراً سان خوان. وقد وددت أن أخلع له بعض الأسنان التي تؤلمه ولكنه فضل ألا أفعل ذلك. إن ربوي يزداد حدة.

٨ تموز

سرنا من البيت القائم في حقول قصب السكر إلى البيوجيرا بحذر شديد ولكن الهدوء كان مخيماً ولم نر أي أثر لجندي. وقال لنا الرجال العائدون من سان جوان إن المدينة خالية من الجنود. كانت تلك ولا شك حيلة من الرجل لإبعادنا عن المنطقة. قطعنا مسافة فرسخين على طول النهر حتى وصلنا إلى البيراي، ومن هنا سرنا مسافة فرسخ آخر إلى أن بلغنا الكهف مع هبوط الظلمة وبذلك أصبحنا على مقربة من فيلو.

قام الطبيب بحقني عدة مرات كي أستطيع مواصلة المسير واضطرت في النهاية إلى استعمال مركب الأدرينالين الذي بلغت فيه نسبة الكولير (٩٠٠ / ١). وإذا ما أخفق بولينو في تحقيق مهمته... فإن علينا أن نعود إلى ناكاهوازو ونحضر الأدوية المناسبة لما أعانيه من الربو.

أصدر الجيش بلاغاً حول العملية الأخيرة اعترف فيه بمقتل رجل واحد... ولا ريب في أنه قتل أثناء تبادل النيران وقيام ريكاردو وكوكو وباشو باحتلال المخفر.

٩ تموز

أضعننا طريقنا في بداية الرحلة. وقضينا الصباح بطوله في البحث عنه. وعند الظهر، سلكنا طريقاً ليس واضحاً كفاية وقد قادنا إلى أعلى ارتفاع بلغناه حتى الآن: ١٨٤٠ متراً... وبعد فترة قصيرة، وصلنا إلى كوخ مهجور، وأمضينا ليلتنا فيه. لم تتوفر لنا أية ضمانات عن سلامة الطريق إلى فيلو.

أعلنت الإذاعة عن توقيع اتفاق من ١٤ نقطة بين عمال كاتاني وسيغلو وبين الكوميبول... إنه هزيمة كاملة للكادحين.

١٠ تموز

إنطلقنا في ساعة متأخرة بعد أن أمضينا وقتاً من الصباح في البحث عن حصان مفقود وجدناه بعد ذلك. وسلكنا طريقاً غير مطروق على ارتفاع ١٩٠٠ متر. وفي الساعة الثالثة والنصف، وصلنا إلى كوخ مهجور، فقررنا تمضية الليل فيه، ولكننا فوجئنا بعد ذلك باختفاء الطرق. وقد قمنا باستطلاع دروب جانبية ولكن بدون جدوى... كانت في مواجهة مزارع من

المرجح أنها مزارع فيلو.

أعلنت الإذاعة عن وقوع صدام بين الجيش والمحاربين في منطقة ايلدورادو التي لا تظهر على الخارطة والتي تقوم بين سامبيانا وريوغراندني... وجاء في البلاغ العسكري أنهم فقدوا جريحاً بينما فقدنا نحن قتيلين. ومن ناحية أخرى لا تبدو تصريحات دوبريه والبيلاو. جيدة فقد اعترفاً، بشكل خاص، بأن للحرب الثورية أهدافاً على مستوى القارة كلها... وما كان عليهما إطلاقاً مثل هذا الكلام.

١١ تموز

يوم ممطر وملبّد بالضباب الكثيف: فقدنا في طريق عودتنا أثر جميع الدروب، وبقينا منفصلين في النهاية عن رجال الطليعة الذين شقوا لأنفسهم طريقاً كان سالكاً من قبل. وقد ذهبنا عجلاً.

١٢ تموز

امضينا طيلة اليوم في انتظار أخبار ميغيل... ولكن خوليو عاد وحده اثناء هبوط الظلام وقال إنه استطاع جدولاً يجري باتجاه الجنوب. بقينا في مكاننا وآلام الربو تعصرني عصراً.

أعلنت الإذاعة نبأ آخر يبدو صحيحاً في أهم نقطة فيه: فقد تحدثت عن قتال جرى في الإيكيرا سقط خلاله قتل من جانبنا وحمله الجنود إلى لاغونيلاس. إن الفرع العظيم الذي استقبلت فيه هذه الجثة يدل على وقوع شيء من هذا القبيل.

١٣ تموز

نزلنا في الصباح هضبة وعرة للغاية ورَلَقَة بسبب سوء الأحوال الجوية... وقد التقينا بميغيل في الساعة الحادية عشرة والنصف. وكنت قد أرسلت كامبا وباشو لاستطلاع طريق ينحرف عن الطريق الموازي لمجرى الجدول فعاداً بعد ساعة وقالاً إنهما شاهدا مزارع وبيوتاً وإنهما عثرا على دار مهجورة. إنتقلنا إلى الطريق الجديد وبعد أن تتبعنا مجرى جدول صغير وصلنا إلى بيت منعزل قضينا فيه الليل. وصل صاحبه فيما بعد وأبلغنا أن امرأة (أم مختار المحلة) قد رأتنا وأنها أبلغت ولا شك الجنود الذين يقيمون في قرية فيلو، على بعد فرسخ من هنا. وقد قمنا

بالحراسة طيلة الليل.

١٤ تموز

إنهمم رذاذ ناعم طيلة الليلة المنصرمة، واستمر أيضاً طيلة اليوم، ولكننا قررنا في الظهيرة أن نواصل المسير واستعنا لذلك بدليلين رغم عويل زوجتيهما وهما: بابلو، صهر المختار وأوريلى مانسيلييا، صاحب البيت الذي استضافنا البارحة. إقترح علينا الدليلان أن نتبع طريق بامبا حيث يمكننا أن نسلك طريقاً مُهدّ حديثاً حتى نهر الموسكيرا فقبلنا. وما كدنا نجتاز ٥٠٠ متر تقريباً حتى رأينا جندياً وفلاحاً يسوقان حصاناً محملاً بالطحين ومعهما رسالة إلى ضابط الصف في فيلو من زميله في بامبا حيث يرباط ٣٠ جندياً. قررنا حينئذٍ تغيير اتجاهنا، وقد توغلنا بالفعل في طريق فلوريدا ثم نصبنا مخيمنا بعد ذلك بقليل.

جاء في الأنباء أن الحزبين: الثوري الفلاحي والاشتراكي البوليفي قد انسحبا من جبهة الثورة وأن الفلاحين يهددون الآن بارياننتوس بعقد تحالف مع الكتائب. إن الحكومة تنهار بسرعة... لو كان معنا الآن ١٠٠ رجل إضافي.

١٥ تموز

قطعنا مسافة قصيرة بسبب سوء الطريق الذي لم يسلك منذ سنوات عديدة. وذبحنا بقرة تخص المختار بنصيحة من أوريلى وتناولنا طعاماً شهياً. وقد بدأت وطأة الربو تخف.

أعلن بارياننتوس عن خطة وضعها لتصفيتنا في ساعات معدودة: (خطة سنتيا).

١٦ تموز

إنطلقنا هذا اليوم بخطى بطيئة للغاية نظراً لوعورة الطريق وما تطلبه تمهيده من جهود... وقد عانت الدواب كثيراً ولكننا وصلنا في النهاية عند غروب الشمس، إلى وادٍ ضيق، ولا سبيل إلى مرور الخيول فيه بحمولتها. واصل ميغيل المسير مع أربعة من رجاله وناموا منفصلين عنا. لم تبث الإذاعة أخباراً تستحق الذكر. إنتقلنا الآن إلى ارتفاع ١٦٠٠ متر بقرب «دوران» الذي أصبح إلى شمالنا.

١٧ تموز

ضللنا الطريق وواصلنا المسيرة ببطء، وكنا نأمل الوصول إلى بستان يغطى بأشجار البرتقال... تحدث عنه دليلنا ولكننا وجدنا أشجاره يابسة حين بلغنا المكان. أقمنا المخيم، حول نبع ماء صغير، وقد سرنا بالفعل ثلاث ساعات فقط. تحسنت صحتي كثيراً بعد أن زالت معظم أعراض الربو... لا بد أن نعثر على الطريق الذي كنا قد سلكناه للوصول إلى بيراي ونحن الآن إلى جانب «دوران»
الإرتفاع: ١٥٦٠ متراً.

١٨ تموز

فقد الدليل أثر الطريق بعد ساعة من المسير، وأعلن أن الأمر قد اختلط عليه، وعثرنا في النهاية على درب قديم مما حدا بميغيل إلى استطلاعه بعد أن فتح لنفسه معراً، ووصل في النهاية إلى نقطة تصالبه بطريق بيراي. وحين وصلنا إلى جدول صغير بقصد إقامة المخيم، أطلقنا سراح الفلاحين الثلاثة والجندي الشاب بعد تحذيره بالطبع. خرج كوكو مع بابلو وباشو إلى المخبأ أملاً في أن يكون بولينو قد وضع هناك الأشياء المطلوبة. سيعودون مساء الغد إذا جرت الأمور كما نريد. قال الجندي الشاب إنه سوف يترك الجيش.
الإرتفاع: ١٣٠٠ متر.

١٩ تموز

قمنا برحلة صغيرة إلى مخيمنا القديم، وبقينا هناك في انتظار كوكو بعد أن عززنا الحراسة. وصل في الساعة السادسة وقال إنه لم يعثر على شيء أو على أثر لبولينو، كما أن البندقية ما تزال في مكانها. عثر بعكس ذلك على آثار كثيرة لجنود مرّوا في تلك المنطقة كما عثر على آثارهم في جزء من الطريق الذي نحن فيه الآن.

تدل الأنباء السياسية على نشوب أزمة شديدة في البلاد لا يعرف أحد إلى أين ستؤدي. وفي الوقت الحاضر، شكلت النقابات الفلاحية في كوشامبا حزباً سياسياً «ذا اتجاه مسيحي» لمساندة باريانتوس. وطالب هذا الأخير بأن يفسح له المجال «لحكم البلاد مدة أربع سنوات»... إن دعوته هذه

تبدو ضرباً من التوسّل. أما سيليس ساليناس فقد هدد المعارضة قائلاً إن وصولنا إلى الحكم سيكلفهم رؤوسهم جميعاً. وهو يدعو إلى الوحدة الوطنية ووضع البلاد كلها على قدم الحرب. إنه يبدو متوسلاً من ناحية ديماغوجياً من ناحية أخرى.. ولعله يهيء نفسه لاستلام السلطة.

٢٠ تموز

سرنا يحذر إلى البيتين الأولين حيث وجدنا أحد أبناء بانياغا وصهر بولينو. قالاً إنهما لا يعرفان شيئاً عن مكان الأخير وجل ما يعرفانه أن الجيش يجد في أثره لأنه عمل معنا دليلاً. تشير المعلومات التي جمعناها إلى مرور مجموعة قوامها ١٠٠ رجل بعد أسبوع واحد من رحيلنا نحن، وهي في طريقها إلى فلوريدا. ويبدو أن الجيش قد مُني بثلاثة قتلى وجريحين في الكمين. أرسلنا كوكو إلى فلوريدا برفقة كامبا وليون وخوليو لاستطلاع ما يجري فيها وشراء بعض الحاجيات. عاد كوكو في الساعة الرابعة ببعض المؤن مصطحباً معه رجلاً يدعى ميلغار وهو صاحب اثنين من جيادنا وقد وضع نفسه في الحال تحت تصرفنا وقدم لنا تقريراً مفصلاً وخيالياً بعض الشيء... ومما جاء فيه أن جثة توما قد اكتشفت بعد أربعة أيام من سفرنا وقد نهشتها الحيوانات... وأن الجيش لم يتقدم إلا في اليوم التالي للمعركة، وعلى أثر ظهور الضابط عارياً من ثيابه. ويبدو أيضاً أن عملية سومايياتا قد انتشرت بكل تفاصيلها في المنطقة وأنها ضخمت وأثارت استهزاء الفلاحين. عثرنا على غليون توما وبعض الحاجيات التي تم إخفاؤها آنذاك وتعرفنا على ضابط برتبة ميajor يدعى سوبيرنا بدا متعاطفاً معنا أو معجباً بنا، قال إن الجيش فتش بيت كوكا حيث قتل توما، ومن هناك انتقل إلى تيجيريا ثم عاد إلى فلوريدا. وقد فكر كوكو باستخدام هذا الرجل لحمل رسالة يهمنها أمرها ولكنني رايت أولاً أن امتحنه من باب الحيلة وأرسله لشراء بعض الادوية. حدثنا ميلغار عن جماعة دأبت على زيارة المنطقة وتضم امرأة في صفوفها... وقال إنه عرف ذلك من اطلاعه على رسالة كتبها مختار ريوغاندي إلى مختار المنطقة هنا. ولما كان هذا الأخير يقيم في طريق فلوريدا فقد أرسلنا إنتي وكوكو وخويلو للتحدث إليه... فنفى أن تكون لديه أخبار عن جماعات أخرى ولكنه أكد بشكل عام صحة أقوال ميلغار. قضينا ليلة سيئة للغاية بسبب النقص في الماء. جاء في

نشرات الإذاعة أن السلطات المسؤولة قد تعرفت على جثة المحارب الذي قتل وإنه موازيس غيفارا ولكن أوفاندو أبدى حذراً شديداً بهذا الخصوص في حديثه الصحفي، وقد حمل وزارة الداخلية مسؤولية هذا النبا. ولا يستبعد أن يكون ذلك كله مجرد دعاية واختراع مخيلة ما.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

٢١ تموز

قضينا يوماً هادئاً وتحدثنا إلى كوكا العجوز عن البقرة التي باعنا إياها بينما كانت ملكاً لشخص غيره. زعم أنه لم يتسلم ثمنها ولكنه رفض، محتجاً بقوة، أن يعترف بأنها لغيره. طلبنا منه أن يسدد ثمنها لصاحبها الأصلي. خرجنا في المساء إلى تيجيريا حيث اشترينا خنزيراً وخبزاً بالسكّر. يبدو أن إنتي وبينينيو وأنيسيتو الذين قاموا بالمشتريات... لا قوا حفاوة طيبة.

٢٢ تموز

إنطلقنا في الصباح الباكر ومعنا حمولة ثقيلة من رجال ودواب، وهدفنا تضليل جميع الناس عن حقيقة وجودنا. تركنا الطريق الذي يقود إلى موروكو وسلكنا طريق البحيرة مسافة كيلومتر أو كيلو مترين إلى الجنوب. ولكننا ويا للأسف، لم نكن نعرف بقية الطريق مما اضطرنا إلى إرسال رجال الاستطلاع... وقد صادفنا اثناء ذلك مانسيلا وبانياغا الصغير على طرف البحيرة وهما يسوقان الدواب إلى المراعي. وكنا قد أوصيناها بالتزام الصمت ولكن الموقف اختلف الآن. سرنا قرابة ساعتين ونمنا قليلاً بقرب جدول يتفرع منه طريقان: الأول نحو الجنوب - الشرقي... وهو بمحاذاة النهر، والآخر نحو الجنوب ولا يبدو واضح المعالم كالأول.

جاء في أخبار الإذاعة أن زوجة بوستوس (بيلاو) تؤكد أنها راتني هنا، ولكنها تقول إنها جاءت لغايات أخرى غير تعقب آثاره.

الإرتفاع: ٦٤٠ متراً.

٢٣ تموز

بقينا في المخيم في حين خرج اثنان من رجالنا لاستطلاع الطريقين المحتملين. يقود أولهما إلى ريو سيكو وإلى مكان تنتهي إليه مياه البيراي

حيث لم تتشربها الرمال بعد... أي إلى مكان يقع بين كميننا الذي نصبناه وبين فلوريدا... ويقود الطريق الثاني إلى كوخ مهجور على مسافة ساعتين أو ثلاث من المسير ويمكن التوجه منه إلى الروزيتا (على حد قول ميغيل). سنسلك غداً هذا الطريق، لعله أحد الطرق التي تحدث عنها ميلغار إلى كوكو وجوليو.

٢٤ تموز

سرنا نحو ثلاث ساعات في الطريق المكتشف على ارتفاع ٩٤٠ متراً واقمنا مخيمنا بقرب جدول ماء. إن جميع الطرق تتوقف هنا، ولا بد من تكريس يوم الغد للبحث عن أفضل مخرج لنا. توجد هناك عدة مزارع مزدهرة مما يدل على أنها مرتبطة بفلوريدا... ولعل هذا المكان هو الموقع المسمى: كانا لونيس. سنحاول أن نكف رموز رسالة طويلة وردت إلينا من مانيل.

تحدث راوول عن تخريج دفعة من ضباط مدرسة ماكسيموميز وفند أيضاً تعليقات التشيكيين حول مقالي عن «فيتنامات» عديدة. يدعوني الاصدقاء بباكونين الجديد ويرثون للدم المراق، وللدم الذي سيراقي في حال وجود ثلاث أو أربع جيهاث من نوع فيتنام.

٢٥ تموز

أخذنا هذا اليوم للراحة. وأرسلنا ثلاث مجموعات تتألف كل واحدة منها من رجلين لاستشكاف المنطقة. وكُلف بتنفيذ هذه المهمة كل من كوكو وبينينيو وميغيل. توصل كوكو وبينينيو إلى نفس المكان. يبدو أننا نستطيع من هناك سلوك طريق موروكو. وقال ميغيل إنه واثق من أن الجدول يؤدي إلى الروزيتا، وإننا نستطيع المسير بمحاذاة رغم أننا سنضطر إلى تمهيد أحياناً. أشارت الإذاعة إلى عمليتين جديدتين: الأولى في تابيراس، والثانية في سان خوان ديل بوتريرو... يستحيل أن تقوم المجموعة نفسها بهذين العملين... والسؤال المطروح الآن: هل هذه المجموعة موجودة فعلاً أم أن الأحداث غير صحيحة؟

كلف بينينيو وكامبا وأوربانو بشق طريق بمحاذاة الجدول وفي الجهة المعاكسة لموروكو بينما أخذت بقية المجموعة للراحة في المخيم ونصب رجال الوسط كميناً في المؤخرة. لا شيء يستحق الذكر.

تحدثت الإذاعات الأجنبية طويلاً عن أخبار عملية سان خوان ديل بوتريرو وذكرت عدداً من التفاصيل: أسر ١٥ جندياً وضابطاً برتبة كولونيل ثم إطلاق سراحهم بعد تجريدهم من الملابس: إنها تقنيتنا ذاتها. والمكان يقوم على الجانب الآخر من الطريق المعبد. كوشابمبا - سانتاكروز.

القيت في المساء محاضرة قصيرة عن معنى السادس والعشرين من تموز... عن الثورة ضد الحكومات الاستبدادية، والمذاهب الثورية المتحجرة. أشار فيديل إشارة عابرة إلى بوليفيا في خطابه.

٢٦ تموز

تم تكليف بينينيوكامبا وأوربانو، بفتح طريق على النهر بالاتجاه المعاكس لـ موروكو، وبقي القسم الباقي من المجموعة في المعسكر بينما وسطها نصب كميناً في الجهة الخلفية. لا شيء خاصاً.

نشرت الإذاعات الأجنبية أنباء عملية سان خوان دلبوتريرو مع تفاصيل وافية: أسر خمسة عشر جندياً وعقيداً واحداً، جردوا من سلاحهم ثم أطلق سراحهم. هذه هي طريقتنا. المكان في الطرف الآخر من طريق كوشا بامبا - سانتاكروز السالكة.

في المساء، تحدثت قليلاً عن مغزى ٢٦ تموز؛ تمرد ضد الاوليغارشية والعقائد الثورية الجامدة. أشار فيديل في خطابه إلى الوضع في بوليفيا.

٢٧ تموز

كان كل شيء معداً للسفر، وكان رجال الكمين قد تلقوا أمراً بالانسحاب آلياً في الساعة الحادية عشرة، حينما وصل ويلى قبيل ذلك، ليعلن لنا أن الجيش موجود هنا. ذهب ويلى نفسه، وكذلك ريكاردو وإنتي وشينو وليون وأوستاكيو للتعرف على مكان العدو ثم نفذوا خطة العملية بالاشتراك مع أنطونيو وأرتورو وشاباكو. وقد تمت العملية على الوجه التالي: ظهر ثمانية جنود على القمة وساروا باتجاه الجنوب يتتبعون درباً ضيقاً قديماً ثم عاودوا المسير مطلقين عدة قذائف من مدفع مورتر وملوحين ببعض الإشارات بواسطة قطعة من القماش. وقد سمع اسم ميلغار يتردد في بعض الأحيان ولعله الشخص الذي عرفناه في فلوريدا. وبعد استراحة قصيرة، تقدم الجنود الثمانية باتجاه الكمين، وسقط في

الحال أربعة منهم لأن الآخرين كانوا مبتعدين قليلاً. تأكدنا من مقتل ثلاثة منهم أما الرابع فإن لم يكن مقتولاً فهو جريح على كل حال. إنسحبنا من الكمين دون أن نجردهم من أسلحتهم أو معداتهم، فقد بدا لنا ذلك صعباً وفيه بعض المخاطر. توجهنا إلى ساقلة الجدول ووصلنا إلى وادٍ صغير آخر حيث نصبنا كميناً جديداً. وقد تقدمت الخيول حتى المكان الذي ينتهي فيه الطريق.

عاودتني آلام الربو ولم يعد لدي من المسكنات سوى النذر اليسير.
الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

٢٨ تموز

أرسلت كوكو وباشو وراول وأنيسيتو لاستطلاع منبع النهر الذي يعتقد أنه السوسبيرو. مشينا قليلاً ونحن نشق طريقنا في وادٍ ضيق الجوانب. ونصبنا المخيم بعيداً عن رجال الطليعة لأن ميغيل قد ابتعد كثيراً عن الخيول التي غرست حوافرها في الرمال ووجدت صعوبة في متابعة المسير على الحصى.
الإرتفاع: ٧٦٠ متراً.

٢٩ تموز

واصلنا السير في وادٍ ينحدر باتجاه الجنوب ويتضمن مخابىء ملائمة على جانبيه في منطقة غزيرة المياه. وصادفنا بابلو قرابة الساعة الرابعة، فقال لنا إننا وصلنا الآن إلى مقربة من منبع السوسبيرو، وإن الأمور طبيعية وما من جديد. خيل إليّ، في بادئ الأمر، أن هذا الوادي ليس وادي السوسبيرو لأنه يتجه باستمرار نحو الجنوب... ولكنه انحرف في المنعطف الأخير واتجه نحو الغرب ليصب في الروزيتا. وصل رجال المؤخرة في الساعة العاشرة والنصف تقريباً، وقررت حينئذ أن نواصل المسير ونبتعد قدر الإمكان عن منبع النهر ولكن قلبي لم يطاوعني على إلزام الرفاق ببذل جهود إضافية وتجاوز مزرعة بولينو، فأقمنا مخيمنا على جانب الطريق، على مسافة ساعة من منبع السوسبيرو. وفي المساء، أعطيت الكلمة للشينو ليتحدث عن ذكرى استقلال وطنه في الثامن والعشرين من تموز، وقلت لهم بعد ذلك إن مكان المخيم ليس مناسباً وذكرت لهم الأسباب، وأصدرت أمراً بالنهوض في الساعة الخامسة صباحاً، والتوجه إلى مزرعة

بولينو لاحتلالها.

جاء في انباء الإذاعة الكويتية أن كميناً قد نصب للجيش وأن بعض جنوده قتلوا وتم إجلأؤهم بطائرة هليكوبتر... ولم استطع أن أسمع شيئاً آخر لشدة التشويش.

٣٠ تموز

أُحْتُ عليّ آلام الربو ولم يغمض لي جفن طيلة الليل. وحين نهض مورو في الساعة الرابعة والنصف لإعداد القهوة رأى مصباحاً يلمع في النهر فحذّر الرجال فوراً. خرج ميغيل، وكان قد استيقظ لياخذ دوره في المراقبة، بصحبة مورو لتوقيف القادمين. وسمعت من المطبخ الحوار التالي - من هناك؟

- فصيلة ترينيداد. ولعل الرصاص في الحال. عاد ميغيل بعد فترة قصيرة وهو يحمل بندقية م - ١ وجعبة ملأى بالذخيرة لجندي جريح وقال لنا إن هناك ٢١ رجلاً يتوجهون إلى أباو وإن عدد الجنود في موروكو يبلغ ١٥٠ عنصراً. لقد أوقعنا بالعدو خسائر أخرى لم نستطع أن نتبينها بوضوح وسط الاضطراب والفوضى السائدين. إستغرق منا تحميل الخيول وقتاً طويلاً وقد ضل النيفرو طريقه مع الفاس ومدفع المورتر اللذين غنمهما من جنود العدو. كانت الساعة قد بدأت تشير إلى السادسة... وكان علينا أن نبدا المسيرة عندما سقطت حمولة بعض الخيول فأضعنا بذلك وقتاً ثميناً، وتعرضنا لنار العدو العنيفة حتى في الممرات الأخيرة. وجدنا شقيقة بولينو في البيت، وقد استقبلتنا بهدوء بالغ وهي تقول لنا: إن رجال موروكو قد أوقفوا جميعهم وإنهم الآن في لابات.

طلبت من الرجال أن يسرعوا، وخرجت مع بومبو تحت وابل من الرصاص مرة أخرى، إلى وادي النهر حيث ينتهي الطريق وحيث يمكن تنظيم المقاومة. أرسلت ميغيل وكوكو وخوليو لاحتلال المواقع الامامية بينما قمت بجر الخيول. بقي لي، لتغطية الانسحاب، ٧ رجال من الطليعة و٤ من المؤخرة وكذلك ريكاردو الذي بقي في المؤخرة لتعزيز الدفاع. رابط بينينيو على الجانب الايمن ومعه داريو وبابلو وكامبا أما الآخرون فقد احتلوا مواقعهم على الجانب الايسر. وكنت قد اصدرت أمراً بالتوقف في أول مكان مناسب عندما جاء كامبا ليقول إن ريكاردو وأنيسيتو قد

وقعا اثناء اجتيازهما النهر. أرسلت أوربانو وناتو وليون مع جوادين وبعثت في طلب ميغيل وخوليو تاركاً كوكو لحراسة المقدمة. اجتاز ميغيل وخوليو النهر بدون تعليمات مسبقة وعاد كامبا بعد قليل ليقول إنه فوجيء مع ميغيل وخوليو وإن الجنود تقدموا كثيراً وإن ميغيل قد تراجع بانتظار التعليمات. صرفت كامبا برفقة أوستاكيو وبقينا أنا وإنتي وبومبو والشينو. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، أرسلت في طلب ميغيل تاركاً خوليو للحراسة، وانسحبت مع مجموعة الرجال والخيول. وحين وصلنا إلى المكان الذي يقوم فيه كوكو بالحراسة، علمنا بأن جميع الناجين قد ظهروا وأن راوول قد مات، وأن ريكاردو وباشو أصيبا بجراح. وقد جرت الأمور على الشكل التالي: اجتاز ريكاردو وأنيسيتو النهر دونما حذر، وبشكل مكشوف، فوق الأول جريحا. خرج أرتورو وأنيسيتو وباشو لنقله بينما قام أنطونيو بتغطيتهم بنار كثيفة. ولكن باشو جرح، وأصيب راوول برصاصة قاتلة في الفم. تمت عملية الانسحاب بمشقة وهم يجرون الجرحين. ولم يبق ويللي وخاصة شاباكو^(١) بمساعدتهم. ثم لحق بهم أوربانو ورجال مجموعته مع الخيول وكذلك بينينيو ورجاله بشكل أصبح فيه الجناح الآخر خالياً مما أتاح للجنود أن يتقدموا ويفاجئوا ميغيل. وصل رجالنا إلى النهر بعد مسيرة مضنية وسط الأعشاب والأشواك الكثيفة ثم انضموا إلينا. أما باشو فقد جاء على ظهر الحصان ولم يستطع ريكاردو أن يرافقه فاضطر الرجال إلى نقله في أرجوحة. أرسلت ميغيل وبابلو وداريو وكوكو وأنيسيتو لاحتلال منبع الجدول الأول، على الضفة اليمنى، بينما انصرفنا إلى إسعاف الجرحى. أصيب باشو بجراح طفيفة فقد اخترق الرصاص فخذه وجلد الخصيتين.. أما ريكاردو فقد أصيب بجروح خطيرة. فقدنا ما بقي لدينا من البلازما بضياغ جعبة ويللي. مات ريكاردو في الساعة العاشرة، ودفناه بقرب النهر، في مكان بعيد عن الانظار، حتى لا يجده الجنود.

٣١ تموز

سرنا في الساعة الرابعة بمحاذاة النهر، وبعد أن اجتزنا طريقاً مختصراً

(١) يظهر في مكان آخر تحت اسم «لويس».

وانحدرنا إلى السافلة دون أن نترك وراءنا أثراً. وصلنا في الصباح إلى الجدول حيث كان ميغيل قد نصب كمينه. يبدو أنه لم يستوعب التعليمات الصادرة وترك وراءه بعض الآثار. قطعنا نحو أربعة كيلومترات باتجاه عالية النهر، ودخلنا إلى الغابات بعد إزالة كل أثر، ثم أقمنا مخيمنا بقرب رافد للجدول. وعند المساء شرحت أخطاء العملية:

(١) كان المخيم في مكان غير مناسب. (٢) أسانا استعمال الوقت مما اتاح للآخرين أن يطلقوا علينا نيرانهم. (٣) ثقة مبالغة في النفس أدت إلى جرح ريكاردو، ثم راوول عندما هب لنجدة. (٤) عدم اتخاذ قرار بإنقاذ جميع الحاجيات مما أدى إلى فقدان ١١ كيساً وأدوية ومناظير وبعض الأشياء الأخرى التي تثير الانتباه مثل المسجلة التي تتضمن أشرطتها رسائل مانيل، وكتاب دوبريه الذي أورد فيه ملاحظاتي بخط يدي وكتاب لتروتسكي.. ولا أود أن أذكر الأهمية السياسية التي تعلقها الحكومة على هذه الغنيمة والثقة التي سيستمدّها الجنود من هذه المعركة. قدّرنا أن خسارتهم قتيلاً وخمسة جرحى ولكن الروايات المتضاربة تقدم أرقاماً أخرى منها رواية الجيش وتحدث عن أربعة قتلى وأربعة جرحى سقطوا بتاريخ الثامن والعشرين من هذا الشهر... ولكن رواية أخرى من شيلي تحدث عن ستة جرحى وثلاثة قتلى سقطوا بتاريخ الثلاثين. وقد أذاع الجيش بلاغاً آخر يقول فيه: إن قواته عثرت على جثة ثائرٍ من رجالنا وإن ضابطاً من قواته قد أصبح الآن بمنأى عن الخطر.

لا أستطيع أن أقول شيئاً عن راوول فقد كان منطوياً على نفسه ولم يكن عنصراً محارباً أو نشيطاً في عمله ولكنه كان يهتم دوماً، على ما يبدو، بالمشاكل السياسية رغم أنه لم يكن يطرح أسئلة على الإطلاق. أما ريكاردو فقد كان أكثر الكوبيين بعداً عن الانضباط وأقلهم قدرة على اتخاذ القرار المناسب في حياتنا اليومية... ولكنه كان مقاتلاً عجيباً ورفيقاً قديماً عاش معي مغامرة الحياة أثناء الفشل الأول في الجبهة الثانية في الكونغو، وفي هذا المكان. إنه خسارة فادحة أخرى... نظراً للصفات التي كان يتمتع بها.

أصبحنا الآن ٢٢ رجلاً بينهم جريحان: باشو وبومبو. أما أنا فإن الربو يكاد يمنعني من الحركة.

التحليل الشهري

لا تزال النقاط السلبية للشهر المنصرم قائمة واعني بها: إستحالة الاتصال بجواكين، وبالخارج، وفقدان عدد من الرجال، نحن الآن ٢٢ محارباً من بينهم ثلاثة عجزة (وأنا منهم) وهذا ما يضعف من قدرتنا على الحركة. إصطدمنا بالجيش ثلاث مرات، منها الإستيلاء على سومايباتا، مما أدى إلى مصرع سبعة جنود وجرح عشرة، وهذه الأرقام تقديرية، نظراً لغموض البلاغات. أما نحن فقد فقدنا رجلين وسقط منا جريح واحد. وتلك هي أهم الخصائص:

- (١) فقدان الاتصال وبشكل مستمر فقداناً تاماً.
- (٢) عدم وجود متطوعين من بين الفلاحين رغم ظهور بعض الدلائل المشجعة في المنطقة كالحفاوة التي يقابلنا بها الفلاحون المعروفون.
- (٣) إن اسطورة حرب العصابت تتخذ أبعاداً على مستوى القارة: فأونجانيا يغلق الحدود مثلاً والبيرو يتخذ احتياطات مشددة.
- (٤) فشلت محاولة الاتصال عن طريق بولينو.
- (٥) إن معنويات المحاربين وتجاربهم النضالية تزداد بعد كل معركة، ولكن كامبا وشاباكو ما يزالان ضعيفي الجنان.
- (٦) ما يزال الجيش مستمراً في أخطائه ولكن هناك وحدات تتمتع بروح قتالية عالية.
- (٧) تزداد الازمة السياسية حدة في وسط الحكومة، ولكن الولايات المتحدة تقدم قروضاً صغيرة تشكل في الحقيقة مساعدة كبيرة لبوليفيا وتتيح تهدئة حدة الاستياء الشعبي.
- إن المهام العاجلة في المرحلة المقبلة هي: إعادة الاتصال، واستقطاب محاربين جدد، والحصول على الادوية الضرورية.

آب ١٩٦٧

١ آب

يوم هادىء. خرج ميغيل وكامبا لتمهيد الطريق ففتحا كيلومتراً واحداً فقط نظراً لوعورة الأرض وكثافة النباتات والأعشاب. قتلنا حماراً وحشياً وتقرر توزيع لحمه على خمسة أو ستة أيام. كما حفرنا الخنادق لنصب كمين للجيش إذا تقدم في هذه الناحية. وتقضي الخطة بتسهيل مروره إذا جاء غداً أو بعد غد ولم يكتشف المخيم، ومن ثم نبادر إلى إصلاحه ناراً حامية.

الإرتفاع: ٦٥٠ متراً.

٢ آب

يبدو أن الطريق قد مهد في معظمه بفضل جهود بينينيو وبابلو، وقد قطعنا المسافة بين المكان الذي وصلا إليه وبين المخيم في مدة ساعتين تقريباً. لم نتحدث الإذاعات عن أخبارنا منذ صدور البلاغ العسكري عن نقل جثة «معار للمجتمع». أنهكتني آلام الربو، وقد استنفدت الحقنة الأخيرة، ولم يبق لدي سوى بعض الحبوب لفترة عشرة أيام فقط.

٣ آب

تبين أن الطريق سيء جداً. وقد أنفق ميغيل وأوربانو ٥٧ دقيقة للعودة إلى المخيم في هذا اليوم. التقدم بطيء للغاية. لا نأبأ جديد. بدأ باشو يتمائل للشفاء. أما أنا فإن صحتي تزداد سوءاً: قضيت نهاراً وليل أمس وأنا أعاني آلاماً شديدة. وأشق ما في الأمر أنني لا أجد حالياً أي مخرج من هذه الأزمة. وقد جربت حقنة النوفوكاين في العضل بدون أية نتيجة.

٤ آب

وصل الرجال إلى وادٍ ضيق يتجه نحو الجنوب - الغربي ويعتقد أنه يقود إلى الجداول التي تصب في ريو غراندي. تقرر أن يذهب غداً أربعة رجال على دفعتين لتمهيد الطريق، بينما يتسلك ميغيل مرتفعاً يقوم في جوارنا لاستطلاع بعض النقاط البعيدة التي تبدو وكأنها مهجورة. تحسنت صحتي، وهدأت آلام الربو قليلاً.

٥ آب

انقسم بينينيو وأوربانو وليون إلى فريقين بقصد التقدم، ولكنهم وصلوا إلى جدول يصب في الروزيتا وقد تابعوا اليوم استكشافهم عبر الحقول. خرج ميغيل لتقصّد المزرعة ولم يعثر عليهما. تناولنا اليوم آخر وجبة من لحم الحمار الوحشي. وسنحاول غداً أن نصطاد بعض الأسماك، كما إننا سنذبح دابة أخرى بعد غد. قررنا أن نواصل المسير غداً إلى أول نبع ماء. عاودتني آلام الربو بشدة وأرى نفسي مضطراً، على الرغم من نفوري الشديد من توزع الرفاق، إلى إرسال مجموعة تتقدمنا، وقد تطوع بينينيو وجولي للقيام بهذه المهمة ولا بد أن أتأكد من استعداد ناتو.

٦ آب

نقلنا المخيم، ولكننا لم نمش الساعات الثلاث التي قدرناها، إنما ساعة واحدة وهذا يدل على أننا لا نزال بعيدين عن هدفنا. واصل بينينيو وأوربانو وكامبا وليون تمهيد الطريق، بينما خرج ميغيل وأنيسيتو لاستطلاع الجدول الجديد بحدود المكان الذي يصب فيه الروزيتا. وحل المساء ولم يعودا. وهكذا فقد اجتمعنا أنا وإنتي وشاباكو وتحديثنا قليلاً عن هذا اليوم الذي يصادف ذكرى استقلال بوليفيا.

الإرتفاع: ٧٢٠ متراً.

٧ آب

الساعة الحادية عشرة: لم يعودا بعد، واعتقدت أنهما ضلّا الطريق فأصدرت أمري إلى بينينيوي كي يتقدم بحذر شديد باتجاه المكان الذي تصب فيه مياه الجدول في نهر الروزيتا ويحاول هناك أن يعثر على الاتجاه الذي سلكاه... هنا إذا وصلا إلى تلك المنطقة. ولكن «التائهين» ظهرا في الساعة الواحدة، ويبدو أنهما اصطدما ببعض الصعوبات في الطريق فامضيا ليلتهما ولم يتمكننا من بلوغ الروزيتا. لقد عشت في الحقيقة فترة عصيبة من جراء قلقي عليهما. لم نبارح مكاننا ولكن الرجال الذين يمهدون الطريق عثروا على جدول آخر وسوف ننقل غداً إليه. مات اليوم انسيلمو، الحصان العجوز، ولم يبق لدينا سوى حصان واحد لحمل المتاع. لم تتحسن صحتي وبدأت الأدوية تنفذ. سأخذ قراراً بخصوص إرسال مجموعة من الرجال إلى ناكاهوازو.

مرت اليوم تسعة شهور على وصولنا إلى بوليفيا وعلى بدء الحرب الثورية.. ومن رجالي الستة الأول مات اثنان وجرح اثنان وفُقد آخر.. وبقيت أنا وحدي أعاني آلام ربو شديد لا أدري كيف أتغلب عليه.

٨ آب

سرنا قرابة ساعة واحدة ولكنها كانت ساعتين بالنسبة لي لأن الفرس الصغيرة قد أنهكتها التعب فطعنيتها في لحظة معينة بضربة سكين في عنقها وجرحتها جرحاً خطيراً. سيكون مخيمنا الجديد آخر مخيم بجوار الماء إلى أن نصل إلى الروزيتا أو ريو غراندي. أصبح الرجال الذين يمهدون الطريق الآن على مسيرة أربعين دقيقة من مكاننا (٢ - ٣ كيلو مترات). أصدرت أمري إلى مجموعة من ثمانية رجال لتنفيذ المهمة التالية: يخرجون غداً باكراً ويسيروا طيلة النهار. وفي اليوم التالي، يعود كامبا بما تجمع لديهم من أنباء وفي اليوم الثالث يعود بابلو وداريو بما جمعا من أخبار.. بينما يستمر الرجال الخمسة الباقون في طريقهم إلى فارغاس ومن هناك يعود كوكو وانيسيتو بدورهما لنقل مشاهدتهما وما اكتشفاه من أحداث. أما بينينيوي وخوليو وناتو فيواصلون المسير إلى ناكاهوازو سعياً وراء الأدوية

اللازمة لي. وقد طلبت منهم جميعاً أن يتقدموا بحذر شديد تجنباً للوقوع في الكمائن. أما نحن، فسنلحق بهم وقد حددت نقاط الالتقاء: بيت فارغاس أو مكاناً أبعد - وهذا يتوقف على مدى سرعتنا - يقع بقرب الجدول القائم في مواجهة الكهف، على ريو غراندي أو مازيكوري (هونوراتو) أو ناكاهوازو. وصلتنا أنباء عن تحركات الجيش وعلمنا أن بعض الجنود قد اكتشفوا مستودعاً للأسلحة في أحد مخيماتنا. جمعت شمل الرجال كلهم في المساء وشرحت لهم حقيقة موقفنا. قلت لهم إننا في موقف صعب، إن باشو يتعامل للشفاء بينما تحولت أنا إلى مجرد نفاية بشرية. إنني بدأت أفقد السيطرة على نفسي، في بعض اللحظات، ولا أدل على ذلك من مثال الفرس الصغيرة التي طعننها بسكين... وقلت لهم إن الأمور قد تسوى ولكن الأعباء والمخاطر واحدة بالنسبة للجميع... وإن على أولئك الذين يشعرون بعجزهم عن الاستمرار أن يفصحوا عن أنفسهم. وقلت لهم أيضاً: إننا الآن في لحظة تتطلب اتخاذ قرارات حاسمة وإن هذا النوع من النضال يتيح لنا أيضاً أن نصبح رجالاً. فعل أولئك الذين يشعرون بعجزهم عن بلوغ هاتين المرحلتين أن يعلنوا ذلك ويتخلوا عن النضال. قال الكوبيون جميعهم وكذلك بعض البوليفيين إنهم سيستمرون حتى النهاية، وحذا أوستاكيو حذوهم ولكنه وجه انتقاداً إلى موغانغا الذي يضع متاعه على ظهر البغل بدلاً من تحميل الحطب مما أثار ردأً عنيفاً من جانب الأخير. وانتقد خولي مورو وباشو لأسباب مماثلة مما أثار أيضاً ردأً قاسياً من جانب باشو. أنهيت النقاش قائلاً: إننا اجتمعنا هنا لدراسة مشكلة في غاية الخطورة وأعني بها: هل الرجال مستعدون لخوض المعركة حتى النهاية أم أنهم يفضلون عدم الاستمرار فيها؟... ولم نجتمع لاستعراض خلافات صغيرة أو مشاكل داخلية تسيء إلى عظمة الحرب الثورية في الساعة الحاسمة.

لم أستسغ ملاحظات أوستاكيو وخوليو ولا ردود مورو وباشو... وبكلمة واحدة يجب أن نكون أكثر ثورية وقدوة للآخرين.

٩ آب

خرج المستكشفون الثمانية هذا الصباح، وابتعد الرجال الذين يعملون

في تمهيد الطريق، عن المخيم وبعد ذلك بخمسين دقيقة، أُجريت لي عملية في عقب القدم مما سمح لي بإسنادها إلى الأرض، ولكنها لا تزال تؤلمني جداً كما أن الحمى لم تفارقني. يبدو أن باشو الآن في صحة جيدة.
الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

١٠ آب

خرج أنطونيو وشاباكو للصيد في المؤخرة ثم عادا بغزال وطاووسة برية ويبدو أنهما قد وصلا إلى المخيم الأول حيث لم يطرأ جديد، واحضرا معهما حمولة من البرتقال. أكلت برتقالتين مما سبب لي في الحال أزمة ربو بسيطة. وفي الساعة الواحدة والنصف وصل كامبا، أحد الرجال الثمانية الذين أرسلتهم، ومعه الأخبار التالية: ناموا البارحة بدون ماء وواصلوا اليوم مسيرهم حتى الساعة التاسعة... ولم يعثروا على أثر للماء وقد تعرّف بينينيوي على المنطقة وسوف يتجه إلى الروزيتا بحثاً عن الماء. أما داريو وبابلو فلن يعودا قبل العثور على الماء.

أصغيت إلى خطاب فيديل الذي يهاجم فيه الأحزاب التقليدية وخاصة حزب فنزويلا... ويبدو أن اصطدامات عنيفة قد وقعت خلف الكواليس. عاد الطبيب إلى إسعاف قدمي وبدأت صحتي تتحسن ولكنني لا أستطيع السير بعد. ومع ذلك فلا بد من الانطلاق غداً لتقريب قاعدتنا من الرجال الذين يمهدون الطريق والذين لم يتقدموا أكثر من ٢٥ دقيقة طيلة النهار.

١١ آب

شق الرجال طريقهم ببطء شديد. وصل بابلو وداريو ومعهما مذكرة من بينينيوي يقول فيها إنه أصبح على مقربة من الروزيتا ولا بد له من ثلاثة أيام أخرى للوصول إلى بيت فارغاس. خرج بابلو في الساعة الثامنة والرابع من نقطة النبع التي قضوا الليل بجوارها وفي الساعة الثالثة تقريباً صادف ميغيل، مما يدل على أننا بعيدون عن بلوغ هدفنا. يبدو أن لحم الطاووسة لا يناسب الربو... فقد سبب لي أزمة صغيرة فأسرعت إلى إعطاء حصتي منه لباشو. سنغير مخيمنا لنقيم بجوار جدول صغير تجف مياهه ظهراً وتتدفق من جديد في منتصف الليل. أمطرت السماء ولكن الطقس ليس بارداً... وبعوض «الماريغي» منتشر بكثرة.
الإرتفاع: ٧٤٠ متراً.

١٢ آب

يوم قاتم. تقدم الرجال الذين يمهدون الطريق بخطى بطيئة. لم يطرا أي جديد عندنا وبدأت المؤن تنفد. سنذبح غداً حصاناً آخر ونذخر بذلك لحماً لستة أيام. لا يزال ربوي على حاله، وبدرجة مقبولة. قال باريانتوس إن حركتنا الثورية في بداية انهيارها وعاد إلى سيرته القديمة بوجه تهديداته بالتدخل ضد كوبا. وكان غيباً كعادته. تحدثت الإذاعة عن قتال جرى في مونتيفودو ونجم عنه مصرع أحد رجالنا: أنطونيو فرننديز وهو من تاراتا. يبدو أن هذا يطابق الاسم الحقيقي لبيدرو الذي هو أيضاً من تاراتا.

١٣ آب

خرج ميغيل أوربانو وليون وكامبو لنصب مخيمهم في نقطة نبع الماء التي اكتشفها بينينيو ثم ليواصلوا طريقهم من هناك. وقد حملوا معهم طعاماً يكفيهم لثلاثة أيام، ويتألف من كمية لحم من حصان باشو.. الذي ذبحناه اليوم. بقي لدينا أربع دواب وتشير الدلائل كلها إلى أننا سنضطر إلى ذبح دابة أخرى قبل أن نصل إلى المناطق المأهولة التي تتوفر فيها الأغذية. سيعود كوكو وأنيسيتو غداً إذا جرت الأمور على الوجه المناسب. إصطاد أرتورو طاووستين وقد انتزع الرجال قراراً مني بأكملهما بعد أن نفدت مؤونة الذرة، إن شاباكو يقدم كل يوم أدلة على اختلال عقله... أما باشو فقد تحسنت صحته وتماثل نهائياً للشفاء. ومن جهتي أنا، فقد ازدادت آلام الربو منذ أمس، وأنا ألجأ إلى تهدئتها بالأقراص المسكنة وبمعدل ثلاثة في كل يوم. أما قدمي فهي تتماثل إلى الشفاء.

١٤ آب

يوم أسود. وهو قاتم بالنسبة لنشاطاتنا إذ لم يطرا أي شيء جديد. ولكننا علمنا في المساء، وبينما كنا نستمع إلى النشرات الإخبارية، نبأ الاستيلاء على الكهف الذي توجه إليه رجالنا وبتفاصيل جد دقيقة حتى لم يخالجني أي شك في صحتها. لقد حكم عليّ اليوم بمعاناة آلام شديدة (الربو) نظراً لرداءة الأحوال الجوية. ويبدو أنهم قد عثروا أيضاً على وثائق متنوعة وصور. إنها أقسى ضربة وجهت إلينا منذ بدء القتال. ولا بد أن أحدهم قد تكلم فمن هو؟ هذا هو السر.

أرسلت بأبلو منذ الصباح الباكر ليحمل رسالة إلى ميغيل أطلب فيها منه أن يرسل رجلين للبحث عن بينينيو، في حال عدم عودة كوكو وأنيسيتو من السفر... ولكنه صادفهما في الطريق وعادوا معاً. أبلغني ميغيل أنه سيضطر إلى البقاء في المكان الذي يفاجئه فيه الليل. وطلب مني أن أرسل إليه بعض الماء. بعثت إليه داريو ومعه تحذير بأننا سننتقل غداً وفي ساعة مبكرة مهما كانت الأحوال، ولكنه صادف ليون في طريقه وكان هذا الأخير قد جاء ليعلمنا بأن الطريق قد مُهّد.

جاء في نيا عابر لإذاعة سانتاكروز أن الجيش قد أسر رجلين من مجموعة ميوبمبا... ولم يعد يساورني أي شك في أن المجموعة المذكورة، هي مجموعة جواكين وأن هذا الأخير يتعرض ولا بد لمطاردة شديدة من الجيش وخاصة بعد أن تكلم الأسيران. كان الطقس بارداً ومع ذلك فقد قضيت ليلة طيبة، ولكن قدمي ما زالت تؤلمني ولا بد من شق دمل آخر فيها. شفي باشو نهائياً. تحدثت الإذاعات عن صدام آخر وقع في شيويماكو ولم يتكبد فيه الجيش أي خسائر.

سرنا ثلاث ساعات وأربعين دقيقة فعلية. ثم قضينا ساعة من الراحة في طريق صالح نسبياً. ألقى بي البغلة على الأرض حينما غرز طرف عود خشبي في ساقها ولكنني لم أصب بأي أذى.. قدمي تتحسن. إستمر ميغيل وأوربانو وكامبا في تمهيد الطريق ووصلوا إلى روزيتا. وكان على بينينيو ورفاقه أن يصلوا اليوم إلى الكهف وقد حلفت الطائرات مرات عديدة فوق المنطقة. لا أعلم سبب تحليقها لعلها اكتشفت آثاراً تركها رفاقنا بقرب بيت فارغاس أو أثر مجموعة متجهة على طول الروزيتا أو ريوغراندي. حذرت رجالي في المساء من خطر العبور، واتخذنا الاحتياطات اللازمة للغد.

الإرتفاع: ٦٠٠ متر.

انطلقنا في ساعة مبكرة ووصلنا إلى الروزيتا في الساعة التاسعة. وهناك

خُيِّلَ لكوكو أنه سمع عيارين ناريين فنصبنا كميناً وانتظرنا دون أن يطرا جديد. قطعنا بقية المسافة بخطى بطيئة بعد أن ضللنا طريقنا مرات عديدة، ووصلنا، في النهاية، إلى ريو غراندي في الساعة الرابعة والنصف وهناك أقمنا مخيمنا. كنت أنوي مواصلة الطريق مستعينين بضوء القمر ولكن الرجال كانوا مرهقين كل الراحاق. بقي لنا من لحم الحصان ما يكفي ليومين إذا تعقلنا في الأكل. وبالنسبة لي، لم يتبق من «الموت» ما يكفي إلا ليوم واحد. ويبدو أننا سنضطر إلى ذبح دابة أخرى. أعلنت الإذاعة في نشرتها الإخبارية أنها ستقدم وثائق ومستندات عن كهوفنا الأربعة في ناكاهوازو مما يدل على أن كهف القروود قد كشف أيضاً ووقع بين أيدي الجيش. لم أعان كثيراً من آلام الربو بسبب الظروف السائدة التي تستغرق مني كل وقتي.

الإرتفاع: ٦٤٠ متراً (وهذا ما يبدو غير منطقي بالنسبة للبارحة حيث بلغ ارتفاعنا: ٦٠٠ متر).

١٨ آب

بُكُرنا في الانطلاق أكثر من العادة، ولكننا اضطررنا إلى اجتياز أربع مواقع نقاط ماء كانت إحداها على درجة كافية من العمق.. كما اضطررنا في بعض الأحيان إلى شق الطرق. ولهذه الأسباب كلها فقد وصلنا إلى الجدول في الساعة الثانية حيث أخذ الرجال المرهقون قسطاً من الراحة. لم نقم بعد ذلك بأي نشاط يذكر، وكانت هناك سحب من البعوض الصغير منتشرة في المنطقة، وقد استمرت درجة الحرارة في الانخفاض أثناء الليل ومالت إلى البرودة.

قال لي إنتي إن كامبا يريد الرحيل لأن ظروفه الصحية لا تساعد على الاستمرار معنا، ثم بالإضافة إلى ذلك لا يستشف ملامح النضال في المستقبل. هذه حالة نموذجية بالطبع تمثل لنا الجبن والخساسة وأعتقد أن السماح له بالانسحاب إجراء جيد من شأنه إدخال دم جديد وروح جديدة على مجموعتنا. ولكنني في الوقت الحاضر، لا أستطيع أن أجاز له الانسحاب لأنه يعرف وجهتنا والطرق التي سنسلكها للإلتحاق بجواكين. سأتحدث إليه غداً وكذلك إلى شاباكو.

الإرتفاع: ٦٨٠ متراً.

خرج ميغيل وكوكو وإنتي وأنيسيتو لاستطلاع المنطقة والبحث عن أفضل الطرق المؤدية إلى بيت فارغاس حيث ترابط فصيلة كما يبدو. لم يعثر الرجال على شيء جديد، واضطرونا إلى اقتفاء أثر الطريق القديم. توجه ارتورو وشاباكو إلى الصيد وقتلاً غزلاً، كما أن ارتورو قتل حيوان «التابير» أثناء قيامه بالحراسة مع أوربانو، ولكنه أطلق عليه سبع رصاصات وأحدث بذلك توتراً في المخيم. كان الحيوان مكتنزاً باللحم وفيه ما يكفينا لاربعة أيام. أما الغزال فقد كان يكفي ليوم واحد ثم إننا بالإضافة إلى ذلك كنا نمتلك بعض الاحتياطي من الفاصولياء والسردين. وبشكل عام، كان مجموع المؤن كافياً لستهة أيام... وهذا يعني أن الحصان الأبيض الذي وُضع اسمه في قائمة الذبح، قد يتوصل إلى إنقاذ جلده. تحدثت ما كامبا وأبلغته أنه لن يستطيع الانسحاب قبل انتهاء مرحلتنا المقبلة وأعني بها الالتحاق بجواكين. أما شاباكو فقد صرّح أنه لن ينسحب لأن ذلك في نظره جبن ولكنه يأمل بأن يفعل ذلك بعد ستة أشهر أو خلال عام... لم أحرمه من هذا الأمل ووعدته بتلبية طلبه وقد تفوّه بكثير من الأقوال المتناقضة. يبدو أنه ليس على ما يرام. تفيض الأنباء بالحديث عن دوبريه ولا حديث عن المتهمين الآخرين. لم يصلني أي خبر من بينينيو وأعتقد أنه قد وصل الآن.

لم يتقدم ميغيل وأوربانو المكلفان بتمهيد الطريق كثيراً، وكذلك ويلى وداريو المسؤولان عن «الاشغال العامة» ولهذا فقد قررنا البقاء هنا يوماً آخر. عاد كوكو وإنتي من جولة الصيد بخفي حنين ولكن باكاشو قتل غزلاً وقرداً. أكلت من لحم الغزال، وفي الليل انتابتني نوبة شديدة من الربو. لا يزال الطبيب مريضاً، ويبدو أنه مصاب باللومباغو (آلم القطن) الذي بلغ حده العام وحوّلته إلى إنسان عاجز. لم تصلني أنباء من بينينيو. وانتابتني الهواجس، ولا بد من الاهتمام به منذ هذه اللحظة.

أوردت الإذاعة نبأ وجود مجموعة من المحاربين على بعد ٨٥ كيلو متراً من «سوكر».

لم يحصل أي تقدم في عمل الرجلين المكلفين بفتح الطريق ميغيل

وأوربانو، ولا في عمل رجلي الأشغال العامة وبلي وداريو، لذلك قررنا البقاء حيث نحن يوماً آخر. لم يوفق كوكو وإنتي بالصيد، في حين اصطاد شاباكو غزالاً وقرداً. أكلت من لحم الغزال وحصل لي خلال الليل عارضر ربو. الطبيب دائماً مريض، ويبدو أنه يشكو من ألم في الظهر يؤثر على حالته العامة ويجعله عاجزاً.

لا أخبار عن بينينيو. ابتداء من الآن يجب الاهتمام بالامر.
أعلنت الإذاعة عن وجود مغاورين على بعد ٨٥ كيلومتراً من سوكر.

٢١ آب

قضينا يوماً آخر في نفس المكان دون أن نتلقى خبراً من بينينيو ورفاقه. اصطدنا خمسة قروود، قتل أوستاكيو أربعة منها في الصيد، وقتل مورو الخامس في المعمر... لا يزال الأخير يشكو من ألم اللومباغو وقد حققناه بالمبييردين. لن أستطيع الأكل من لحم الغزال لأنه لا يلائم الربو.

٢٢ آب

انطلقنا أخيراً ولكن بعد وقوع حادث أثار البلبلة في المخيم... رأى رجال المراقبة شخصاً على الشاطئ الرملي يبدو أنه يحاول الهرب فأنذروا المجموعة كلها وتبين بعد ذلك أنه أوربانو الذي ضل طريقه. قمت بتخدير محلي للطبيب حتى يتمكن من السفر، وقد استطاع امتطاء الفرس على الرغم من آلامه ويبدو أنه قد تحسن قليلاً... أما باشو فقد سار على الأقدام. نصبنا مخيمنا على الضفة اليمنى، وتم تهديد الطريق في معظمه ولم يبق سوى النذر اليسير حتى نصل إلى بيت فارغاس. لا يزال لدينا من لحم التابير ما يكفي لغد وبعد غد... والمصيبة أننا لن نستطيع القيام بالصيد ابتداء من الغد.

لا أنباء من بينينيو... وقد مضت عشرة أيام على افتراقه عن كوكو.
الإرتفاع: ٥٨٠ متراً.

٢٣ آب

قضينا يوماً مرهقاً للغاية لأننا اضطررنا للمسير بمحاذاة ممر صخري، شديد الوعورة، وقد رفض الحصان الأبيض أن يتابع الطريق فتركناه بعد أن غرست ساقاه في الوحل ودون أن نجني منه أية فائدة. وصلنا إلى كوخ

صغير للصيادين وعثرنا على آثار تدل على أنه مأهول، ونصبنا كميناً في الحال وما لبثت أن وقع فيه رجلان. وقد زعما أنهما جاءا لتفقد أفضاخهما التي تبلغ العشرة في الجوار، وقالوا إن الجيش يربط في بيت فارغاس وفي تاتارندا وكاراغواترندا وإيبيتا ويومون وإن صداماً حدث منذ يومين في كاراغواترندا وجرح أثناءه عسكري واحد. ذهب ظنوني في الحال إلى بينينيو وتصورته وقد داهمه الجوع وطوقه الجنود. قال الرجلان إن من عادة الجيش اصطياد الأسماك غداً وعلى شكل جماعات تتراوح بين عشرة وعشرين رجلاً. تالف العشاء من لحم التابير وبعض الأسماك التي تم اصطيادها بالديناميت. ومن جهتي أكلت رزاً ويبدو أنه ناسبني جداً. تحسنت صحة الطبيب قليلاً. جاء في أنباء الإذاعة أن محاكمة دوبريه قد أُجِّلَت إلى شهر أيلول.

الإرتفاع: ٥٨٠ متراً.

٢٤ آب

نهض الرجال في الساعة الخامسة والنصف صباحاً، وتوجهنا جميعاً إلى الوادي بقصد تتبع أثره. خرج رجال الطليعة في المقدمة وما كادوا يجتازون بضعة أمتار حتى ظهر من الجانب الآخر ثلاثة فلاحين. استدعيت ميغيل وطلبت من جميع الرفاق اتخاذ مواقعهم في الكمين. وبعد ذلك، أقبل ثمانية جنود باتجاهنا. أصدرت أوامري بالتزام الهدوء إلى حين عبورهم نقطة الماء المواجهة، لنا وبإطلاق النار عليهم حالما يقتربون منا، ولكن الجنود لم يعبروا الماء واكتفوا بجولة قصيرة ثم عادوا من حيث أتوا وكانوا على مرمى من بنادقنا ومع ذلك لم تُصَلِّهم نيراننا. زعم الأسرى المدنيون أنهم صيادون بسطاء. أرسلنا ميغيل وأوربانو ومعهما كامباً وداريو وهوغو غوزمان الصياد، لاستطلاع طريق يتجه نحو الغرب ولا نعلم إلى أين يقود. وبقينا نحن في الكمين طيلة النهار. وحين هبط الليل، عاد الرجال الذين يمهدون الطريق وبرفقتهم الحيوانات التي وقعت في الفخ ومن بينها كوندور (نوع من العقبان) وقط بري متفسخ فالتهم كل شيء مع بقية التابير. لا يزال عندنا بعض الفاصولياء وما عدا ذلك فليس أمامنا سوى الصيد.

إن كامباً في طريقه الآن لبلوغ أقصى حدود الانهيار المعنوي... إنه

يرتجف حالما يسمع بسيرة الجنود. لا يزال الطبيب يعاني من آلامه وهو يداوي نفسه بالتالامونال. وأنا بدوري ابدو في صحة معقولة ولكنني جائع إلى حد مخيف.

أصدر الجيش بلاغاً يعلن فيه عن اكتشافه لكهف آخر كما يعلن عن إصابة جنديين بجروح طفيفة و«خسائر من جانب المحاربين». وجاء في نبأ لراديو هافانا أن قتالاً جرى في تابيريلاس وسقط فيه جريح من جانب الجيش ولكنه لا يؤكد صحة هذا النبأ.

٢٥ آب

انقضى اليوم بدون حدوث أي جديد. ونفخ البوق في الساعة الخامسة، وخرج الرجال باكراً لتمهيد الطريق... وصل سبعة جنود على مسافة بضعة أمتار من مواقعنا ولكنهم لم يحاولوا اجتياز الماء واكتفوا بإطلاق بعض العيارات النارية في الهواء لاستدعاء الصيادين، على ما يبدو، سنهاجمهم غداً إذا سنحت لنا الفرصة. لم يتوضح الطريق وأرسل ميغيل أوربانو لأخذ مشورتنا ولكن هذا الأخير لم يحسن إفهامنا وقد وصل في ساعة يستحيل فيها القيام بأي عمل. أوردت الإذاعة نبأ اشتباك حدث في جبل هورادو ويبدو أنه من إعداد جواكين. كما أوردت نبأ وجود محاربين على بعد ثلاثة كيلو مترات من كاميري.

٢٦ آب

جرت الأمور على غير ما نريد فقد وصل الرجال السبعة ولكنهم انقسموا إلى فريقين، ذهب خمسة منهم باتجاه أسفل النهر. بينما تهيأ الجنديان الباقيان لعبور الماء... أطلق أنطونيو، وهو المسؤول عن تنفيذ الكمين، النار قبل الأوان وأخطأ هدفه فأتاح ذلك للجنديين أن يوليا الأدبار بأقصى سرعتهما لطلب النجدة وقد انسحب الرجال الخمسة الآخرون بسرعة أيضاً وهم يقفزون على الأرض، فهاجمهم كل من إنتي وكوكو ولكنهم اختبأوا حالاً خلف الصخور واستطاعوا أن يردوا المهاجمين على أعقابهم. وبينما كنت أتابع عملية المطاردة لاحظت أن رصاصاً ينهمر من رجالنا باتجاه إنتي وكوكو فهرعت مسرعاً استقصي حقيقة الأمر وتبين لي أن أوستاكيو هو الذي كان يطلق الرصاص وأن أنطونيو لم ينبئه بشيء. غضبت غضباً شديداً لدرجة أنني فقدت زمام نفسي، وعنف أنطونيو بكل

قوة. سرنا بخطى بطيئة بسبب حالة الطبيب بينما استعاد الجيش سيطرته على الموقف وتقدم من الجزيرة المواجهة لنا معزراً بعشرين أو ثلاثين جندياً... لم أر أية فائدة تجنى من مواجهته وقد يكون خسر جريحين على الأكثر.. لقد تميز كوكو وإنتي بقدرتهما على اتخاذ القرار المناسب في اللحظة الحاسمة. جرت الأمور على ما يرام حتى لحظة انهيار الطبيب، مما أدى إلى تباطؤ المسيرة. توقفنا في الساعة السادسة والنصف دون أن نلحق بميغيل على الرغم من أنه لا يبعد عنا سوى أمتار معدودة، وقد اتصل بنا فوراً. أما مورو فقد بقي في أحد الوديان بعد أن عجز عن صعود القسم الأخير. فقمنا هكذا مفترقين عن بعضنا، ومنقسمين إلى ثلاث مجموعات. لم نجد أثراً يدل على قيام الجيش بمطاردتنا.

الإرتفاع: ٩٠٠ متر.

٢٧ آب

أمضينا يومنا في بحث يائس عن طريق نسلكه، ولم نصل حتى الآن إلى نتيجة أكيدة... نحن في هذه اللحظة بقرب ريوغراندي وقد عبرنا (اليومون) وتفيد المعلومات التي جمعناها أنه لا توجد نقاط عبور جديدة وسنضطر إلى العودة ومواصلة الطريق في محاذاة صخرة ميغيل ولكن البغال لا تستطيع اجتياز هذا العمر. بقيت لدينا إمكانية أخرى وهي اجتياز سلسلة صغيرة من الجبال، ومواصلة الطريق بعد ذلك نحو ريوغراندي - مازيكوري، ولكننا لسنا متأكدين من هذا الحل ولا بد من استقصائه غداً. إجتزنا مرتفعات من ١٣٠٠ متر وهي أعلى مرتفعات في المنطقة، وقضينا الليل على علو ١٢٤٠ متراً وكان الطقس يميل إلى البرودة. صحتي جيدة ولكن مورو يعاني آلاماً شديدة، وقد نفذ منا الماء ولم يبق سوى القليل منه للطبيب.

كان الخبر الطيب أو الحادث السعيد هو وصول بينينيون وناثو وخوليو. لقد عاشوا مغامرة كاملة لأن الجنود يرابطون في فارغاس واليومون، وقد اصطدموا بهم في بادئ الأمر ثم اقتفوا، بعد ذلك، أثر فرقة صغيرة كانت تنزل السالاديو ثم عادت لتصعد ناكاهوازو وتبين لهما أن لنهر كونري ثلاث طرق جبلية، يبدو أن الجنود هم الذين فتحوها. وصلوا إلى مخيم الدب بتاريخ الثامن عشر فإذا هو قد تحول إلى معسكر حصين ضدنا،

وكان يرباط فيه نحو ١٥٠ جندياً. وقد فوجئوا بهذا التحول ولكنهم نجحوا في الانسحاب دون أن يراهم أحد. توجهوا حينئذ إلى مزرعة الجد ووجدوا هناك قرعاً فقط لأن المزرعة قد هجرها أصحابها وقد مروا من جديد بين الجنود وسمعوا طلقاتنا النارية وامضوا ليلتهم في الجوار بقصد اقتفاء آثارنا واللاحاق بنا. ويبدو أن ناتو قد تصرف بشكل رائع، كما يقول بينيني، ولكن خوليو ضل طريقه مرتين وكان يبدي بعض الخوف من الجنود. ويعتقد بينيني أن بعض رجال جواكين اجتازوا المنطقة منذ عدة أيام.

٢٨ آب

يوم قاتم ومؤلم. أطفالنا ظمانا ببعض ثمار الكاراكوري العجفاء، وكان ذلك أشبه بتضليل للعطش. أرسل ميغيل بابلو وحيداً مع أحد الصيادين في أثر الماء ولم يكن يحمل معه سوى مسدس لا يغني ويضمن. وأشارت عقارب الساعة إلى الرابعة والنصف ولم يكن قد عاد بعد. بعثت كوكو وانيسيتو للبحث عنه فغابا طيلة الليل. بقي رجال المؤخرة في مكان المنحدر، ولم نتمكن من سماع الأخبار. يبدو أن هناك رسالة جديدة. وأخيراً، ذبحنا الفرس الصغيرة، رفيقتنا منذ شهرين. بذلت كل ما في وسعي لإنقاذها ولكن الجوع قاهر. وهكذا، فإننا لن نعاني، في الوقت الحاضر، من العطش ولا اعتقد أننا سنصل غداً إلى الماء.

جاء في أنباء الإذاعة أن جندياً قد جرح في منطقة تاتارندا. إن ما يحيرني هو التالي: إذا كانوا يعلنون بكل دقة عن خسائرهم فلماذا يكذبون حول نقاط أخرى؟ وإذا كانوا صادقين فعلاً فمن هم أولئك الذين يوقعون بهم الخسائر في مناطق بعيدة ومنعزلة مثل كاراغواترندا وتابيريلاس؟ لا جواب على هذا التساؤل اللهم إلا إذا كان جواكين قد قسّم رجاله إلى مجموعتين... وهناك أيضاً احتمال ظهور مجموعات جديدة مستقلة.

الإرتفاع: ١٢٠٠ متر.

٢٩ آب

يوم متعب ومؤلم. لم يحرز الرجال تقدماً يُذكر في شق الطريق بل إنهم أخطأوا في تحديد الاتجاه الصحيح معتقدين أنهم في طريقهم إلى مازيكوري. اقمنا المخيم على ارتفاع ١٦٠٠ متر في مكان رطب نسبياً حيث ينبت نوع

من قصب السكر يهدىء عصيره العطش. لقد انهار عدة رفاق تماماً بسبب نقص الماء وهم: شاباكو وأوستاكيو والشينو. يجب أن نعمل غداً على استطلاع أول نقطة ماء ويبدو أن المكاريين يتحملون جيداً عناء الطريق. لا انباء هامة في الإذاعة، والاحاديث تتناول، بشكل عام، محاكمة دوبريه التي تطول من أسبوع إلى أسبوع.

٣٠ آب

بدأ الموقف يثير القلق بشكل قوي. فقد أغشي على الرجال الذي يمهدون الطريق، وشرب ميغيل وداريو بولهما، وحذا الشينو حذوهما، وكانت النتائج مريعة: إسهال ومغص. استكشف أوربانو وبينينيو وخوليو وادياً صغيراً وعثروا فيه على ماء وقد أبلغوني أن البغال لا تستطيع المرور فقررت أن أبقى مع ناتو ولكن إنتي صعد محملاً بالماء وبقينا هكذا نحن الثلاثة نأكل من لحم الفرس. لم أتمكن من سماع الاخبار لأن الراديو بقي في الوادي.
الإرتفاع: ١٢٠٠ متر.

٣١ آب

خرج أنيسيتو وليون في الصباح للقيام بجولة استطلاعية في الوادي، وعادا نحو الساعة الرابعة وقالوا إن هناك معراً للبغال يبدأ من المخيم القائم حول نبع الماء ولكن المشكلة التي طرحت علينا كانت مشكلة الوصول إلى هناك، وقد تفقدت المكان ورأيت أن بإمكان الدواب أن تمر فيه، وهكذا فقد أصدرت أمري إلى ميغيل بالالتفاف من رواء الصخرة الأخيرة ومواصلة فتح الطريق بينما نتكفل نحن بالنزول مع البغال. ووصلتنا رسالة من مانيلا ولم نتتمكن من فك رموزها.

التحليل الشهري

إنه، بلا شك، أسوأ شهر عرفناه من وجهة نظر الحرب الثورية. فقد كان في فقدان جميع الاقبية مع الوثائق والادوية الموجودة فيها. ضربة قاسية لنا ولا سيما على المستوى النفسي. وقد أدت خسارة رجلين في نهاية الشهر وما تبع ذلك من مسيرة طويلة، لم تعرف خلالها البطون

سوى لحم الحصان، إلى انهيار معنويات الرجال. وكانت اول حالة انسحاب، وأعني بها كامباً، وهذا في حد ذاته شيء مفيد، ولكن ليس الظروف السائدة. كما أن فقدان الإتصال بالخارج وخاصة بجواكين، واعتراف رجاله الذين أسروا بكل شيء.. كل هذا زعزع أيضاً من معنويات فرقتنا الصغيرة. وقد أثار مرضي القلق لدى البعض، وانعكس ذلك كله في الصدام الوحيد الذي حدث لنا مع العدو: كان من المفروض أن نوقع به خسائر فادحة، فكانت النتيجة جريحاً واحداً. ومن ناحية أخرى فإن هذه المسيرة الصعبة في تلال خالية من المياه، كشفت أيضاً عن بعض الصفات السلبية عند الرجال.

وتلك هي أهم الخصائص:

- (١) لا نزال بدون أي اتصال، ولا أمل لنا في تحقيق اتصال قريباً.
 - (٢) لم نستطع أن نحقق، حتى الآن، مشاركة الفلاحين لنا، وهذا شيء منطقي إذا اعتبرنا مدى قلة العلاقات التي عقدناها معهم في الفترة الأخيرة.
 - (٣) معنويات الرجال في تراجع مؤقت على ما اعتقد.
 - (٤) عجز الجيش حتى الآن عن زيادة فعاليته وقدرته على القتال.
- نمر الآن في مرحلة تشهد انحدار معنوياتنا وأسطورتنا الثورية. ولا تزال المهام العاجلة المطروحة علينا هي مهام الشهر المنصرم وأعني: تجديد الاتصال، استقطاب المقاتلين، التمكن بالادوية والمعدات. وأود أن أشير إلى أن إنتي وكوكو يبرزان في كل يوم كقائدين عسكريين وثوريين صليبي العود.

أيلول ١٩٦٧

١ أيلول

ترجّلنا عن ظهور البغال في ساعة مبكرة بعد وقوع عدة حوادث منها سقطّة مسرحية للبغل الذكر. ولم يتماثل الطبيب إلى الشفاء من وعكته الصحية. أما أنا فقد شفيت نهائياً ومشيت اليوم على أفضل ما يكون، على الرغم من أنني كنت أجر بغلاً وراثي. طالت المسيرة اليوم أكثر مما كنا نتوقع، وقد فوجئنا في حوالي الساعة السادسة والرّبع بعد الظهر بوصولنا إلى الجدول القريب من بيت هونوراتو، وواصل ميغيل تفقد الطريق بالسرعة الممكنة، ولكنه لم يذهب بعيداً بسبب هبوط الظلام. فتقدم بينينيو وأوربانو بحذر ولما لم يلحظا في الجوار شيئاً غير عادي، قمنا باحتلال البيت الذي كان مهجوراً ومزدحماً بأشياء عديدة تركها الجيش بصورة مؤقتة. وقد وجدنا فيه طحيناً وشحمأ وملحأ وجداء. فذبّحنا جديدين، وبالطحين الذي عثرنا عليه، أعدنا وليمة كبيرة استغرقت منا الليل كله. وانسحبنا عند الفجر تاركين وراءنا رقيبأ لحراسة البيت ومدخل الطريق.

الإرتفاع: ٧٤٠ متراً.

٢ أيلول

توجهنا، منذ الصباح الباكر، إلى المزارع تاركين كوكو وبابلو وبينينيو ينصبون كميناً في البيت تحت إشراف ميغيل. وبقي رقيب في الجانب الآخر. وفي الساعة الثامنة وصل كوكو ليعلن أن راعياً قد جاء في أثر هونوراتو. وتبين أنهم أربعة رعاة فأصدرت أمراً بإحضار الرعاة الثلاثة الآخرين. وأضعنا بذلك وقتاً ثميناً لأن المسافة من نقطة إقامتنا إلى البيت تستغرق ساعة كاملة. وفي الساعة الواحدة والنصف سمعنا بعض العيارات النارية وعلمنا بأن فلاحاً اقترب برفقة جندي وحصان. فصرخ الشينو، وكان يقوم بالحراسة مع بومبو وأوستاكيو: «جندي!» واستعد لإطلاق النار، ولكن الجندي بادره بالرماية وولى الادبار فرد عليه بومبو بإطلاق النار وقتل الحصان. غضبت غضباً شديداً واعتبرت هذه العملية بمثابة قعة العجز وسكت الشينو ولم ينبس ببنت شفة. أخلينا سبيل الرعاة الأربعة الذين كانوا قد عادوا إلى البيت أثناء هذا الوقت وكذلك سبيل الأسيرين، وأرسلنا الجميع إلى أعالي مازيكوري. وقد ابتعنا من الرعاة ثوراً صغيراً لقاء ٧٠٠ دولار وأعطينا هوغو ١٠٠ دولار مقابل عمله و٥٠ دولاراً ثمناً لبعض الحاجيات التي أخذناها منه. تبين أن الحصان الراحل كان دابة عاجزة فتركناه لهونوراتو. وقد روى الرعاة أن زوجة هونوراتو قد شكت من الجيش لأن الجنود ضربوا زوجها والتهموا كل ما كانت تمتلكه في الدار... ويبدو أن هونوراتو كان في ريو غراندي يداوي نفسه من عضه نمر، حين مر الرعاة بالدار منذ ثمانية أيام. وعلى كل حال فقد كان البيت لا يخلو من أحدهم، ولا أدل على ذلك من أننا وجدنا ناراً تشتعل، حين وصلنا إتخذت قراراً بسبب غلطة الشينو، بالانطلاق مساء في الاتجاه الذي سلكه الرعاة. علماً نصل إلى أول بيت وننصب كميناً فيه اعتقاداً مني أن الجنود قليلو العدد وأنهم قد انسحبوا من المنطقة. ولكننا خرجنا متأخرين للغاية ولم نتمكن من اجتياز نقطة العبور قبل الساعة الرابعة إلا رباعاً... ثم إننا لم نعر على البيت المقصود فتمنا في درب للبقر بانتظار طلوع النهار. نقلت الإذاعة خبراً في غاية السوء عن إبادة جماعة من الرجال يبلغ عددهم العشرة ويقودهم كوبي يعرف باسم جواكين، في منطقة كاميري.

وكان مصدر هذا النبأ، إذاعة صوت أمريكا ولم تتحدث عنه الإذاعات المحلية.

٣ أيلول

يوم أحد... ومع ذلك فقد اشتبكنا مع الجيش. قمنا عند الفجر بتفتيش المازيكوري باتجاه السافلة وحتى منبع النهر، ثم سرنا قليلاً في اتجاه معاكس لمجرى ريو غراندي. وفي الساعة الواحدة بعد الظهر خرج إنتي وكوكو وبينينيو وبابلو وخوليو وليون في محاولة لبلوغ البيت لمعرفة ما إذا كان خالياً من الجنود، وشراء بعض البضائع والحاجات الضرورية لمعيشتنا. وأسر رجال المجموعة، في بادئ الأمر، فلاحين ولدى استجوابهما قالوا إن المالك ليس موجوداً وإن المنطقة خالية من الجنود، وإن بالإمكان ابتياع كمية لا بأس بها من الأغذية والمؤن. وقالوا أيضاً: إن خمسة جنود مرّوا بالبارحة من هنا مسرعين بدون أن يتوقفوا في الجواد وأن هونوراتو قد عبر المنطقة في طريقه إلى بيته مع ابنين له. وحين وصل رجالنا إلى البيت، فوجئوا بقدوم ٤٠ جندياً وحدث اشتباك غامض قتلوا اثناءً جندياً على الأقل، كان يصطحب معه كلباً. رد الجنود على إطلاق النار وطوقوا رجالنا ولكنهم انسحبوا أمام صراخهم ولم نستطع بذلك أن نجمع حبة أرز واحدة. وقد حلفت الطائرة فوق المنطقة وألقت ببعض صواريخها باتجاه ناكاهوازو. حصلنا من الفلاحين على معلومات أخرى منها أنهم لم يروا أثراً للمحاربين في هذه المنطقة وأنهم علموا بوجودهم لأول مرة من الرعاة الذين مرّوا أمس.

أوردت إذاعة صوت أمريكا تفصيلات أخرى عن القتال الذي دار مع الجيش وذكرت أن جوزي كاريلو هو الوحيد الذي نجا من الموت من أصل الرجال العشرة. ولما كان كاريلو هو باكو، الذي يُعدّ من المفقودين، ولما كانت عملية الإبادة قد تمت في مازيكوري، فإن الدلائل كلها تشير إلى أنها مجرد كذبة ملفقة.

الإرتفاع: ٦٥٠ متراً.

٤ أيلول

نصبت مجموعة من ثمانية رجال، وتحت إشراف ميغيل، كميناً على الطريق المؤدي من مازيكوري إلى بيت هونوراتو، وبقيت في مكانها حتى

الساعة الواحدة بعد الظهر بدون أن يجدَ جديد. وقام نانو وليون، أثناء هذا الوقت، بإحضار بقرة بشق النفس، ولكننا حصلنا بعد ذلك على ثورين سمينين. قطع أوربانو وكامبا مسافة عشرة كيلو مترات باتجاه أعلى النهر وعثروا على أربع نقاط للعبور منها نقطة على درجة كافية من العمق. ذبحنا الثور الصغير وطلبت بعض المتطوعين للقيام بعملية تموين واستقصاء للأخبار فوق الاختيار على إنتي وكوكو وخوليو وأنيسيتو شاباكو وأرتورو بقيادة إنتي. وقد تجلوع أيضاً كل من باشو وبومبو وأنطونيو وأوستاكو وكانت تعليمات إنتي تقضي: بالوصول إلى البيت عند الفجر ومراقبة التحركات ثم التمون في حال خلو المنطقة من الجنود... وفي حال وجودهم فإن عليهم الالتفاف من وراء البيت ومواصلة الطريق مع أسر جندي واحد إذا أمكن، وذُكرت الرجال أيضاً بأن الشيء الأساسي هو عدم وقوع أية خسارة من جانبنا، وللتزام جانب الحذر التام.

أوردت الإذاعة نبأ مقتل رجل في منطقة يزيو، وفي مكان لا يبعد كثيراً عن المنطقة التي أبديت فيها المجموعة السابقة، على اثر اشتباك جديد، وهذا دليل آخر على أن حكاية جواكين ملفقة من أساسها، ولكن الإذاعة أوردت من ناحية أخرى معلومات مستفيضة عن النيفرو، الطبيب البيروني، الذي قتل في بالماريتو ونقل إلى كاميري ويبدو أن البيلاو قد ساهم في التعرف على الجثة وأن النبأ صحيح هذه المرة، أما الأنباء الأخرى عن إبادة مجموعة جواكين فهي ملفقة... ولعل السلطات تعتبرهم من المفقودين وعلى كل حال فإن البلاغات التي تتحدث الآن عن مازيكوري وكاميري ذات فحوى غريبة.

• أيلول

إنقضى اليوم بدون جديد يذكر، بانتظار النتيجة، وعادت المجموعة في الساعة الرابعة والنصف تجر وراءها بغلة محملة ببعض المؤن. ويبدو أن الرجال قد وجدوا جنوداً في بيت المالك مورون، وأن هؤلاء كانوا على وشك اكتشاف وجودهم بفضل كلابهم، وأنه يقومون بجولات ليلية. التفت رجالنا من خلف البيت وشقوا لأنفسهم طريقاً باتجاه بيت مونتانو، وهناك عثروا على الذرة، ولم يعثروا على أحد، فأحضروا منها كنتالا. وقد اجتازوا النهر نحو الظهيرة، ووصلوا إلى البيوت القائمة على الجانب الآخر، وكان

عددها بيتين. ففر سكان البيت الأول وتمت مصادرة البغلة المربوطة في الجوار ورفض سكان البيت الثاني أن يبدا أي تعاون إلا بعد تهديدهم، قال هؤلاء إن هذه هي المرة الأولى التي يلتقون فيها بالمحاربين وإنهم لم يسمعو بوجود جماعة غير الجماعة التي حلت في دار بيريز قبل الكرنفال (أي نحن). كانت الشمس قد ارتفعت حين انصرف رجالنا، وبقوا متخفين إلى حين هبوط الليل بقصداحتلال بيت مورون. وقد سارت الأمور على الشكل المناسب، ولكن أرتورو ضل طريقه ونام في الدرب، فاضاعت المجموعة ساعتين كاملتين في البحث عنه. ويبدو أن الرجال قد تركوا وراءهم بعض الآثار التي يمكن أن تكشف عن وجودنا إذا لم تقم الماشية بازالتها كما أن بعض الحاجيات قد سقطت منهم في الطريق. وانخفضت معنويات الرجال حالاً بعد سماعهم هذه الأخبار.

ذكرت الإذاعة أن السلطات لم تتمكن من التعرف على جثث المحاربين. ولكن الأنباء قد ترد سريعاً عن ذلك. فككنا كلياً رموز رسالة تقول إن اجتماع منظمة تضامن شعوب أمريكا اللاتينية كان انتصاراً ساحقاً وإن الوفد البوليفي كان سيئاً للغاية. ويبدو أن الدو فاوريس وهو من الحزب الشيوعي البوليفي، قد ادعى تمثيله لجيش التحرير الوطني مما استوجب تكذيبه واستدعاء أحد رجال كولي لبحث الموضوع معه. وجاء في الرسالة أيضاً أن بيت لوزانو قد فتش وصور وأن هذا الأخير متوار عن الأنظار، وأن بالإمكان مبادلة دوبريه... هذا كل شيء... لا شك في أنهم لم يتلقوا رسالتنا الأخيرة.

٦ أيلول

بينينيو

أقبل عيد ميلاد بينينيو محملاً بالوعود، وقد عجبنا ما نملكه من طحين عند الفجر وشربنا قليلاً من «المتة» مع السكر. ثم خرج ميغيل إلى الكمين مع ثمانية من رجاله، بينما اصطحب ليون ثوراً صغيراً آخر. وحين أشارت الساعة إلى العاشرة وتاخر الرجال في العودة، أرسلت أوربانو لإبلاغهم بوقف الكمين ظهراً. ولم تمض عدة دقائق حتى سمع عيار ناري ثم رشقاً قصيراً ثم عيار ناري آخر دوى في اتجاهنا. وبينما كنا نهم باتخاذ مواقعنا وصل أوربانو مسرعاً وقال إنه صادف دورية معززة بالكلاب. أصبح

الموقف يائساً خاصة أن تسعة من رجالي يقفون في الجانب الآخر، وإن كان لا أعرفه. عمدنا إلى تحسين الطريق محاولين الخروج منه بدون أن نصل إلى طرف النهر، وأرسلنا مورو وبومبو وكامبا وكوكو لهذا القصد وكنت اعتزم نقل أكياس المؤن، والالتفاف برجال المؤخرة إذا أمكن إلى أن يلتحقوا بالمجموعة المعرضة من ناحية أخرى للوقوع في كمين. ولكن ميغيل عاد مع جميع رجاله من خلال الغابات الكثيفة، وقد جرت الأمور على الوجه التالي: تقدم ميغيل دون أن يترك رقيباً على الدرب الذي نحن فيه، وانصرف إلى إحضار الماشية. وحين سمع ليون نباح كلب، قرر ميغيل أن يعود، من قبيل الخيلة. ودوى الرصاص في هذه اللحظة، وشاهدنا دورية تعبر الطريق القائم بينهما وبين الغابة ولما تجاوزتهما، شقاً طريقاً لهما وللرجال الآخرين. انسحبنا بهدوء نجر وراءنا ثلاثة بغال وثلاثة ثيران واجتزنا أربع نقاط للعبور منها اثنتين خطرتين. وأقمنا مخيمنا على مسافة سبعة كيلو مترات تقريباً من المخيم الأول. وذبحنا بقرة واكلنا حتى شبعنا تماماً. وأبلغنا رجال المؤخرة أنهم سمعوا تبادل ثيران طويل باتجاه مخيمنا اشتركت فيه عدة رشاشات.

الإرتفاع: ٦٤٠ متراً.

٧ أيلول

مسيرة قصيرة. لم نكن قد اجتزنا سوى نقطة ماء واحدة حين اصطدم رجال الطليعة بهضبة شديدة الانحدار فتوقفوا لنصب المخيم في انتظار وصولنا. سنقوم غداً بجولات استطلاعية واسعة وهاكم موقفنا: يبدو أن الطائرات لا تجذ في البحث عنا في هذه المنطقة على الرغم من اكتشافها مخيمنا كان أن الإذاعة قد أعلنت أنني قائد المجموعة العاملة هنا. والتساؤلات المطروحة هي: هل هم خائفون؟ لا أعتقد ذلك. هل يعتبرون تصعيد الحرب مستحيلاً؟ لا أعتقد ذلك نظراً لما فعلنا ولما يعرفونه هم. هل يريدون منا أن نتقدم لينتظرونا في مكان استراتيجي؟ هذا ممكن. هل يعتقدون أننا سنبقى في منطقة مازيكوري للتمون فيها؟ هذا ممكن أيضاً، الطبيب بحالة جيدة، ولكنني أصبت، من جهتي، بنكسة وقضيت ليلة بيضاء.

تحدثت الإذاعة عن معلومات ثمينة أدلى بها جوزي كاريلو (باكو)...

يجب أن نجعل منه عبرة للآخرين، وقد تكلم دوبريه لتنفيذ أقوال باكو فقال إنه كان يذهب للصيد أحياناً وهذا ما يفسر وجود البندقية معه. نقلت إذاعة لاكروز ديل سور نبأ اكتشاف جثة تانيا، المرأة المحاربة، على ضفة ريو غراندي ولكن التفاصيل المذكورة لا توحى بصحة هذا النبأ كما كان الحال بالنسبة للنيغرو. ومما قالته هذه الإذاعة إن الجثة قد نقلت إلى سانتا كروز... ولكنها كانت الإذاعة الوحيدة التي أوردت هذا الخبر بينما لم تتحدث عنه إذاعة التيلانو.

الإرتفاع: ٧٢٠ متراً.

تحدثت إلى خوليو، وهو يبدر على ما يرام، ولكنه يأسف لانقطاع الاتصال وعدم التزام الناس بالحركة.

٨ أيلول

يوم هادئ، نصبنا كمائن من ثمانية رجال من الصباح حتى المساء تحت قيادة أنطونيو وبوميو. ورعت الدواب جيداً في حقل مزروع بالخيزران، كما بدأ البغل يتماثل للشفاء من جراء سقطته. خرج أنيسيتو وشاباكو للإستكشاف باتجاه عالية النهر وعادا ليقولا إن الطريق صالح نسبياً لسير الدواب. عبر كوكو وكامبا النهر بماء يصل إلى الصدر وتسلفا منحدرأ يقع في مواجهتنا، ولكنهما لم يعثرا على شيء هناك. أرسلت ميغيل مع أنيسيتو للإستطلاع فعادا بعد جولة قصيرة بالنتيجة التالية وهي أن من الصعب جداً المرور بالدواب... ساعمل على استطلاع هذا الجانب غداً اعتقاداً مني بأنه توجد إمكانية لإخراج الدواب بعد إنزال حمولتها سباحة في الماء.

جاء في أنباء الإذاعة أن باريانتوس قد شهد دفن بقايا المرأة المحاربة، تانيا «وفقاً للطقوس المسيحية» وأنه توجه بعد ذلك إلى بويرتو موريسيو، أي إلى بيت هونوراتو وقد عرض على البوليفيين المضللين الذين لم يتلقوا الأجر الموعود، أن يتقدموا مرفوعي الأيدي إلى المواقع العسكرية مقابل عدم ملاحقتهم. وقد قامت طائفة صغيرة بقصف المنطقة الواطئة المحيطة بهونوراتو، وبشكل بدت فيه وكأنها تقوم بعرض خاص لباريانتوس.

انتقدت صحيفة من بودابست تشي غيفارا، ووصفته بالإنسان الرائع واللامسؤول، وحيّت في الوقت نفسه الموقف الماركسي للحزب الشيوعي

الذي يتخذ مواقف واقعية من الاحداث. كم اود ان اصل إلى السلطة
لاكشف القناع عن الجبناء والأجراء من كل نوع، وأمرُغ أنوفهم في
قذارتهم.

٩ أيلول

خرج ميغيل وناتو للإستطلاع، وقالوا في العودة إن بإمكان الرجال عبور
النهر من نقطة تبدو مناسبة؛ أما الدواب فإن عليها اجتياز النهر سباحة،
وقد عثرا على جدول كبير يصب في الضفة اليسرى ويصلح لإقامة المخيم.
استمر الرجال في نصب الكمانن وعلى شكل مجموعات من ثمانية أشخاص
تحت إشراف أنطونيو وبومبو. ولكن لم يطرأ أي جديد. تحدثت إلي
انيسيتو... يبدو صلب العود وهو يعتقد أن بعض البوليفيين قد بدأوا
يتخاذلون كما أنه يشكو من إهمال كوكو وأنتي للعمل السياسي. أكلنا لحم
البقرة ولم يتبق منها سوى الأقدام الأربعة التي خصصت للحساء غداً.
كان أهم ما ورد في النشرات الإخبارية الإذاعية نبأ تأجيل محاكمة دوبريه
إلى السابع عشر من أيلول على الأقل.

١٠ أيلول

يوم سيء. بدأ ببشائر طيبة ولكن الدواب حرنت عن المسير في الطريق
الوعر، ورفض البغل في النهاية أن يتقدم خطوة واحدة، فتركناه على الجانب
الأخر. وكان كوكو قد اتخذ هذا القرار، لارتفاع منسوب النهر بشكل قوي،
وقد بقيت أيضاً على الجانب الآخر أربع بنادق منها بندقية مورو وثلاث
قنابل مضادة للدروع لسلاح بينينيوي. اجتزت النهر سباحة برفقة البغلة،
ولكنني فقدت حذاشي أثناء العبور وسأضطر الآن إلى انتعال صندل لا
اتحسس له. وضع ناتو ثيابه وأسلحته في قطعة بلاستيكية وجعل منها
رزمة ولكنه ألقى بنفسه في الماء في فترة ارتفعت فيها مياه النهر بشكل
عنيف ففقد كل حاجياته أثناء العبور. وأما البغلة الأخرى فقد نصبت
قدميها واندفعت وحيدة لإجتياز النهر ولكننا أعدناهما إلى الضفة نظراً
لاستحالة العبور. وعندما حاولت، مرة أخرى، برفقة ليون، كادا أن يغرقا
نظراً لهبوب الإعصار. وصلنا في النهاية جميعاً إلى الجدول حيث أقمنا
مخيمننا. وكان الطبيب في حالة صحية لا يحسد عليها. وقد شكنا من آلام

عصبية في أطرافه طيلة الليل. وضعنا خطة لإرسال الدواب، مرة أخرى، سباحة إلى الجانب الآخر من النهر ولكن المياه كانت مرتفعة وكان لا بد من انتظار انخفاضها. ثم إن بعض الطائرات، ومنها طائرات الهليكوبتر حلقت فوق المنطقة... إنني أتوجس شراً من الهليكوبتر لأن بإمكانها إنزال الجنود، وتصب الكمائن على طول النهر. سنقوم غداً بالاستكشاف في اتجاه عالية النهر وسافلتة كي نتمكن من تحديد مكان وجودنا بالضبط.

الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

الطريق: ٣٤ كيلو متراً.

نسيت أن أشير إلى هذا الحدث: لقد اغتسلت اليوم بعد انتظار طال أكثر من ستة أشهر، وضربت بذلك رقماً قياسياً لم يتوصل إليه سوى بعض الرفاق فقط.

١١ أيلول

يوم هادئ. خرج بعض الرجال لاستطلاع أعلى النهر والجدول. عاد أولئك الذين توجهوا إلى النهر، مع هبوط الظلام، وقالوا إن هناك ممراً على الأرجح، ويصعب التأكد منه قبل انخفاض منسوب النهر، وعثروا أيضاً على ضفاف مناسبة للدواب. أما بينينيو وخوليو اللذان خرجا لاستطلاع الجدول فقد عادا في الظهيرة ويبدو أن استطلاعهما لم يكن كما يجب. خرج ناتو وكوكو بمساعدة رجال المؤخرة لإحضار الحاجيات التي بقيت على الجانب الآخر بعد أن دفعا البغلة إلى عبور النهر وقد أحضرا كل شيء، ولم يتركوا سوى كيس واحد ومخازن الرصاص الخاصة بالرشاش.

حدث أمر يؤسف له: جاءني الشينو وقال لي إن ناتو أعد شواء من لحم البقرة وأكله وحيداً بحضوره. وقد عنفته لأنه المسؤول عن منعه وبعد التحقيقات الضرورية تعقدت الأمور لدرجة كبيرة ولم يعد بإمكانني أن أميز إذا كان الشينو قد أجاز له أم لم يُجز له ذلك. وقد طلب أن يستبدل من وظيفته فعينت بومبو لهذا المنصب ولكنها ضربة قاسية للشينو.

نقلت الإذاعة تصريحاً لباريانتوس في هذا الصباح يؤكد فيه أنني مت منذ زمن طويل وأن ما يقال عن وجودي هنا ليس سوى مجرد دعاية ولكنه في المساء عرض جائزة ٥٠٠٠٠ دولار (ما يعادل ٤٢٠٠ دولار أمريكي) لمن يدلي بمعلومات تتيح أسري حياً أو ميتاً. يبدو أن القوات

المسلحة قد أعطته (١). ألقت الطائرات مناشير فوق المنطقة تحمل صوري على الأرجح وقال ريكيثيريان إنه يعتبر عرض باريانتوس مجرد حرب نفسية لأن صلابه المحاربين معروفة ولأنهم يعدون أنفسهم لحرب طويلة.

تحدثت طويلاً إلى بابلو. إنه قلق كالأخرين لفقدان الاتصال، وهو يعتبر أن مهمتنا الرئيسية تتمثل في تجديد الاتصالات بالمدينة، ولكنه بدأ حازماً ومصمماً على تحقيق شعار: «الوطن أو الموت» بكل ما يقتضيه من تضحيات.

١٢ أيلول

بدأ يومنا بحادثة مأساوية - هزلية: جاءني أوستاكيو، في تمام الساعة السادسة صباحاً، وهي ساعة النفير، ليحذرني من وصول بعض القادمين بمحاذاة الجدول، فاستنفرت جميع الرجال. واستعد الجميع للمعركة. وقد رأهم أنطونيو وعندما سألته عن عددهم أجاب بإشارة من أصابع يده الخمسة. وتبين في النهاية أن ذلك مجرد تخيلات وأوهام خطيرة على معنويات الفرقة الصغيرة وقد بدأ الرجال حالاً بعد هذه الحادثة يتكلمون عن التشوش النفسي والعقلي. تحدثت بعد ذلك إلى أنطونيو، وقد بدا لي غير طبيعي بشكل جلي، فقد انتحب ثم نفى أن يكون هناك ما يشغل فكره، وقال إن ذلك سببه قلة النوم، فهو قد عوقب بالحراسة ستة أيام متتالية على أثر تلك الحادثة التي نام خلالها في مركز المراقبة ممتنعاً عن الإقرار بذنبه. عصى شاباكو أمراً وجه إليه، وعوقب بالحراسة ثلاثة أيام، ولكنه وجدني في المساء وطلب مني أن أزور الطليعة لأنه لم يتفاهم مع أنطونيو، وقد رفضت طلبه. خرج إنتي وليون وأوستاكيو لاستطلاع منطقة الجدول، بشكل جدي، ودراسة إمكانية الانتقال إلى الجانب الآخر من سلسلة جبلية كبيرة تلوح في البعيد. وخرج كوكو وأنيسيتو وخوليو في اتجاه أعلى النهر بحثاً عن نقاط العبور وعن الوسائل الناجعة لاقتياد الدواب، إذا ما تقرر أن نواصل الطريق من هناك.

أثار عرض باريانتوس ضجة كبرى، على ما يبدو... وعلى كل حال فقد

(١) غير مقروء في النص الأصلي.

وجد أحد الصحفيين، رغم كونه مغرضاً، أن مبلغ ٤٢٠٠ دولار أمريكي قليل جداً بالنسبة للخطر الذي أمثله. أعلن راديو هافانا أن منظمة تضامن شعوب أمريكا اللاتينية قد تلقت رسالة تأييد من جيش التحرير الوطني: يا لأعاجيب توارد الأفكار!

١٣ أيلول

عاد المستكشفون: صعد إنتي ومجموعته مجرى الجدول، طيلة اليوم، وناموا في منطقة عالية وباردة نسبياً. إن الجدول ينبع، على ما يبدو، من سلسلة جبلية تقع في مواجهتنا باتجاه الغرب - الشمالي ولا تسمح بمرور الدواب. وحاول كوكو ورفاقه أن يعبروا النهر ففشلوا، وقد اجتازوا ١١ صخرة عالية قبل أن يصلوا إلى واد نهر صغير: البيسكا على الأرجح. وعثروا هناك على بعض دلائل الحياة والمزارع المحروقة كما وجدوا ثوراً. قالوا إن على الدواب أن تعبر من الجانب الآخر. اللهم إلا إذا صنعنا طوقاً ينقل الجميع وهذا ما سنحاول أن نفعله.

تحدثت إلى داريو، وذكرت له أن بإمكانه الانسحاب إذا رغب في ذلك. رد عليّ في بادئ الأمر قائلاً إن الانسحاب محفوف بالمخاطر، ولكنني أفهمته أن الحرب الثورية ليست ملجأ وأن عليه، إذا قرر البقاء، أن يبقى إلى نهاية الحرب فوافق ووعد بإصلاح نفسه. سنرى.

كان أهم نبأ ورد في الإذاعة تلك الضربة التي وجهت إلى دوبريه الأب ومصادرة جميع الوثائق الأولية من دفاع الابن الذي يعده عن نفسه بحجة أنهم لا يريدون لهذا الدفاع أن يتحول إلى نشرة سياسية.

١٤ أيلول

يوم متعب. خرج ميغيل في الساعة السابعة مع رجال الطليعة كلهم، وكذلك مع ناتو، وكان لديهم أمر باجتياز أطول مسافة ممكنة من هذا الجانب وبناء طوف في المكان الذي يصعب فيه العبور. وبقي أنطونيو في الكمين مع رجال المؤخرة جميعهم. وقد أخفينا بندقيتين من طراز م - ١ في كهف صغير يعرفه ناتو وميلي. أشارت الساعة إلى الواحدة والنصف ولم يردنا أي نبأ من الرفاق، فقررنا حينئذ بدء المسيرة. لم نستطع أن نركب ظهور البغال. وقد اضطررت، رغم ربوي، إلى التخلي عن الدابة لليون ومواصلة الطريق سيراً على قدمي. تلقى رجال المؤخرة أمراً بالاستعداد

للمسير في الساعة الثالثة بعد الظهر، إلا إذا صدر إليهم أمر معاكس. وقد وصل بابلو نحو هذه الساعة وأعلن أن الثور موجود في مواجهة نقطة عبور الدواب، وأن الرجال يعملون على بناء طوف في مكان يقع على بعد كيلو متر واحد.

انتظرت وصول الدواب ولكنها تأخرت ولم تصل إلا في الساعة السادسة والربع، وبعد أن أرسلت بعض الرجال في أثرها. وكان البغلان قد عبرا النهر (وكذلك الثور) فواصلنا الطريق بخطى بطيئة إلى المكان الذي أقيم فيه الطوف. كان هناك ١٢ رجلاً لم يعبروا النهر بعد، بينما أصبح ١٠ رجال على الجانب الآخر. وهكذا أمضينا الليل مفترقين عن بعضنا متناولين آخر وجبة من لحم الثور الذي كاد أن يتفسخ. الإرتفاع: ٧٢٠ متراً. الطريق: ٢ - ٣ كيلو مترات.

١٥ أيلول

كانت المسافة التي قطعناها طويلة بعض الشيء: ٥ - ٦ كيلو مترات ولكننا لم نصل إلى نهر البيسكا لأننا اضطررنا إلى إلزام الدواب بالعبور مرتين ولأن بغلة رفضت اجتياز النهر. بقي علينا عبور واحد وسنرى إذا كانت البغال ستحاربنا هذه المرة.

أعلنت الإذاعة عن اعتقال لويولا، واعتقد أن الصور هي السبب. لقد مات الثور الذي بقي لدينا، ولكن على أيدي الجلاء طبعاً. الإرتفاع: ٧٨٠ متراً.

١٦ أيلول

قضينا اليوم في بناء الطوف واجتياز النهر ولم نemiş سوى ٥٠٠ متر تقريباً إلى المخيم الذي نصبناه بقرب ينبوع صغير. وقد انتهت عملية العبور بلا حوادث، وعلى طوف متين كان يشد من جانبي النهر بالحبال. وفي النهاية حين تركنا أنطونيو وشاباكو وحيدين، جرت مشادة جديدة بينهما وفرض أنطونيو على الآخر عقوبة مدتها ستة أيام بتهمة التحقير. وقد احترمت هذا القرار رغم شكّي في أن يكون صحيحاً. وجرى حادث آخر في المساء عندما اتهم أوستاكيو ناتو بأكل وجبة إضافية وتبين أن الأمر كان جلد خنزير نثيف. وهكذا فقد كان الطعام سبباً في تأزم الموقف. وقد طُرِحت عليّ مشكلة الملاحظات من خوليو. يبدو هذا كله يبدو عديم

الاهمية.
الإرتفاع: ٨٢٠ متراً.

١٧ أيلول

بابلو

قضيت يومي في معالجة المرضى، وخلعت أسناناً لأرتورو وشاباكو. قام ميغيل باستكشاف المنطقة الممتدة إلى النهر بينما تفقد بينينييو الطريق. وقد أبلغاني أن البغال تستطيع مواصلة الطريق ولكنها ستضطر قبل ذلك إلى اجتياز النهر سباحة ذهاباً وإياباً. طبخنا على شرف بابلو قليلاً من الارز.. لقد بلغ اليوم عامه الثاني والعشرين وهو اصغر الرجال سناً على الإطلاق.

لا نبا في الاذاعة سوى تأجيل المحاكمة واحتجاج لويولا غوزمان على توقيف دوبريه.

١٨ أيلول

بدأنا المسيرة في الساعة السابعة، وما كدنا نقطع مسافة قصيرة حتى أقبل ميغيل مسرعاً ليقول لنا إنه رأى في المنعطف ثلاثة فلاحين، وأنه ليس متأكداً من أنهم لم يرونا. أصدرت أمراً إليه بتوقيفهم. وقد أثار شاباكو ذاك الشجار المألوف حينما اتهم أرتورو بسرقة ١٥ رصاصة من مخزنه. إنه إنسان رهيب.. والجانب الصالح الوحيد في هذه المشكلة هو أن البوليفيين لا يعيرونه أدنى اهتمام على الرغم من نزاعه المستمر مع الكوبيين. قطعت البغال المسافة كلها دون حاجة إلى السباحة ولكن البغلة السوداء أقلتت من أيدينا أثناء اجتيازنا مجرى النهر وانقلبت على الأرض مسافة ٥٠ متراً وأصيبت ببعض الرضوض. أسرنا أربعة فلاحين كانوا متوجهين مع حميرهم الصغيرة إلى بيرايبندي وهو نهر يقع على بعد فرسخ من هنا باتجاه أعلى النهر، وقد قالوا لنا إن آلادينو غوتيبيريز يعسكر مع رجاله على ضفاف ريوغراندي حيث يقومون بصيد الطيور والأسماك. وقد ارتكب بينينييو حماقة كبرى حين سمح لفلاح وزوجته، وكذلك لفلاح آخر كانوا قد راوه بمتابعة طريقهم دون أن يوقفهم. وعندما أبلغت ذلك غضبت غضباً شديداً، وقلت إن هذا العمل خيانة صريحة مما أثار بكاء عنيفاً من جانب بينينييو. أخبرنا جميع الفلاحين أنهم سيمضون

معناً غداً إلى زيتانو، أي إلى المزرعة التي يقيمون فيها والتي تقع على بعد ستة أو ثمانية فراسخ من هنا. وقد تهرب آلادينو وزوجته ولم نستطع إقناعهما ببيعنا بعض الأغذية إلا بشق النفس.

أعلنت الإذاعة الآن نبأ قيام لويولا بمحاولتين للإنتحار. «خوفاً من انتقام المحاربين» وكذلك نبأ اعتقال عدد من الأساتذة المتعاطفين معنا إن لم يكونوا من المتواطئين. لقد وجدوا دونما شك أشياء كثيرة لدى لويولا، ولكنني لن أدهش قط إذا علمت بأن الصور التي عثر عليها في الكهف... هي سبب انكشاف شبكتنا. عادت الطائرات الصغيرة وطائرة «الموستانغ» إلى التحليق، بشكل مشبوه، فوق المنطقة مع هبوط الظلام.

الإرتفاع: ٨٠٠ متر.

١٩ أيلول

لم نمض باكراً لأن الفلاحين قد أضاعوا دوابهم. وانطلقنا أخيراً مع قافلة الأسرى بعد أن أسمعتهم كلاماً لاذعاً. ومشينا أنا ومورو ببطء، وحين وصلنا إلى منحرف النهر، علمنا بأن هناك ثلاثة أسرى إضافيين وبأن رجال الطليعة قد تقدموا منذ قليل في طريقهم إلى مزرعة غنية بقصب السكر، تقوم على بعد فرسخين. وقد كانت الرحلة إليها طويلة. وصلنا حوالى الساعة التاسعة مساءً إلى المزرعة وهي في الحقيقة حقل مزروع بقصب السكر. ووصل رجال الطليعة بعد هذا الموعد.

تحدثت إلى إنتي عن بعض نقاط الضعف فيما يخص الطعام وقد وافق على كلامي بضيق شديد وقال إنه سيقوم بنقد ذاتي، وعلني في أول اجتماع لنا، ولكنه نفى صحة بعض الاتهامات. إنتقلنا الآن من ارتفاع ١٠٠٠ متر إلى ١٤٤٠ متراً وسنصل إلى لوسياتانو خلال ثلاث ساعات من المسير أو أربع ساعات على حد قول العتشانمين. أكلنا أخيراً لحم الخنزير. وأما الرجال المغرمون بالحلويات فقد أكلوا أيضاً من «الشانكاكا».

تحدثت الإذاعة طويلاً عن قضية لويولا. ويبدو أن الأساتذة قد أعلنوا الإضراب. كما أعلن طلاب المدرسة الثانوية التي يدرس فيها هيغيراس، وهو أحد الموقوفين، الإضراب عن الطعام... ويبدو أيضاً أن عمال النفط هم في طريقهم إلى إعلان الإضراب بعد إنشاء شركة النفط.

من علامات هذه الأزمة: لم يعد لدي حبر.

٢٠ أيلول

إتخذت قراراً بمواصلة المسير في الساعة الثالثة بعد الظهر حتى نتمكن من الوصول إلى مزرعة لوسيتانو قبل هبوط الظلام. وكان المستكشفون قد أبلغوني أن الرحلة لن تستغرق أكثر من ثلاث ساعات. ولكن بعض الصعوبات الطارئة أخرت مسيرنا حتى الساعة الخامسة، وصعدنا طريق الهضبة تحت جنح الظلام الدامس وأشعلنا فتيلاً بقصد الإسراع ولكن محاولتنا هذه لم تجدِ نفعا لأننا لم نصل إلى بيت آلادينو غوتييريز قبل الساعة الحادية عشرة، ولم يكن لديه ما يستحق الشراء باستثناء بعض السجائر والأشياء الأخرى. لم نجد لديه ثوباً واحداً، وهكذا فقد نمنا قليلاً لنواصل المسيرة في الساعة الثالثة صباحاً باتجاه التوسيكو التي تقع على مسافة أربعة فراسخ من هنا. استولينا على هاتف المختار وتبين لنا أنه معطل منذ سنوات عديدة، وأن الخط مقطوع، وعلمنا بأن المختار يدعى فارغاس وأنه عين حديثاً في منصبه.

لم تورد الإذاعات أي نبأ هام. وصلنا الآن إلى ارتفاع ١٨٠٠ متر وكان ارتفاعنا في لوسيتانو ١٤٠٠ متر. مشينا قرابة فرسخين حتى وصلنا إلى المزرعة.

٢١ أيلول

إنطلقنا في الساعة الثالثة، تحت ضوء القمر الساطع، وفي طريق قد استطلع مسبقاً، وسرنا حتى الساعة التاسعة تقريباً ولم نصادف أحداً، وبلغنا ارتفاع ٢٠٤٠ متراً وهو أعلى رقم بلغناه حتى الآن. إلتقينا هناك براعيين وقد أرشدانا على الطريق إلى التوسيكو وتبين أن أمامنا فرسخين آخرين. قد مشينا هزيعاً من الليل والصباح كله ولم نقطع سوى فرسخين. وحين وصلنا إلى البيوت الأولى التي تقع في بداية الانحدار، اشترينا بعض الأغذية وتوجهنا إلى بيت المختار لتناول الطعام... وصادفنا بعد ذلك طاحونة للذرة تعمل بالطاقة المائية على طرف بيراميري (١٤٠٠ متر) وقد دعر الاهالي كثيراً وحاولوا الهروب منا. وفقدنا نحن وقتاً لا يحصى بسبب قلة الحركة، فقد استغرق منا الفرسخان إلى التوسيكو قرابة أربع ساعات ونصف الساعة (من الساعة ١٢,٣٥ إلى الساعة ٥).

٢٢ أيلول

حين وصلنا - مجموعة الوسط - إلى التوسيكو، تبين لنا أن المختار قد خرج الليلة البارحة ليبلغ السلطات عن وجودنا في المنطقة. فاقترحنا حانوته واستولينا على محتوياته، كإجراء انتقامي. إن التوسيكو قرية صغيرة تتألف من ٥٠ بيتاً وتقوم على ارتفاع ١٩٠٠ متر. وقد استقبلنا سكانها بمزيج من الخوف والفضولية. بدأت آلة التموين تعمل على وجه مناسب، وتجمع في مخيمنا - وهو بيت مهجور يقع بقرب نبع ماء - كمية كبيرة من الأغذية والمؤن في فترة قصيرة. لم تعد الشاحنة الصغيرة من رحلتها إلى فاله غراندي مما يدل على أن المختار قد ذهب فعلاً للتبليغ عنا. جاءت زوجته باكية منتحبة وراحت تستحلفني باسم السماء وباسم أطفالها أن أسد لها ما أخذ من الحانوت، ولكنني رفضت رفضاً قاطعاً. وفي المساء عقد إنتي اجتماعاً في قاعة المدرسة (السنة الأولى والثانية) شرح فيه لجماعة من الفلاحين المذهولين الصامتين (١٥ شخصاً)، أهداف ثورتنا وكان معلم القرية الوحيد الذي طلب الكلام ليسأل إن كنا نقاتل في القرى، إنه مزيج من الفلاح الماكر المتعلم، والطفل البريء، وقد طرح عدداً كبيراً من الأسئلة حول الاشتراكية. وعرض علينا أحد الصبية أن يعمل دليلاً معنا ولكنه حذرنا من المعلم الذي يسميه أبناء المنطقة بالثعلب. مضينا في الساعة الواحدة والنصف باتجاه سانتا إيلينا ووصلنا إليها في الساعة العاشرة.

الارتفاع: ١٣٠٠ متر.

عقد باريانتوس وأوفاندو مؤتمراً صحفياً قدماً خلاله كل المعلومات التي حصلنا عليها من الوثائق المصادرة وأعلننا فيه أن مجموعة جواكين قد أبيضت.

٢٣ أيلول

أقمنا المخيم في حقل رائع من البرتقال تتدلى الثمار من أشجاره. وأخذنا طيلة اليوم للراحة والنوم بعد تعزيز الحراسة. ونهضنا في الساعة الواحدة لننتقل في الساعة الثانية باتجاه لوما لارغا التي بلغناها عند الفجر على ارتفاع ١٨٠٠ متر، وكان الرجال مثقلين بالأحمال، والمسيرة بطيئة، وأصبت من جانبي بعسر هضم نتيجة للطعام الذي أعده بينينيو.

٢٤ أيلول

وصلنا إلى قرية صغيرة تسمى لوما لارغا. أصبت أنا بنوبة كبد وتقيو، وقد أرهقت الرجال مسيرات لا طائلة منها. إتخذت قراراً بتمضية الليل في ملتقى الطريق مع بوخيو، وقام الرجال بذبح خنزير ابتعنائه من الرجل الوحيد الذي بقي في منزله سوستيتوس فارغاس... أما الآخرون فقد فروا. الإرتفاع: ١٤٠٠ متر.

٢٥ أيلول

وصلنا في الصباح الباكر إلى بوجيو، والتقينا هناك بأناس رأونا الليلة البارحة، وبعبارة أخرى، لقد كشف عن وجودنا في راديو بامبا^(١). وبوجيو قرية صغيرة تقع على مرتفع وأهلها طيبون... وقد فروا في بادئ الأمر عند رؤيتنا ولكنهم اقتربوا بعد ذلك شيئاً فشيئاً وعاملونا معاملة حسنة. خرج عند الفجر أحد رجال القناصة وكان قد قدم من سيرانو باتجاه شوكيزكا لتوقيف رجل يمتنع عن تسديد ما عليه. نحن الآن على مفترق ثلاث محافظات. وقد أصبحت مسيرتنا مع البغال محفوفة بالخطر، ولكنني مضطر لذلك حتى يستطيع الطبيب أن يسافر في أفضل الظروف الممكنة، فقد بلغ غاية في الضعف. قال لنا الفلاحون إنهم لم يروا الجيش في هذه المنطقة. مشينا، بشكل منقطع، حتى وصلنا إلى ترانكا مايو حيث نمنا على جانب الطريق لأن ميغيل لم يتخذ الاحتياطات التي طلبتها منه. تأكد لنا أن مختار هيغيراس في الجوار. فأصدرت أمراً إلى الحرس باعتقاله. الإرتفاع: ١٨٠٠ متر.

تحدثنا أنا وإنتي إلى كامبا، واتفقنا على أن يرافقنا إلى هيغيرا، وهو مكان يقوم على مقربة من بوكارا... وبإمكانه أن يتوجه من هناك إلى سانتاكروز.

٢٦ أيلول

الهزيمة. وصلنا عند الفجر إلى بيكاشو حيث كان السكان جميعاً يحتفلون بالعيد، وبلغنا بذلك أعلى ارتفاع حتى الآن: ٢٢٨٠ متراً. عاملنا الفلاحون معاملة حسنة وواصلنا طريقنا دون مخاوف تذكر رغم تصريح

(١) راديو بامبا: تعبير شعبي في كوبا يشير إلى الاشاعات الشعبية.

أوفاندو بأن أسري بات محتماً في لحظات معدودة. وحين وصلنا إلى هيغيرا، اختلف كل شيء، فقد اختفى جميع الرجال ولم نجد في البلدة سوى بعض النساء. توجه كوكو إلى مركز البريد والبرق والهاتف وحصل هناك على كتاب بتاريخ الثاني والعشرين، موجه من نائب حاكم فاله غراندي إلى مختار المحلة يعلمه فيه بوجود محاربين في المنطقة ويطلب منه موافاته بأي تطور جديد مع استعداده لدفع كافة النفقات. وقد فرّ المختار ولكن زوجته أكدت لنا أن الهاتف لم يستعمل اليوم لأن (جاغاي) وهي القرية المجاورة تحتفل بالعيد.

إنطلق رجال الطليعة في الساعة الواحدة بقصد الوصول إلى جاغاي واتخاذ قرار هناك بشأن البغال والطبيب... وبعد ذلك بفترة قصيرة، كنت منهمكاً بالحديث إلى الرجل الوحيد في القرية، المذعور من رؤيتي، حين وصل تاجر كوكا وقال إنه قدم توأ من فاله غراندي ومن بوكارا وأنه لم ير شيئاً. كان أيضاً في غاية العصبية، واعتقدت أن ذلك بسبب وجودنا هنا... فتركتهما ينصرفان على الرغم من أكاذيبهما. وحين توجهت إلى قمة السفح. وكانت الساعة تشير إلى حوالي الواحدة والنصف، دوت عيارات نارية في الجبل فأدركت حالاً أن رجالنا قد وقعوا في كمين. قمت بتنظيم المقاومة في القرية الصغيرة، بانتظار الناجين، وحددت المخرج الوحيد لنا وهو طريق يتجه إلى ريوغراندي. وما هي إلا لحظات حتى أقبل بينينيو مجروحاً ثم لحق به أنيسيتو وبابلو وقد أصيب في قدمه. لقد قُتل ميغيل وكوكو وخوليو أما كامبا فقد اختفى بعد أن ألقى بعناده. خرج رجال المؤخرة سريعاً بمحاذاة الطريق وتبعتهم وأنا أجر وراشي البغلين... أما الرجال الذين كانوا خلفنا فقد تأخروا أمام النيران الموجهة إليهم كما أن إنتي فقد الاتصال نهائياً. إنتظرناه نصف ساعة في كمين صغير، ونحن نصد هجوماً آخر من ناحية الجبل، ولم يكن بوسعنا الانتظار أكثر من ذلك. فقررنا أن نتركه ولكنه لحق بنا بعد فترة قصيرة... وفي هذه اللحظة بالذات، افتقدنا ليون فلم نجده وقال إنتي إنه رأى متاعه ملقى على حافة الطريق الذي سلكه دونما شك. ورأينا بالفعل رجلاً يسير مسرعاً في الوادي، وخيل إلينا أنه ليون، تركنا البغال تتجه نحو أسفل الوادي في محاولة لتضليل العدو حول وجهتنا الحقيقية وواصلنا المسير في واد ضيق يتوفر فيه بعض الماء المر. ومننا في الساعة الثانية عشرة بعد

استحالة تقدمنا.

٢٧ أيلول

واصلنا المسير في الساعة الرابعة علنا نجد مكاناً نستطيع منه الخروج من الوادي، وقد نجحنا في ذلك نحو الساعة السابعة، ولكن في الجانب الثاني، وكانت تقوم في مقابلنا هضبة جرداء، يوحى مظهرها بالسكينة والاطمئنان. تسلقنا قليلاً باتجاه غابة صغيرة نحتمي فيها من الطائرات، واكتشفنا طريقاً في الهضبة لم تطأه قدم إنسان طيلة اليوم. وحين هبط الليل، صعد فلاح وجندي إلى منتصف السفح ثم توقفوا هناك قليلاً ولم يشاهدانا. وكان انيسيتو قد عاد من جولة استطلاعية ورأى مجموعة كبيرة من الجنود في بيت مجاور... كان ذلك أسهل طريق بالنسبة لنا، وكان أفرادهم ينقلون أشياء تحت أشعة الشمس، في الظهيرة سمعنا عيارات نارية منفردة وبعض الرشقات وصراخاً على الوجه التالي: «إنه هناك، أخرج من هنا، هل ستخرج، نعم أم لا؟» ترافقه بعض العيارات. لم نعرف ما هو مصير الرجل الملاحق واعتقدنا أنه كامبا. إنطلقنا مع هبوط الظلام في محاولة للوصول إلى الماء من الجهة الأخرى ولكننا وجدنا أنفسنا في غابة كثيفة للغاية... واضطررنا إلى إحصار الماء من الوادي بعد أن اصطدمنا بمرتفع صخري شديد الوعورة. أوردت الإذاعة نبأ اشتباكنا مع كتيبة غالندو وسقوط ثلاثة قتلى من جانبنا سينقلون إلى فاليه غراندي للتحقق من هوياتهم. يبدو أنهم لم يقبضوا على كامبا ولا على ليون. كانت خسائرنا فادحة هذه المرة، وأفدح ما فيها موت كوكو... ولكن ميغيل وخوليو كانا أيضاً مقاتلين رائعين، واعتقد أن القيمة الإنسانية لهؤلاء الرجال الثلاثة لا حدود لها.

كان ليون يجيد الرسم.

الإرتفاع: ١٤٠٠ متر.

٢٨ أيلول

يوم من القلق الشديد، خيل إلينا أنه يومنا الأخير، احضرنا الماء عند الفجر، وخرج إنتي وويلي حالاً بعد ذلك لاستطلاع منحدر جديد يؤدي إلى الوادي، ولكنهما عادا سريعاً بعد أن اكتشفا طريقاً يخترق الهضبة المواجهة لنا حيث شاهدا فلاحاً على متن جواده. وفي الساعة العاشرة مرّ

٤٠ جندياً في الجهة التي تقع في مواجهتنا ومتاعهم على ظهورهم، وقد ابتعدوا ببطء شديد خلته عسوراً. وفي الساعة الثانية عشرة مرت مجموعة أخرى من ٧٧ جندياً وزاد الطين بلة إنطلاق عيار ناري فاتخذ الجنود مواقعهم في الحال. وقد وجه الضابط إليهم أمراً بالنزول إلى مجرى الوادي الذي خيل إلينا أنه وادينا، ولكنهم في النهاية اتصلوا بالجهاز ولاحت على وجوههم علائم البشر وتخلوا عن النزول.

إن ملجأنا يستحيل الدفاع منه أمام هجوم من الأعلى ليس أمامنا أية إمكانية للنجاة، إذا اكتشفوا مكانه. مرّ جندي كالكلب المرهق، بينما كان الباقون يجرونه من ثيابه ويحثونه على الإسراع. وبعد ذلك بقليل، مرّ فلاح وكان يرشد أحد الجنود الضالين ثم ما لبث أن عاد أدراجه، ولم يطرأ أي شيء جديد. لقد كانت اللحظة التي دوى خلالها العيار الناري، لحظة توتر وقلق شديدين. عبر جميع الجنود مع متاعهم وخيّل إلينا أنهم في طريقهم إلى الانسحاب. ولم نر أثراً للنار في البيت الصغير، ولم نسمع أيضاً دوي الرصاص الذي يستقبلون به عادة هبوط الظلام. سنقوم غداً بالاستطلاع في القرية طيلة النهار. إنهم رذاذ ناعم وبلبل ثيابنا تماماً، ولكنه لم يكن كافياً لمحو آثارنا.

جاء في أنباء الإذاعة أنهم تعرفوا على هوية كوكو ولكن التفاصيل التي ذكروها بخصوص خوليو لم تكن واضحة. إنهم يخلطون بين ميغيل وأنطونيو. وقد نشروا في لحظة معينة نبأ مصرعي ثم نفوه بعد قليل.

٢٩ أيلول

يوم آخر من التوتر، خرج إنتي وأنيسيتو لمراقبة البيت طيلة النهار. وبدأت الحركة باكراً على الطريق وفي منتصف الصباح مرّ جنود لا يحملون عتاداً... من الجهتين، كما مرّ آخرون يجرون حميراً غير محملة، وعندما عادوا كانت تنوء بالأثقال. وصل إنتي في الساعة السادسة والربع وقال إن الجنود الستة عشر الذين نزلوا إلى الوادي، دخلوا إلى المزرعة، ولم يظهر لهم أثر بعد ذلك... لقد حملت الحمير بالمؤن هناك على الأرجح. أمام هذه الأنباء، كان من الصعب اتخاذ قرار باتباع هذا الطريق، السهل والمنطقي، لأن من السهل أيضاً على الجنود نصب الكمائن فيه ولأن البيت لا يخلو من الكلاب التي ستكشف عن وجودنا. سنقوم غداً باستطلاعين: الأول في

المكان نفسه، والثاني بالمسير صعوداً قدر الإمكان، بحثاً عن مخرج هناك ولو باجتياز الطريق الذي يستخدمه الجنود.
لم تورد الإذاعات أي نبأ جديد.

٣٠ أيلول

يوم آخر من التوتر. جاء في نبأ لإذاعة سالما سيدا في التشيلي أنه عُلم من مصادر رسمية في الجيش أن تشي غيفارا قد حوَصِر في واد متوحش. ولم تنقل الإذاعات المحلية هذا النبأ. قد يكون مجرد مناورة من جانبهم وقد يكون نتيجة لقناعتهم الأكيدة من وجودنا في المنطقة. لم تتأخر حركة الجنود في الظهور على جانبي الطريق، ففي الساعة الثانية عشرة مر ٤٠ جندياً في أرتال منفصلة مسلحين بالبنادق وتوجهوا إلى البيت الصغير وأقاموا مخيمهم هناك بعد أن وضعوا حراسة مشددة. وقد حمل إلينا انيسيتو وباشو كل هذه المعلومات.

عاد إنتي وويلي بنبأ أن ريو غراندي على مسافة كيلومترين من خط مستقيم، وأن هناك ثلاث بيوت في أول الوادي وأنهم عثروا على أمكنة صالحة لنصب المخيم يستحيل فيها رؤيتنا من أي جانب. تزودنا بالماء وفي الساعة العاشرة مساءً بدأنا مسيرة ليلية وشاقة زاد في صعوبتها أن الشينو لا يجيد المشي في الظلام. يبدو بينيني في حالة جيدة ولكن الطبيب يسير من سيء إلى أسوأ.

التحليل الشهري

كان على هذا الشهر أن يكون فترة استعداد للقوى... وقد كان كذلك فعلاً لولا هذا الكمين الذي قتل فيه ميغيل وكوكو وخوليو وأفسد كل شيء، بل إنه وضعنا موضعاً خطيراً بالإضافة إلى فقدان ليون. أما اختفاء كامبا فهو مكسب واضح لنا.

حدثت لنا عدة اشتباكات صغيرة مع الجيش، فقتلنا حصاناً وجندياً وجرحنا آخر، وتبادل أوربانو إطلاق النيران مع دورية ثم جاء ذاك الكمين اللعين في هيغيرا... وقد تخلينا عن البغال، واعتقد أننا لن نحصل، ولفترة طويلة جداً، على دواب من هذا النوع. اللهم إلا إذا دامني الربو مرة أخرى. ومن ناحية ثانية فإن الروايات تتضارب حول مصرع رجال المجموعة

الأخرى التي يجب اعتبارها منتهية، ولو أن هناك أملاً صغيراً، أمل
مجموعة صغيرة تنتقل، متحاشية الصدام مع الجيش... لأن نبأ مقتل
الرجال السبعة في آن واحد يبدو لي مبالغاً فيه إن لم يكن كاذباً.
إن خصائص هذا الشهر هي نفس خصائص الشهر المنصرم يضاف
إليها أن الجيش قد برهن على مزيد من الفعالية وأن الجماهير الفلاحية لا
تقدم لنا أية معونة وأن الفلاحين تحولوا إلى وشاة.
وتقتضي مهمتنا العاجلة بالهروب والبحث عن مناطق ملائمة ثم تجديد
الاتصالات على الرغم من تحطيم شبكتنا في لا باز وتوجيه ضربات قاسية
إليها. إن معنويات بقية الفرقة لا تزال عالية، ولا تساورني الشكوك إلا
بالنسبة لويلي، الذي قد ينتهز مناسبة بلبلة ما لينجو وحيداً إذا لم أتحدث
إليه.

تشرين الأول ١٩٦٧

١ تشرين الأول

الإرتفاع: ١٦٠٠ متر.

إنقضى أول يوم من الشهر دون أن يطرأ جديد. ووصلنا مع طلوع الفجر إلى غابة صغيرة أقمنا فيها مخيمنا بعد تشديد الحراسة في مختلف النقاط القريبة منا. إبتعد الجنود الأربعون في وإٍ صغير كنا ننوي اقتحامه بإطلاق عدة عيارات نارية. سمعنا آخر طلقات الرصاص في الساعة الثانية وساد الهدوء، وبدأ كل شيء وكأن البيوت الصغيرة خالية من سكانها. رغم أن أوربانو رأى خمسة جنود ينحدرون من تلك الناحية ويواصلون طريقهم إلى جهة لم نتمكن من تحديدها. إتخذت قراراً بالبقاء هنا يوماً إضافياً لأن المكان يبدو لي مناسباً ويساعد على الانسحاب الآمن لأننا سنشرف من أعاليه على تحركات العدو كلها. خرج باشو وناتو وداريو وأوستاكو لإحضار الماء وعادوا في الساعة التاسعة مساءً. وأعد لنا شاباكو بعض المأكّل المقلية ووزع على الرجال قليلاً من لحم البقر المجفف بحيث استكانت البطون الجائعة.

لا أنباء جديدة.

٢ تشرين الأول

أنطونيو

لا أثر للجنود، طيلة اليوم، ولكن بعض الخيول مرت برفقة كلاب كبيرة على مقربة من مواقعنا وقد نبحت نباحاً شديداً. إتخذنا قراراً بالالتفاف حول مزرعة صغيرة لا تبعد كثيراً عن الوادي، وبدأنا عملية الانحدار نحو الساعة السادسة حتى نصل بكل هدوء، ونقوم بإعداد طعامنا قبل العبور. إلا أن ناتو ضل طريقه وأصير على مواصلة سيره الخاطيء. وعندما قررنا العودة، ضللنا طريقنا، وقضينا الليل هناك بدون أن نتمكن من إعداد الطعام أو إرواء ظمأنا الشديد. علقنا إذاعة كروز ديل سور على انتشار قوات كبيرة من الجيش بتاريخ الثلاثين من الشهر المنصرم، في المنطقة وعزت ذلك إلى صدام جرى بين الجيش وبين مجموعة صغيرة من رجالنا لم تقع فيه خسائر من الطرفين، على الرغم من تصريح بعض المسؤولين بالعثور على آثار دماء... وكانت هذه المجموعة، حسب البلاغ، تتألف من ستة أشخاص.

٣ تشرين الأول

يوم طويل ومتوتر بدون سبب: في اللحظة التي كنا نهم فيها بالالتحاق بقاعدتنا، وصل أوريانو ليعلن أنه سمع بعض الفلاحين يقولون: «إنهم هؤلاء.. الذين كانوا يتحدثون عنهم الليلة البارحة، وكان ذلك أثناء المسيرة. كان الخبر يبدو غير صحيح على الإطلاق، ومع ذلك فقد قررت أن أنصرف كما لو أنه كان صحيحاً تماماً، فأمرت بتسليق هضبة تشرف على طريق الجنود قبل أن نروي ظمأنا. وانقضى النهار بهدوء تام. وعند هبوط الظلام انحدرنا من مكاننا وشربنا قهوة بدت لنا رائحة المذاق على الرغم من الماء العر والإبريق القذر الذي أعدت فيه، ثم هيأنا بعد ذلك عجينا بقصد تناول الطعام كما هيأنا زادا يتألف من الارز ولحم التايبير. بدأنا المسير في الساعة الثالثة بعد جولة استطلاعية متجنبين المزرعة بكل سهولة، في طريقنا إلى الوادي الصغير الذي اخترناه حيث لم نجد أثراً للماء أو ما يدل على قيام الجنود باستكشاف المكان.

أعلنت الإذاعة أن رجلين قد أسرا من رجالنا وهما: أنطونيو دومنغر فلوريس (ليون) وأورلاندو جيمينيز بازان (كامبا) وأن هذا الأخير قد

اعترف بحمل السلاح ضد الجيش، أما الثاني فقد أعلن عن كامل ثقته بكلمة الرئيس. وقد تقدم الاثنان بمعلومات واسعة عن فيرناندو ومرضه وعن الآخرين بالإضافة إلى معلومات أخرى لن تنشر على الأرجح.

وهكذا انتهت حكاية محاربين بطلين.

الإرتفاع: ١٣٦٠ متراً.

سمعنا مقابلة لدوبريه: كان شجاعاً جداً في مواجهة طالب قد استغفزه.

٤ تشرين الأول

بعد استراحة قصيرة في الوادي، واصلنا الطريق باتجاه مجراه إلى أن التقينا بوابٍ آخر، فصعدنا قليلاً وأخذنا إلى الراحة حتى الساعة الثالثة هرباً من حرارة الشمس. ثم استأنفنا المسير مدة نصف ساعة أخرى والتقينا بالمستكشفين الذين فتشوا في الأودية الصغيرة كلها دون أن يعثروا على أثر للماء وفي الساعة السادسة، تركنا الوادي وواصلنا المسير في درب ضيق للماعز حتى الساعة السابعة والنصف وكانت الظلمة قد خيمت على المكان، وحجبت كل شيء فبقينا هناك حتى الساعة الثالثة صباحاً.

ذكرت الإذاعة نبأ نقل مركز هيئة أركان الفرقة الرابعة من لاغونيلاس إلى بادبلا بقصد إحكام المراقبة في منطقة سيرانو، إذ يعتقد أن المحاربين سيلجأون إليها. وجاء في الإذاعة المذكورة أن محاكمتي ستتم في كاميري إذا أسرنتي قوات الفرقة الرابعة، وفي سانتاكروز إذا أسرنتي قوات الفرقة الثامنة.

الإرتفاع: ١٦٥٠ متراً.

٥ تشرين الأول

حين عاودنا المسير، تقدمنا بصعوبة بالغة حتى الساعة الثالثة والرابع بعد الظهر، وتركنا في هذه اللحظة درب الماعز لنتوغل في غابة صغيرة تستطيع أشجارها العالية أن تقينا شر الأنظار الفضولية. خرج بينينيو وباشو في عدة جولات استكشافية بقصد جلب الماء ودارا من خلف البيت المجاور لنا دون أن يجدا أثراً له... رغم أن الدلائل تشير إلى وجود بثر في الجوار. ولما انتهيا من استكشاف الامكنة كلها وهما بالعودة، أبصرا ستة جنود يدخلون إلى البيت، وكان يبدو أنهم عابرو طريق لا أكثر. خرجنا مساء بعد هبوط الظلام وقد أرمقنا العطش تماماً بينما راح أوستكايو

بيكي وينتخب من أجل جرعة ماء. وبعد اجتياز طريق وعر، مليء بالعقبات، وصلنا مع طلوع الضوء إلى غابة صغيرة حيث سمعنا نباح الكلاب في المناطق المجاورة كما لمحنا هضبة جرداء وعالية للغاية على مقربة منا. قمت بشتى الإسعافات الممكنة لبينينيوي الذي تقيح جرحه قليلاً، كما قمت بحقن الطبيب، وكانت نتيجة عملي أن بينينيوي لم يكف عن الشكوى طيلة الليل.

جاء في أنباء الإذاعات أن رفيقينا السابقين قد نقلوا إلى كاميري كشاهدين في قضية دوبريه.
الإرتفاع: ٢٠٠٠ متر.

٦ تشرين الأول

بعد استطلاع المنطقة، تبين لنا وجود بيت في جوارنا وبيت آخر أبعد منه، تتوفر فيه المياه. فاتجهنا إليه وقمنا بإعداد الطعام طيلة اليوم تحت صخرة كبيرة ملساء، حمتنا من الأنظار... ولكن السكينة لم تعرف الطريق إلى قلبي، لوجودنا في وضخ النهار على مقربة من أماكن مأهولة. ولما طال إعداد الطعام، قررنا أن نتوجه مع طلوع الفجر إلى رافد قريب من هذا الجدول الصغير ونقوم هناك باستطلاع دقيق للمنطقة حتى نحدد الاتجاه الذي سنسلكه.

تحدثت إذاعة لأكروز ديل سور عن مقابلة جرت مع الرفيقيين السابقين وقد بدا أورلاندو أقل سوءاً من الآخر، ونقلت الإذاعة الشيلية خبراً حذفته الرقابة عن وجود ١٨٠٠ جندي يتعقبون آثارنا.
الإرتفاع: ١٧٥٠ متراً.

٧ تشرين الأول

إنقضى أحد عشر شهراً على بدء حرب العصابات بدون حدوث تعقيدات تذكر؛ ووصلت امرأة عجوز في الساعة الثانية عشرة والنصف، لحراسة ماعزها في الوادي الذي نخيم فيه فاضطرونا إلى أسرها. لم تقدم لنا المرأة أية معلومات عن الجنود. قالت إنها تجهل وجودهم وإنها لم تذهب قط إلى تلك الأماكن منذ زمن طويل جداً. وقد زودتنا ببعض المعلومات عن الطرق ويبدو أننا، إذا صدقت، على بعد فرسخ من هيغراس وفرسخ من جاغواي ونحو فرسخين من بوكارا. قام إنتي وانيسيتو وبابلو في الساعة الخامسة

والنصف بعد الظهر بزيارة العجوز وكانت تقيم مع ابنة لها مصابة بتضخم الغدة الدرقية ويقصر عادي... فأعطوهما ٥٠ بيزوس وطلبوا منهما التزام الصمت بدون كبير أمل في الواقع.

إنطلقنا في الساعة الخامسة مستعينين بنور قمر خافت وكانت المسيرة جد مضنية فتركنا آثاراً كثيرة في الوادي الذي كنا نقيم فيه... حقاً لا توجد بيوت قريبة منه، ولكن حقولاً مزروعة بالبطاطا ومروية بأقنية خاصة ممدودة من الجدول كانت منتشرة في الجوار. توقفنا في الساعة الثانية للإستراحة بعد أن أصبحت المسيرة غير مجدية لشدة بطئها... لقد كان الشينو حملاً ثقيلاً علينا في المسيرات الليلية.

أذاع الجيش بلاغاً غريباً عن وجود ٢٥٠ جندياً في سيرانو لمنع تسلل المحاربين وعددهم ٣٧ شخصاً وحدد البلاغ المنطقة التي لجأنا إليها بين الأسيرو والآورو. يبدو أن المقصود من هذا كله تضليلنا.
الإرتفاع: ٢٠٠٠ متر.



بلاغات ورسائل من الغوارة البوليفية

بلاغ رقم ١: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية، في مقابل الأكاذيب الرجعية

بعد أن اغتالوا عمالاً ومهدوا الطريق لكي يسلموا جميع ثرواتنا إلى الامبريالية الأميركية - الشمالية، خدعت مجموعة الغوريالات المغتصبة، الشعب بلعبة انتخابية. وعندما تدق ساعة الحقيقة، وينتفض الشعب بسلاحه، ليواجه الاغتصاب المسلح بالنضال المسلح، فلتزعم، عندئذ، تلك المجموعة انها تتابع مباراتها بالاكاذيب.

في فجر ٢٣ آذار، توغلت قوات من الفرقة الرابعة، المتمركزة في كاميري والمؤلفة من حوالي خمسة وثلاثين رجلاً بقيادة الميجر هرنان بلاتا ريوس، في أراضي المغاورين (الغوار) مجرى نهر نياكاغازو. وقعت المجموعة بأكملها في كمين نصبته قواتنا. محصلة العملية، خمس وعشرون قطعة سلاح من كل النماذج، من ضمنها ثلاثة مدافع هاون من عيار ٦٠ ملم مع مستلزماتها من الذخائر، وكمية كبيرة من الذخائر والعتاد المتنوع حصلنا عليها.

كبدنا العدو خمسة قتلى، من بينهم ملازم، واسرنا أربعة عشر جندياً، جرحوا في المعركة وتم علاجهم من قبل جهازنا الصحي بالفعالية التي

تسمح بها امكانياتنا الخاصة.

تم اخلاء سبيل جميع المعتقلين بعد ان شرحنا لهم مثل حركتنا.

ما هي لائحة بخسائر العدو:

قتلى: بيدرو روميرو واوبين امينازاغا، وخوان الفارادو وسيسيليو ماركيز، وامادور المازان، وسنتياغو غالاردو وساعي الجيش ومرشده، المسمى فارغاس.

المعتقلون: الميجر هرنان بلاتاديوس والنقيب اوجينو سيلفا، والجنود، ادغار توريكو باتوسو، وليدوماشيكاو توليدو وغبريال دوران ايكوبار، وارماندو مارتينيز سانشيز وفيليب برافوسيل، وخوان راموس مارتينيز وليونسو اسبينوزا پورادا، وميغيل ريفيرو، وايلوتيريو سانشيز وادالبرتو مارتينيز، وادواردو ريفيرا وغيدوتورسيوس. الخمسة الآخرون جرحوا في المعركة.

اننا، إذ نعلن عن العملية الحربية الاولى، نضع ما سوف يكون قانوناً لجيشنا: الحقيقة الثورية. لقد اثبتت الوقائع صحة اقوالنا. فنحن نأسف للدم البريء الذي سال من الجنود الذين سقطوا، إلا أننا لا نبني جسور السلام بالهواوين والرشاشات، كما تؤكد الدمى الممرتدية اللباس العسكري المزين بالشرائط، زاعمة انها تخلق لنا أسطورة من القتلة السوقيين. لم يشتك فلاح واحد، وسوف لن يفسح المجال لأي فلاح لأن يشتكي من الطريقة التي عاملناه بها، ومن الطريقة التي حصلنا بها على مؤونتنا، باستثناء أولئك الذين، خانوا طبقتهم، وارتضوا أن يكونوا مرشدين ووشاة.

بدأت العمليات العسكرية. وسوف نحدد في بلاغات لاحقة وبوضوح، موقفنا الثوري. ونحن نتوجه اليوم، بالنداء، إلى العمال والفلاحين، والمتقنين، وإلى كل الذين يشعرون بأن الساعة قد دقت لكي نرد على العنف بالعنف، ونستعيد بلداً باعوه بالتقسيط إلى الاحتكارات الاميركية، ونرفع مستوى معيشة شعبنا الذي يزداد جوعاً يوماً بعد يوم.

جيش التحرير الوطني البوليفي

بلاغ رقم ٢: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية في مقابل الأكاذيب الرجعية

في صباح ١٠ - ٤ - ٦٧، وقعت، الدورية المعادية بقيادة الملازم لويس سافيدرا أرومبال والمؤلفة في غالبيتها من جنود من CITE. في كمين قتل الضابط المذكور والجنديان أنجل فلوريس وزينون برادا مندييتا خلال الاشتباك، كما جرح المرشد انياسيو موزاريم من فرقة بوكيرون، واسر مع خمسة جنود آخرين وصف ضابط. تمكن أربعة جنود أن ينجوا من الكمين، حيث بلغوا قاعدة كتيبة الماجور سانشير كاسترو الذي جاء لمساعدة رفاقه بقوة دعم مؤلفة من ستين رجلاً من وحدة مجاورة؛ إلا أنه فوجيء بكمين آخر أودى بحياة الملازم هوغو ايبالا، «والصف ضابط، راوول كاميوخو والجنود جوزي فيغبريال ومارسيللو مالدونادو وجيم سانابريا، واثنين آخرين لم تتمكن من معرفة اسمائهما.

الجنود الجرحى في هذه العملية هم: ارماندو كيروغا، والبيرتو كرفاجال وفريدي الوي، وجوستو سرفنتيس، وبرنبيه مافديخارا، اسروا مع قائد الكتيبة، الماجور روبين سانشير كاسترو وستة عشر جندياً آخرين.

وفقاً لاحدى مبادئ ELN، عالجنا الجرحى ضمن امكانياتنا الهزيلة واخلينا سبيل المعتقلين، بعد أن شرحنا لهم أهداف نضالنا الثوري.

حصيلة خسائر الجيش المعادي: عشرة قتلى، من بينهم ملازمان، ثلاثون أسيراً، من ضمنهم الماجور سانشير كاسترو وستة جرحى. غنيمة الحرب هي بنسبة الخسائر المعادية وتتضمن: هاوناً واحداً ٦٠ ملم، بنادق رشاشة، بنادق، بنادق M1، ورشيشات، كل هذه الأسلحة مع ذخائرها.

من جهتنا، نأسف لأي شخص يموت، ويمكن فهم التفاوت في الخسائر، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، واقع أننا في كل المعارك، اخترنا المكان

والزمان لانطلاقها؛ وان قادة الجيش البوليفي، يرسلون إلى المذبحة مجندين أطفالاً تقريباً. فيما يختلقون البلاغات في لاباز، ويلطمون صدورهم في مآتم ديماغوجية، خافيين واقع انهم هم المسؤولون الحقيقيون عن الدماء التي اهرقت في بوليفيا. انهم ينكشفون الآن ويسرعون باستدعاء «معاونين» أميركيين - شماليين، هكذا بدأت حرب فيتنام التي تدمي هذا الشعب البطل وتهدد السلام العالمي. اننا نجهل كم من المعاوين سيرسلون ضدنا (سنعرف كيف نواجههم)، لكننا نحذر الشعب من المخاطر التي سيولدها هذا العمل الذي يقوم به العسكريون المراهضون.

اننا ندعو المجندين الشباب لاتباع التعليمات التالية: عند بداية القتال، ارموا السلاح جانباً، وضعوا أياديكم على رؤوسكم، ابقوا دون حركة في المكان الذي سوف يفاجئكم فيه اطلاق النار، لا تتقدموا أبداً أمام الطابور أثناء سير الاقتراب من منطقة القتال، ارغموا الضباط الذين يحثونكم على القتال، على احتلال هذا الموقع الشديد الخطورة. سوف نطلق دائماً النار، وبقصد القتل، ضد المقدمة. مع انه يؤلمنا أن نرى دم المجندين الأبرياء يسفك، انها ضرورة الحرب القسوى.

جيش التحرير الوطني في بوليفيا

بلاغ رقم ٣: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية تجاه

الأكاذيب الرجعية

في الثامن من أيار، وقعت في كمين، في منطقة المغاوير في ناكاهوازو، قوات من الكتيبة المختلطة، بقيادة الملازم أول هنري ليريدو. قتل خلال هذه العملية، الضابط وتلميذان من مدرسة التدريب هما: رومان اروبو فلوريس ولويس بيلايث كما تم أسر الجنود التالية أسماؤهم:

خوسي كاماشو روخاس من فرقة بوليفار Bolivar - نيستور

كونتياش من فرقة بوليفار Bolivar - فالدوفيزاغا من مدرسة التدريب -
هوغو سوغو لورا من مدرسة التدريب - ماكس توريس ليون من مدرسة
التدريب - روجيه توليترو من فرقة Braun - خافيير كوريللا من فرقة
Braun - نيستوكويلار من فرقة Braun

جرح الأخيران لأنهما لم يمتثلا لأمر التوقف.
عندما فوجئنا خلال عملية سابقة. أفرج عن الأسرى، كالعادة، بعد
شرح أهداف ومبتغى نضالنا. تمت استعادة سبع بنادق M1 وأربع بنادق
موزر. خرجت قواتنا من هذه العملية سليمة.

بلاغات الجيش القمعي التي تعلن عن قتلى في صفوف المفاوضين عديدة،
وهي تتضمن بعض العناصر الحقيقية عن خسائره الفعلية بكثير من
الخيال. فيما يتعلق بخسائرننا فهو يلجأ بسبب عجزه، إلى الأكاذيب، أو
يصب جام غضبه على الصحافيين، الذين هم، بسبب مميزاتهم
الايديولوجية، أعداء طبيعيين للنظام، يحملهم كل المصائب التي يعاني
منها.

نود أن نشير بأن جيش التحرير الوطني البوليفي هو المسؤول
الوحيد عن النضال المسلح الذي تولى فيه قيادة شعبه، هذا النضال الذي
لن يتوقف إلا بالنصر النهائي، وفي فرصة سوف ننتقم فيها من الجرائم
التي ترتكب أثناء الحرب، بمعزل عن إجراءات الانتقام التي سوف ترتبها
قيادة جيشنا مناسبة تجاه كل عمل تخريبي ترتكبه القوات القمعية.
جيش التحرر الوطني البوليفي

بلاغ رقم ٤: إلى الشعب البوليفي

الحقيقة الثورية في مقابل الأكاذيب الرجعية

في بلاغات حديثة، اعترفت القوات المسلحة ببعض خسائرها في
الاشتباكات الطليعية، فيما أعلنت كعاداتها بأنها كبدتنا عدداً كبيراً من القتلى

لم تعرض جثثهم أبداً. رغم أننا لم نتلق جميع التقارير من بعض دورياتنا، نستطيع أن نؤكد بأن خسائرنا قليلة جداً، وبأننا لم نتكبد خسارة واحدة خلال العمليات الأخيرة التي اعترف بها الجيش.

إنتي بيريدو هو بالفعل عضو في قيادة جيشنا، حيث يشغل منصب مفوض سياسي، وقد حصلت، أخيراً، عدة عمليات بقيادته. إنه في صحة جيدة، ولم يصب بأية طلقة عدوة، الاعلان غير المبرر أخيراً عن وفاته هو مثل ملموس على الأكاذيب العبثية التي تروجها القوات المسلحة أمام عجزها عن محاربة جيشنا.

أما بالنسبة للأنباء المتعلقة بوجود مقاتلين من دول أميركية أخرى في صفوف جيشنا، فإننا سوف لن نعطي أرقاماً بسبب سرية العمل العسكري، وبسبب شعار الحقيقة الثورية، ولكننا سنقدم توضيحاً فقط: أي مواطن يرتضي برنامجنا الأدنى الذي يقود إلى تحرير بوليفيا، يقبل في صفوف الثوار بحقوق وواجبات المقاتلين البوليفيين ذاتها، ويشكل هؤلاء، طبعاً، الأغلبية الكبيرة من حركتنا؛ وكل رجل مسلح يناضل من أجل تحرير وطننا يستحق ويحصل على المواطنة البوليفية الجديدة بالاحترام، بمعزل عن مكان ولادته. هكذا نفهم الاممية الثورية الحقيقية. جيش التحرير الوطني البوليفي.

رسالة بمناسبة ٢٦ تموز،

في الوقت المحدد

أيها الرفيق فيديل كاسترو،

من شرق بوليفيا، حيث نناضل لكي نكرر ملاحم وطنية قديمة، مستوحاة من النموذج الحديث للثورة الكوبية، حاملة راية الشعوب المضطهدة في العالم، نرسل تحيتنا الأخوية الحارة، لتتحد وتحية ملايين الكائنات البشرية التي تعتبر هذا التاريخ، كبداية للمرحلة الأخيرة من تحرير أميركا.

تقبلوا شخصياً، مع رفاقكم وكل شعبكم، شهادة إخلاصنا المطلق بالقضية المشتركة، وتهانينا بمناسبة سنة جديدة من النضال المتأبى ضد الامبريالية الاميركية الشمالية.

إننتي المفوض السياسي في قيادة جيش التحرير الوطني البوليفي. إضافة: اخفاق جديد في محاولة إعادة الاتصال. فقدنا توما وبابي ومغاور بوليفي من مجموعة غيفارا. لم نتلق معلومات عن مصير هذا الاخير: الاتصالات ما زالت مقطوعة مع جواكيم. جروح بومبو وباشو بسيطة لكنهما لا يستطيعان السير. يمر الفلاحون بفترة خوف وأسطورة حرب الغوار تكبر كالزبد. سنحاول الاتصال ببواكيم لكي نباشر عمليات جديدة. لا تسمح بخلق جبهة أخرى.

بلاغ رقم ٥: إلى عمال المناجم في بوليفيا

أيها الرفاق،

مرة أخرى، يسيل الدم البروليتاري في مناجمنا. في مؤسسة منجمية تعمل منذ عدة سنين، بعد امتصاص دم عامل المنجم المستعبد. هذا الدم يسيل في كل مرة يولد هذا القدر من الظلم انفجاراً من الاعتراضات؛ لم يتغير هذا التكرار الدوري خلال مئات السنوات.

خلال السنوات الأخيرة، انتُهِك هذا التواتر وقتياً، وشكل العمال المتمردون العنصر الأساسي في انتصار ٩ نيسان. أعاد هذا الحدث، الأمل بأفق جديدة، واعتقدنا بأن العمال سيصبحون أخيراً أسياد مصيرهم، لكن ميكانيكية العالم الامبريالي علّمت، الذين أرادوا ان يحفظوها، بأنه لايمكن، فيما يخص الثورة الاجتماعية، أن يكون هناك حلول نصفية: اما أن نستلم السلطة بشكل مطلق، أو حينئذ نفقد المكاسب التي حصلنا عليها بهذا القدر من التضحيات والدم.

انضم إلى ميليشيات بروليتاريا عمال المناجم المسلحة عنصر القوة الوحيد في البداية. ميليشيات من قطاعات أخرى من الطبقة العاملة، من المهملين ومن الفلاحين، الذين لم يدرك أعضاءها جوهر وحدة المصالح،

فدخلوا في نزاع فيما بينهم، تحركهم الديماغوجية المناوئة للشعب، فعاد الجيش المحترف ثانية، للظهور، بجلده الناعم كجلد الحمل وبمخالبه كمخالب ذئب. وهذا الجيش القليل العدد والقديم في البداية، أصبح الساعد المسلح ضد البروليتاريا، والشريك الأكثر أمانة للامبريالية، لذلك أعطى هذا الأخير موافقته على الانقلاب العسكري.

الآن نحن نتعافى من الهزيمة التي سببها تكرار أخطاء الطبقة العاملة التكتيكية، ونحضر البلاد، بصير لثورة عميقة سوف تغير النظام جذرياً. يجب ألا نصر على الخطط الخاطئة، البطولية بالطبع، ولكن العقيمة، التي تفرق البروليتاريا في حمام دم وتصفي صفوفها، فتحرمننا بالتالي من العناصر الأكثر مثالية.

خلال أشهر طويلة من النضال، أعرش المغاوير البلاد، وأوقعوا عدداً كبيراً من الخسائر في صفوف الجيش البوليفي واضعفوا معنوياته، دون أن يتكبدوا، عملياً، أية خسائر. خلال اشتباك استمر عدة ساعات، بقي هذا الجيش نفسه مسيطراً على الأرض يتبخرت على جثث القتلى البروليتاريين. ان الفرق بين المخطط الصائب والمخطط الخاطيء هو الفرق ذاته ما بين النصر والهزيمة.

أيها الرفيق عامل المنجم، لا تصغي، بعد الآن، إلى الداعين المزيفين للنضال الطبقي الذين يفسرونه بأنه مسيرة شعب، متماسك وجبهة ضد أسلحة الاضطهاد؛ لتتعلم من الواقع؛ ان الصدور البطلة لا تستطيع شيئاً ضد الرشيشات؛ كما ان المتاريس، مهما كانت متينة، لا تستطيع أن تصدم أمام أسلحة الدمار الحديثة.

ان النضال الجماهيري في البلدان النامية، التي يتشكل سكانها أساساً من الفلاحين، والتي تمتلك مساحات شاسعة، يجب أن تقود النضال فيها طليعة متحركة: الفوارة، المتواجدة في وسط الشعب، والتي ستكتسب القوة على حساب الجيش المعادي، وتحفز الحماسة الثورية التي ستتهار سلطة الدولة في ظلها، تحت قوة ضربة واحدة، موجهة جيداً، وفي الوقت المناسب. ليفهمونا جيداً: نحن لا ندعو إلى الركود التام؛ نحن نوصي بالأستخدام قوات في عمليات غير مضمونة النجاح، لكن، مع ذلك، يجب أن يستمر ضغط الجماهير على الحكومة، لأن الأمر يتعلق بنضال الطبقات دون جبهات محددة.

على البروليتاري في أي مكان وجد، أن يناضل ضمن امكانياته ضد العدو المشترك.

أيها الرفيق عامل المنجم، ان مغاوير جيش التحرير الوطني ينتظرونك بحفاوة ويدعونك لان تتحد مع العاملين تحت الأرض الذين يناضلون إلى جانبنا. فهنا، نعيد بناء تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين، الذي فسخ بسبب الديماغوجية المعادية للشعب. هنا، سنحول الهزيمة إلى نصر، ودموع أرامل البروليتاريين إلى نشيد للنصر.

نحن بانتظاركم

جيش التحرير الوطني

البرقيات التي تلقاها القائد تشي غيفارا

برقية رقم ٣٢

تسلمنا برقية دانتون التي يبلغنا فيها بأنه وصل إلى هذه (الاسم المرمز لبوليفيا)، واتصل بك. يغادر راميرو ريناغا في ١١ الشهر ويحمل حقيبته مع غلوكتنين، سيصل عن طريق سانتا كروز حيث سيمكث يومين ويتابع إلى لاباز Lapaz، لكي يتصل بالدكتور كوكو. نحن موافقون على أن يلتحق بنا. ريناغا شخص معروف من البوليفيين في هذه (بوليفيا) - أريال. ١٠ آذار

برقية رقم ٣٤

رامون،

منذ ٢٠ آذار، برقيات، وكالات دولية صادرة من لاباز، تفيد عن اشتباكات في مونتياغودو بين المغاويرين والجيش. الحصيلة مقتل مسلح وكوبي واحد ومغاويرين أسيرين بوليفيين إضافة إلى مصادرة أسلحة

حديثه، وجهاز راديو. أعلن عن تعبئة ضخمة لعدد كبير من القوات نحو هذه المنطقة. البرقيات الأخيرة تخلط مسؤولين وروخاس وفلاحاً وليستبن مع المغاورين. في الوقت ذاته، برقيات تتكهن حول احتمال قيادة تشي... حرب الغوار هذه كل المعلومات المتوافرة لدينا حتى اليوم.

أريال

٢٢ آذار

برقية رقم ٣٥

رامون،

أحداث في «بوليفيا» كان لها صدى دولي كبير

تقوم وكالات الأنباء بحملة حول معارك المغاورين، وأسر جنود من الجيش، وخاصة حول تصريحات هؤلاء الإيجابية بعد إطلاق سراحهم، بالنسبة للمعاملة الحسنة التي لاقوها من جانب المغاورين. تقدير أقصى بعدد المغاورين بين ٤٠٠ - ٥٠٠ رجل، خبرة ومعرفة الأرض من قبل المغاورين، مشاركة أرجنتينيين وبيرونيين، وكوبيين، وبوليفيين وصينيين وأوروبيين تحاول تقليل احتمال امكانية قيادة تشي للغوارة، تبرز كوكو بيريدو كشخصية أساسية كونه اشترى ملكية خاصة، أعلنت عن اعتقال مؤيدين للغوارة، وعن الدعم من قبل نساء المدينة، من بينهن تانيو التي أعطوا مواصفاتها واسمها، ووثيقة هويتها واسمها المستعار؛ يبدو أن هناك وشاية من سجين. لا ذكر لاسم ايقان. صدر تصريح عن الحزب الشيوعي موقع من مونجي وكولي يعلن تضامنه مع الغوارة. ليشين مع الغوارة. شرحوا له الآفاق الاستراتيجية لحرب الغوار. وأعلموه بأنك تقودها. لقد أثار ذلك حماسه. وسوف يدعم بارسال متطوعين إلى الادغال وسيصدر تصريحاً بالدعم. سيدخل البلاد خلصة خلال عشرين يوماً، ربما شهراً، وسيبقى فيها. نرسل لكم قريباً وسائل اتصال.. من المستحب اجراء مقابلة شخصية عندما سيكون ذلك ممكناً. سيرسل رجالاً يتدربون في «تلك». نحن بحاجة لموافقتك على وضع توقيعك على نداء من أجل تنظيم لجنة دولية لدعم فيتنام... أنشئت بمبادرة من برتراند راسل. الوثيقة جيدة

وجذرية. فكرنا بارسالها لك، لكنه مستحيل في الظروف الراهنة لأننا بحاجة لنشرها في الحال. ستوقع من شخصيات عديدة. هذه المنظمة ستقدم لنا خدمة كبيرة في المستقبل؛ دعم الحركات الأميركية - اللاتينية. نفكر تحريك دعم واسع من قبل شعوب العالم للحركة الغوارية البوليفية مع التهاني...

في ١٣ - ٥ - ٦٧

برقية رقم ٣٦

رامون،

وصل ايغان إلى «بوليفيا» مريضاً. غادرها قبل انقضاء اجازة اقامته بستة أيام. خلق ظروفاً تسمح له بالعودة، ولم يتورط قانونياً. سنرى امكانية عودته فور شفائه. ترك رودولفو وباريخا في حالة جيدة، وان كانا مشوشين، وزييا يغوط في بنطاله. لوزانو ارسل برقية؛ الاتصالات معه جيدة. لوزانو على اتصال برودولفو. آخر الاخبار عن الشينو كانت برقية تسلمها كاميري من سانشيز يعلمه فيها عن وصوله إلى لاباز، لكنه لم يره بعد. سوف ننظم حملة من أجل تحرير دوبريه. لا أنباء عن اعتقاله ولا عن وضع تانيا والبيلاو. كوللي طلب من رودولفو تجنيداً في الغوارة ومساعدة قصوى. وضع مونخي سيء؛ يبدو انهم سيخفزون رتبته. تتمتع الغوارة بشهرة عالمية وبدعم الحركات الثورية. تحيات إلى الجميع. بيكولو.

برقية رقم ٣٧

رامون،

١) البيروفي كاباك، مسؤول في جيش التحرير الوطني عند اعداد نواة مغاوير في بونو، وصل لوضع اتفاق، لأنهم لم يكونوا على اتصال مع الشينو ومقطوعين عن أخباره. شرحنا له أهمية حرب الغوار في بوليفيا دون اعطاء تفاصيل عن أعضاء القيادة باستثناء شرح مضمونها الاستراتيجي. شرحنا للشينو الاتصال بالغوارة من أجل وضع اتفاقات،

وسانشيز يساعد في مهمات الدعم. تسلموا مبلغ / ٢٥,٠٠٠ / خمسة وعشرين ألف دولار من أجل ارسال عشرين رجلاً للغوارة والاستمرار في عمل تأسيس النواة. في لاباز، احتفظ سانشيز بـ / ٤٨,٠٠٠ / وهو مبلغ متبق من مجموع ما حمله الشينو، حسب تصريح كاباك الذي طلبنا منه عدم المس بهذا المال، بانتظار موافقة الشينو - الغوارة وترك سانشيز في وضعه الحالي.

اعداد النواة بطيء جداً: فقط خمسة رجال في مزرعة المستكشفين، السلاح مكوّن من اثنتي عشرة بندقية صيد مع ذخيرتها، ينوون الحصول عليها عن طريق الحدود البوليفية. انها كناية عن Z-B-30 وأربع بنادق ورشيشين. مهمات أغلبية أعضاء جيش التحرير الوطني في ليما هي الدعاية والتنظيم. بلغناهم أهمية تركيز الجهد على تنظيم النواة.

(٢) جاء ماسبيرو إلى (بوليفيا) من أجل الوقوف على وضع دوبري والتأثير على دفاعه. سيحاول الاتصال بكولي. سنعلمكم بنفس الوسيلة فور عودته. تأخذ حملة التضامن مع دوبري بعداً دولياً مع دعم شخصيات نافذة، في الوسطين العلمي والأدبي.

(٣) كتب تيليريا، في التشيلي، إلى أوتيرو يخبره عن نفوذ الغوارة في وسط عمال المناجم والمصانع، وبين الطلاب. تظاهرات أول أيار هتفت للغوارة.

تدني شعبية النظام أكثر فأكثر.

(٤) ليشين في التشيلي دون متاعب، يلقي معاملة حسنة من السلطات.

(٥) تسلمنا أخباراً غير مؤكدة. لاباز تخطط لانقلاب مع العقيد السابق سيوآن، بالارتباط مع فتح جبهة حرب غوار في غواياراميران، بقيادة روبين خوليو وبدعم من القطاعات العسكرية في OSNR. تحيات.

اريال.

١٣ حزيران

برقية رقم ٣٨

رامون،

بتاريخ ٤ تموز تسلمنا برقية مرسلة من رودلفو. جلبها فرنانديز فيلا

من امانة JCB (ش.ش.ب) (*) البوليفية يوضح فيها بأنه ينتظر عودة ايفان ويكرر طلبه الملح بارسال عامل على جهاز الراديو ملم بالشفيرة. يمكن التعاون مع الغوارة ويطلب تعليمات عسكرية في الجزيرة. المنظمة تعمل في المناطق... في سانتا كروز والمنطقة الجنوبية [دعم].

يسأل إذا كان من المجدي فتح جبهة أخرى مع ٣٠ - ٤٠ رجلاً. يقول بأن الدكتور ريا لا يستطيع السير بسبب كسر أصيب به في المخيم. السفارة الاميركية نشطة جداً، وهي تحاول بذل جهد من أجل تجنيد اناس من الحزب الشيوعي البوليفي PCB.. ارسلت غونزالو في رحلة إلى الولايات المتحدة...

الحزب يبلغ بأن الحدود التشيلية مراقبة باحكام. تفاهم تام مع الحزب بواسطة جورجى. المحادثات ايضاً إيجابية مع قطاع غونزاليس في POR. ارسل لنا صندوقين للبريد حتى نراسله: الدكتور هوغو غالارد ف. Dr. Hugo Gallard F. في كولون ٥٥٥، والدكتور خوسي غوزمان كاسيليا ٢٢٠٣، لا باز. انتهت برقية رودولفو. الرد على برقية رودولفو يقول ما يلي: تسلمنا برقيتك. نرسل إلى ماريانو مخطط عمل جديداً لجهاز الراديو. تعليق زيارة أماكن الاتصال مع ايفان هناك، يبدو انه تورط خلال اقامته. سوف لن يرجع لهذا السبب. رفيق جديد سيحل محله في الوقت المناسب. ضرورة أن ترسل صيغة اتصال موثوقة. تعمق في درس المناطق التي اشرت إليها. من غير المناسب فتح جبهة جديدة. من الملح بذل كل الجهود للاتصال برامون الذي سيقدر في الأمر. نظم مع الرجال الذين يرسلهم خلايا صغيرة للعمل والتخريب [وتطورها] [تدرجياً؟] إلى أعمال. من جهة أخرى، نظم الجهاز وفق التوجيهات المعطاة من رامون. سيصل في أيلول التقني المطلوب للراديو فهو يعرف جيداً مفاتيح الشفيرة. انه الطالب البوليفي أوستاكيومينا، الممنوح من ش.ش.ب. لكنه مجند من قبل جيش التحرير الوطني. ارسلوا مبعوثاً موثقاً به مع المعلومات المطلوبة ولائحة بـ [عناصر] MNR الذين يودون التدريب ومعلومات عنهم. انتهت البرقية المرسله إلى رودولفو. بشأن البديل عن ايفان، انه كوبي متمرس في حرب الجبال سيبيرا، نعمل لاقناعه. يمتلك توثيقاً ممتازاً، ونعتقد بأنه سيكون في بوليفيا في شهر تشرين الثاني. بالنسبة لإيفان، نفكر بالآ نرسله

إلى بوليفيا بسبب ما حصل معه أثناء إقامته...

نعدّ له وثائق جديدة متماسكة لكي نرسله إلى التشيلي. نعتقد بأنه سيكون هناك في شهر كانون الأول. نحضر مجموعة من ثلاثة وعشرين رجلاً. جميعهم طلاب أصحاب منح في الغوارة، ٩٠٪ من صفوف ش.ش.ب. والباقيون سبارتاكويون ومستقلون. كلهم مدركون للنضال القائم، راغبون في الانخراط في جيش التحرير الوطني. انها مجموعة جيدة. نعمل أيضاً مع الطلاب، أصحاب المنح المتواجدين في الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا من أجل انخراطهم في النضال بإشراف جيش التحرير الوطني. تحيات من «الوطن أو الموت».

حتى النصر، دائماً

برقية، رقم ٣٩

رامون،

منظمة تحرير أميركا الجنوبية شكلت نصراً للأفكار الثورية. الوفد البوليفي «تفاهة». اخذوا مواقف معادية لمصالح الغوارة. انه مؤلف من ألدو فلوريس وراميرو أوتيرو من الحزب الشيوعي البوليفي، وماريو كاراسكو من PRIN والدكتور ريكاردو كانو من Flin. حاول فلوريس ان ينتحل صفة ممثل جيش التحرير البوليفي. اضطررنا إلى نفي ذلك. علاقتنا معهم باردة جداً، وطلبنا منهم أن يرسلوا رجالاً من كولبي لنتباحث. أبلغنا الدكتور كانو بأنه قد تم تفتيش منزل طبيب الأسنان لوزانو فانتقل إلى العمل السري. نعتقد بإمكان إجراء عملية دوبراي، ونسعى في هذا الاتجاه.

تحيات آرييل

رسالة إلى مؤتمر القارات الثلاث» «اخلقوا فيتنامين، ثلاثاً... عدة فيتنامات، ذلك هو الشعار».

انها ساعة اللهيبي، ويجب الا نرى سوى النور
جوزي مارتني.

واحد وعشرون عاماً مضت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ونحتفل بالحدث الذي يرمز إلى هزيمة اليابان. منشورات مختلفة، في عدد كبير من اللغات. يخيم جو من التفاؤل الظاهري على قطاعات عديدة من المعسكرات المتباينة التي تقسم العالم.

واحد وعشرون سنة دون حرب عالمية، في أزمنة المواجهات القصوى، والصدمات العنيفة والتبدلات المفاجئة، تبدو فترة طويلة. لكن، دون أن نحلل النتائج العملية لهذا السلام الذي نحن مستعدون جميعنا أن نناضل من أجله (البؤس، والانحطاط والاستثمار المتزايد أكثر فأكثر لقطاعات ضخمة من العالم)، يجدر أن نتساءل إذا ما كان هذا السلام واقعياً.

لا تدعي هذه الملاحظات وضع تاريخ النزاعات المختلفة، ذات الطابع المحلي، التي توالى منذ استسلام اليابان؛ كما انه ليست مهمتنا وضع جردة بالنتائج الهائلة والمتزايدة للنزاعات الأهلية التي حدثت خلال هذه السنوات من السلام المزعوم. فيكفي أن نواجه هذا التفاؤل المغالى به بأمثلة حربَي كوريا وفيتنام.

ففي فيتنام، وبعد سنوات من القتال الهيجي، تعرض القسم الشمالي من البلاد للتدمير الأكثر همجية في حوليات الحرب الحديثة، مزروعاً بالقنابل، بدون مصانع وبدون مدارس وبدون مستشفيات، وبدون أي ملجأ لعشرة ملايين مواطن.

وفي الحرب الكورية، تدخلت، تحت راية الأمم المتحدة غير المشروعة، عشرات من البلدان تحت القيادة العسكرية للولايات المتحدة، وبمشاركة كثيفة من الجنود الأميركيين، مستعملين السكان الكوريين الجنوبيين المتطوعين كطعام للمدفع.

في المعسكر المعادي، كان الجهاز العسكري السوفياتي يزود شعب كوريا والمتطوعين من جمهورية الصين الشعبية بالسلاح والمساعدات. وفي الجانب الأميركي، انكبوا على كل أنواع التجارب لاسلحة الدمار. وإذا كانت الأسلحة النووية الحرارية قد استثنيت، فقد تم استعمال الأسلحة الجرثومية، والكيميائية على مستوى منخفض.

تتابعت في فيتنام، العمليات العسكرية التي تخوضها، بدون انقطاع، تقريباً، القوات الوطنية، ضد ثلاث دول امبريالية كبرى: اليابان التي انهارت قوتها بشكل عامودي بعد القاء القنابل النووية على هيروشيما وناغازاكي، وفرنسا التي استعادت، في هذا البلد المهزوم، مستعمراتها في الهند الصينية وتجاهلت الوعود المقطوعة أثناء الاوقات الصعبة؛ والولايات المتحدة الأميركية، في هذه المرحلة الأخيرة من القتال.

جرت مواجهات محدودة في كافة القارات، مع انها لم تحصل، منذ مدة طويلة، في القارة الأميركية، سوى محاولات حرب تحريرية أو انقلابات، حتى اللحظة التي دقت فيها الثورة الكوبية ناقوس الخطر حول أهمية هذه المنطقة، وأثارت غيظ الامبرياليين، مما اضطرها للدفاع عن شواطئها، في بلاياجيرون في البدء، ومن ثم خلال أزمة تشرين الأول.

كان من الممكن أن يؤدي هذا الحادث الأخير إلى حرب ذات أبعاد هائلة، بسبب المواجهة بين الأميركيين والسوفيات بصدد كوبا.

لكن، بالتأكيد، أصبح مركز الاهتمامات، في الوقت الحاضر، في أراضي شبه جزيرة الهند الصينية وفي البلدان المجاورة. كاللاوس والفيتنام تهزها حروب أهلية تفقد طبيعتها، كحرب أهلية منذ اللحظة التي تتواجد فيها الامبريالية الأميركية، مع كل قدراتها، وتصبح بالتالي كل المنطقة صاعقاً خطيراً جاهزاً للانفجار.

في فيتنام، اتخذت المواجهة حدة قصوى. اننا لا ننوي هنا أيضاً، كتابة

تاريخ هذه الحرب. وسوف نشير ببساطة إلى بعض نقاط الاستدلال. في عام ١٩٥٤، بعد هزيمة ديين بدين فو جرى التوقيع على اتفاقيات جنيف، التي قسمت البلاد إلى منطقتين واشترطت اجراء انتخابات خلال ثمانية عشر شهراً لتقرير من سيحكم الفيتنام وكيف ستوحد البلاد. لم يوقع الأميركيون على هذه الوثيقة وباشروا بالمناورة لكي يستبدلوا الامبراطور باوداي، الدمية الفرنسية، برجل يتجاوب مع مآربهم. اختاروا نفو دينه ديام، الذي يعرف كل العالم مصيره الماساوي - كالبرتقالة المعصورة من الامبريالية. ساد التفاؤل في معسكر القوى الشعبية خلال الشهور التي تلت التوقيع على اتفاقات جنيف. وتم تدمير الأجهزة الخاصة بالانضال ضد الفرنسيين في جنوب البلاد بانتظار تنفيذ الاتفاق. لكن المواطنين لم يلبثوا أن أدركوا أن الانتخابات لن تحصل، إلا إذا شعر الأميركيون بانهم سيفرضون مشيئتهم في صناديق الاقتراع، الامر الذي لا يمكن حصوله، حتى ولو لجأوا إلى جميع أشكال التزوير التي يملكون اسرارها.

استؤنفت المعارك في جنوب البلاد، وازدادت حدتها أكثر فأكثر، حتى الوقت الحالي حيث بلغ عدد الجيش الأميركي حوالي نصف مليون غازياً، بينما تضاعل عدد القوات «الدمى».

باشرت القوات الجوية الأميركية منذ سنتين تقريباً، بقصف منتظم لجمهورية فيتنام الديمقراطية. في محاولة جديدة لكبح المعنويات القتالية لدى الثوار في الجنوب وفرض مؤتمر من موقع قوة عليهم. كان القصف الجوي، في البداية، منعزلاً نوعاً ما، وكان يتذرع بالانتقامات ضد استفزاز مزعوم من الشمال. ازداد القصف الجوي حدة، فيما بعد، وأصبح منهجياً، إلى أن تحول إلى غارات كثيفة شنتها الوحدات الجوية الأميركية، يوماً بعد يوم، بهدف محو كل أثر للحضارة في المنطقة الشمالية في البلاد. انها إحدى حقبات التصدي السيء الشهرة.

لقد حقق العالم الأميركي، برأي البعض، أهدافه المادية رغم التصدي الحازم لوححدات الدفاع الجوي في فيتنام، ورغم اسقاط الـ ١٧٠٠ طائرة، ورغم دعم المعسكر الاشتراكي بالعتاد الحربي.

هناك حقيقة مريرة: الفيتنام، تلك الأمة التي تجسد تطلعات وآمال، عالم منسي، بأكمله، بالنصر، هي وحدها بشكل مأساوي.

ان تضامن العالم التقدمي مع شعب فيتنام، أشبه ما يكون بالسخرية اللاذعة، التي كان يعبر عنها عامة الشعب في تشجيعهم للمصارعين في المدرج الروماني. فالامر لا يقتصر على أن نتمنى النجاح لضحية الاعتداء، وإنما يجب أن نتقاسم مصيرها، نرافقها في الموت وفي النصر.

إذا حللنا العزلة الفيتنامية، اعترتنا رعشة قلق من تلك اللحظة غير المنطقية من تاريخ الانسانية.

ان الامبريالية الاميركية هي مذنبه بالعدوان، وجرائمها هائلة وتمتد على العالم بأسره. نحن نعرف ذلك أيها السادة! ولكن الذنب يقع، أيضاً، على هؤلاء الذين، عند لحظة القرار، ترددوا بأن يجعلوا من الفيتنام جزءاً منيعاً من الارض الاشتراكية، ربما كانوا بذلك، خاطروا باندلاع حرب على مستوى عالمي، لكنهم كانوا اجبروا الامبرياليين الاميركيين على اتخاذ قرارهم. انهم مذنبون هؤلاء الذين يواصلون حرب الشتائم والتي بداها منذ مدة طويلة، ممثلو أكبر دولتين في المعسكر الاشتراكي.

لنطرح السؤال من أجل أن نحصل على جواب نزيه: هل الفيتنام هو بلد منعزل أم لا، وخاضع لتوازنات خطيرة بين الدولتين الكبيرتين المتخاصمتين؟

كم هو عظيم هذا الشعب! كم هو رابط الجاش وشجاع! وأية عبرة قدم كفاحه للعالم!

سوف لن نعرف قبل وقت طويل، إذا ما كان الرئيس جونسون، يفكر جدياً بالشروع باجراء بعض الاصلاحات الضرورية لشعب ما، من أجل أن يخفف من حدة تناقضات طبقية تتجلى بقوى متفجرة، وبشكل أكثر فاعل تكراراً. الامر المؤكد، هو ان الاصلاحات المعلنة تحت العنوان المضخم: النضال من أجل «المجتمع العظيم» رमित في صنوبر الفيتنام.

ان أعظم قوة امبريالية، تعاني من النزف الذي يسببه لها بلد فقير ومتخلف، ويتأثر اقتصاده القوي من المجهود الحربي. فلم يعد القتل التجارة الأكثر مردودية بالنسبة لاصحاب الاحتكارات. وكل ما يملكه

هؤلاء الجنود البارعون، بالإضافة إلى حب الوطن، وحب مجتمعهم وشجاعة تجاه كل المصاعب، هي أسلحة دفاعية، وبكمية غير كافية. لكن الامبريالية تورطت في فيتنام، ولم تجد لنفسها مخرجاً وهي تبحث، دون أمل، عن طريقة تمكنها من التخلص بشرف من الخطر الذي تواجهه. لكن «النقاط الأربع» من شمال الفيتنام، و«النقاط الخمس» في جنوب الفيتنام تؤلمها، وتجعل المجابهة أكثر تصميماً أيضاً.

يبدو أن كل شيء يشير إلى أن السلام، هذا السلام المؤقت الذي يطلق عليه هذا الاسم، لأنه لم يحصل بسببه أي نزاع عالمي. لقد أصبح مجدداً مهدداً بالانهيار نتيجة مبادرة متصلة ومرفوضة، يتخذها الأميركيون.

إذن، ما هو الدور الذي يمكن أن نلعبه، نحن، المستغلين في العالم؟ إن شعوب القارات الثلاث يراقبون ويتلقون دروسهم في فيتنام. وبما أن الامبرياليين، يمارسون ابتزازهم على البشرية، في ظل التهديد بالحرب، فالجواب الصحيح هو ألا نخاف من الحرب. ويجب أن يكون نهج الشعوب العام الهجوم بقساوة وباستمرار من كل نقطة مواجهة.

لكن ما هي مهمتنا نحن، حيث تعثر السلام البائس الذي نعاني منه؟ علينا أن نتحرر بأي ثمن. أن نظرة شاملة إلى العالم تكشف لنا تعقيداً كبيراً، ومهمة التحرير، تنتظر أيضاً بلداناً من أوروبا القديمة متطورة إلى حد تتأثر معه بالتناقضات الرأسمالية، لكنها ضعيفة بحيث لا تستطيع أن تسلك طريق الامبريالية أو أن تلتزم بها. هنا ستبلغ التناقضات، في السنوات القادمة، طابعاً متفجراً، لكن مشاكلها، وبالتالي حلولها تختلف عن مشاكل شعوبنا التابعة والمتخلفة اقتصادياً.

إن المجال الأهم للاستثمارات الامبريالية يشمل القارات الثلاث المتخلفة: أميركا وآسيا وأفريقيا، فلكل بلد ميزاته الخاصة، لكن القارات بمجملها تنطوي أيضاً على الميزات ذاتها.

تشكل القارة الأميركية مجموعة متناسقة، بهذا القدر أو ذاك، وتحفظ الرساميل الاحتكارية الأميركية، بهيمنة مطلقة، على كافة أراضيها تقريباً. فحكومات الدمى، أو، في أحسن الحالات، الضعيفة أو الجبانة، لا تستطيع معارضة أوامر السيد الأميركي. لقد بلغ الأميركيون الذروة، تقريباً، في

سيطرتهم السياسية والاقتصادية، ولم يعد باستطاعتهم أن يتقدموا أكثر من ذلك؛ لكن أي تبدل في الوضع يمكن أن يتحول إلى تراجع للهيمنة. إن سياستهم هي في المحافظة على ما كسبوه. وخطة العمل تنحصر حالياً في الاستعمال العنيف للقوة من أجل اخماد الحركات التحررية، مهما كانت.

إن شعارهم: «سوف لن نسمح بكوبا ثانية» يخفي امكانية ارتكاب تعديات بلا عقاب، كتلك التي اقترفوها ضد جمهورية الدومنيكان، أو سابقاً، مجزرة باناما، والتحذير الصريح بأن الجيوش الأميركية على استعداد للتدخل في أي مكان من القارة الأميركية، حيث يخل النظام القائم، مهددة، بذلك المصالح الأميركية. تحظى هذه السياسة بحرية التصرف شبه المطلق، وتشكل منظمة الدول الأميركية، رغم انها فقدت اعتبارها، قناعاً ملائماً؛ ومنظمة الأمم المتحدة هي في عدم فعاليتها، تقارب التفاهة والمأساة؛ فجيوش كل الدول الأميركية متاهبة للتدخل لسحق شعوبها. في الواقع، لقد تشكلت أممية الجريمة والخيانة. من جهة أخرى، أصبحت البورجوازية الوطنية عاجزة عن التصدي للامبريالية - إذا كانوا قد تصدوا يوماً - وأصبحت تشكل الآن ساحتها الخلفية. لم يعد هناك تغيرات أخرى. فاما ثورة اشتراكية أو كاريكاتور ثورة.

آسيا هي قارة ذات مميزات مختلفة. الكفاح من أجل التحرير ضد القوى الاستعمارية الأوروبية أدت إلى إقامة حكومات تقدمية، إلى هذا الحد أو ذاك، أدى تنطورها اللاحق، في بعض البلدان، إلى تعميق أهداف أساسية للتحرير الوطني، وفي بلدان أخرى إلى العودة إلى مواقف مؤيدة للامبريالية.

من وجهة نظر اقتصادية، لدى الولايات المتحدة القليل لتخسره والكثير لتربحه في القارة الآسيوية. التغييرات في مصطلحاتها، فهي تكافح في سبيل استبعاد قوى استعمارية جديدة، وتكتشف دوائر عمل جديدة في الميدان الاقتصادي، أحياناً مباشرة، وأحياناً أخرى بواسطة اليابان.

لكن هناك ظروف سياسية خاصة، لا سيما في شبه جزيرة الهند الصينية، تعطي للقارة الآسيوية مميزات ذات أهمية نادرة، وتلعب دوراً كبيراً جداً في الاستراتيجية العسكرية الشاملة للامبريالية. فهذه الأخيرة، تنشر حول الصين حزاماً يشمل على الأقل، كوريا الجنوبية واليابان وتايوان وجنوب فيتنام، وتايلاند.